نموذج ترخيص

أنا الطالب : نورة شاكر مجلي الشمري أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

مدينة قونكة - كونكة - وأثر احتلالها في هزيمة الموحدين بموقعة العقاب

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته ليا.

اسم الطالب: نورة شاكر مجلي الشمري

التوقيع: نورة

التاريخ: ٢٢ / ٥ / ٢٠١٣ م

مدينة قونكة (كونكة) وأثر احتلالها في هزيمة الموحدين بموقعة العقاب

إعداد

نورة شاكر الشمري

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار ٢٠١٣ م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (مدينة قونكة ـ كونكة ـ وأثر احتلالها في هزيمة الموحدين بموقعة العقاب) وأجيزت بتاريخ ٧/٥/٢٠١٣.

أعضاء لجنة المناقشـــــــــة	التوقيـــــــــــع
الدكتور محمد عبده حتاملة، مشرفاً أستاذ ـــ تاريخ المغرب والأندلس	....
الدكتور صالح موسى درادكة، عضواً أستاذ ـ تاريخ إسلامي	....
الدكتور محمد عبد القادر خريسات، عضواً أستاذ ـــ تاريخ إسلامي	....
الدكتور محمد نايف العمايرة ،عضواً أستاذ ـــ تاريخ المغرب والأندلس (جامعة مؤته)	....

الإهـداء

إلى زوجي العزيز الذي بذل من الجهد في مساعدتي أثناء إعداد هذه الرسالة ما أعجز عن وصفه،

إلى والدي الكريمين اللذين أضاءا طريق حياتي، ووضعا خطواتي على دروب المعرفة والعلم، وتعهداني منذ البداية بالمحبة والرعاية،

إلى كل أهلي

وإلى كل من علموني

إلى كل هؤلاء أهدي هذه الرسالة داعية الله أن ينفع بها.

الباحثة

شكر وتقدير

قال تعالى:**{وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم}** سورة إبراهيم، الآية ٧.

فله الشكر على ما أنعم، وله الحمد فقد أعطى وأكرم، ويطيب لي من بعده أن اتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الدكتور محمد عبده حتامله، ذلك أنه تفضل مشكورا بالإشراف على هذه الرسالة، وقدم لي من خبرته العلمية الواسعة، ومن عطائه العلمي الذي لا ينضب ما كان له أثر بالغ في إخراج هذا العمل العلمي إلى حيز الوجود، فجزاه الله عني خير جزاء.

وأتقدم بوافر الشكر والتقدير والاحترام أيضا الى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة، فقد بذلوا الجهد في قراءة هذه الرسالة، وأثروها بملاحظاتهم العلمية القيمة، فجعلوها أعمق وأدق، وأغنى.

ولا يفوتني واجب الشكر لكل من مد لي يد العون أثناء إعدادي هذه الرسالة، وخاصة زوجي الذي ما توانى لحظة عن تذليل ما اعترضني من صعوبات.

ولله الحمد والمنة.

الباحثة

فهرس المحتويات

مدينة قونكة (كونكة) وأثر احتلالها في هزيمة الموحدين بموقعة (العقاب)

إعداد

نورة شاكر الشمري

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على تاريخ مدينة أندلسية صغيرة، والتعرف من خلال ذلك على جوانب من تاريخ الأندلس، وقد اخترت هذه المدينة، وهي مدينة قونكة، دون غيرها بسبب ما شهدته من أحداث جسيمة، كان لبعضها نتائج بالغة الخطورة على الوجود الإسلامي في الأندلس، فقد تنادت الأمم النصرانية من مختلف الأقطار الأوروبية إلى عقد مؤتمر صليبي فيها بمباركة البابا، واتخذ ذلك المؤتمر قرارا بتوحيد جهود النصارى ضد المسلمين، وتنفيذا لذلك القرار حشدوا جيوشهم بقيادة الفونسو الثامن، ملك قشتالة، وهزموا الموحدين في معركة العقاب التي لم تقم للمسلمين في الأندلس بعدها قائمة تذكر.

وقد اقتضى التعرف على هذه النتيجة التاريخية تتبع سلسلة الأحداث التي قادت إليها، حيث قمت ـ بعد تناول مدينة قونكة من حيث تسميتها وموقعها وتطورها ـ بعرض تاريخها في عهد أشهر ملوك الطوائف، وخاصة بني ذي النون، ملوك طليطلة الذين كانت مدينة قونكة إحدى مدن مملكتهم. وقد حرصت على توضيح العلاقات بين ملوك الطوائف وممالك النصارى في إسبانيا، والظروف التي أدت إلى التنازل عن مدينة قونكة للنصارى خلال هذه الفترة.

وتناولت بعدئذ تاريخ مدينة قونكة في عهد المرابطين الذين استعادوها من النصارى، وعهد الموحدين الذين فرطوا بها، حيث سقطت في أيدي النصارى مرة أخرى، وعقدوا فيها ذلك المؤتمر الصليبي المشؤوم على الإسلام والمسلمين في الأندلس.

المقدمــة

تقع قونكة في شمال شرقي الأندلس، وهي مدينة اختلف المؤرخون في تاريخ نشأتها، فبعضهم أكد أنها إحدى المدن التي كانت قائمة عندما فتح المسلمون الأندلس، وكانت من بين المدن التي فتحوها، بينما أكد بعضهم الآخر أنها محدثة. وأيا كان الأمر فقد كان لمدينة قونكة أهمية خاصة في تاريخ الأندلس على الرغم من أنها ظلت طوال العهد الإسلامي مدينة صغيرة، حيث لم يتجاوز عدد سكانها في أواخر عهد الموحدين السبعمائة نسمة.

وتنبع أهمية مدينة قونكة من أمرين، أولهما موقعها الحصين، فهي قائمة على ربوة عالية، ولا يمكن الوصول إليها إلا عبر ممر واحد وعر صعب المسلك، ولذلك كانت بمثابة قلعة حصينة تتحكم عسكريا بما حولها، فحرص المسلمون على زيادة منعتها وحصانتها، والإحتفاظ بها في أيديهم، مثلما حرص النصارى على احتلالها، ليجعلوا منها شوكة في خاصرة المسلمين.

ويلاحظ أن مدينة قونكة شهدت نقلة نوعية بعد خراب قرطبة على أيدي البربر عند انهيار الحكم الأموي في الأندلس، فقد نزحت إليها من قرطبة، عاصمة الخلافة الأموية المنهارة مجموعات من الفنانين والصناع، وأقاموا فيها صناعات فنية زخرفية وصناعات دقيقة أخرى وضعت المدينة على مدرج التطور والإزدهار، وربما كان ذلك سببا آخر في حرص المسلمين على الإحتفاظ بها، وحرص النصارى على احتلالها.

والجدير بالذكر أن مدينة قونكة في عهد ملوك الطوائف خضعت لحكم بني ذي النون أصحاب طليطلة، غير أنها لم تبق كذلك طوال عهدهم، فقد أدى الصراع المستمر بين أولئك الملوك الذين كانوا يستعينون بالنصارى ضد بعضهم بعضا، إلى تبادل السيطرة على المدينة، حيث خضعت فترة من الوقت لبني عباد أصحاب إشبيلية، الذين تنازلوا عن مدينة قونكة للنصارى، وظلت في أيديهم إلى أن استعادها المرابطون بعد معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م التي حققوا فيها انتصارا ساحقا على النصارى بقيادة ملك قشتالة الفونسو السادس.

وظلت مدينة قونكة مدينة إسلامية طوال عهد المرابطين في الأندلس، واستمرت كذلك في بدايات عهد الموحدين، إلا أن النصارى تمكنوا من الإستيلاء عليها وتحصينها، وقد حاصرها

الموحدون بعد انتصارهم في معركة الأرك سنة٥٩١هـ/ ١١٩٥م، وحاولوا تحريرها، غير أن حصارها كان متخاذلا، ومحاولة تحريرها لم تكن جادة بما يكفي لطرد النصارى منها لأسباب تعرضها هذه الدراسة في موضعها.

وهنا يأتي الأمر الثاني الذي جعل لمدينة قونكة أهمية خاصة في تاريخ الأندلس، فبعد أن أفاق ملك قشتالة الفونسو الثامن من هول الصدمة التي أصابته في معركة الأرك على يد الموحدين، أخذ يعد العدة للإنتقام، وكان يدرك أن نصارى قشتالة، بل نصارى شبه الجزيرة الأيبيرية كلهم لن يتمكنوا مجتمعين من تحقيق النصر على الموحدين، ولذلك امتدت أنظاره إلى أوروبا طلبا للعون، وتمكن بدعم البابا أنوسنت الثالث من حشد جيوش قوية تداعت لحرب المسلمين من مختلف الأنحاء، وتم في مدينة قونكة أثناء هذه التحضيرات التي بلغت ذروتها سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م عقد مؤتمر صليبي بالغ الخطورة على الإسلام والمسلمين في الأندلس، حيث خطط لحربهم، ووضع الخطط العسكرية الكفيلة بهزيمتهم. وقد كانت نتيجة تخطيط ذلك المؤتمر الصليبي هزيمة الموحدين الكارثية في موقعة العقاب، تلك الهزيمة التي كانت بداية الإنهيار السريع لدولة الإسلام في الأندلس.

وقد جاءت هذه الدراسة، وهي بعنوان (مدينة قونكة (كونكة) وأثر احتلالها في هزيمة الموحدين بموقعة (العقاب)) في تمهيد وأربعة فصول، وتضمن التمهيد خلاصة لما كان عليه الوضع في شبه الجزيرة الأيبيرية قبيل الفتح الإسلامي، ثم الفتح الذي تم على يد القائد طارق بن زياد، والقائد موسى بن نصير، ومن بعدهما عبد العزيز بن موسى الذي استكمل عمليات الفتح، وبذلك دانت معظم أنحاء شبه الجزيرة بالإسلام. وأعطى التمهيد أيضا لمحة موجزة عن عصر الولاة والعصور التالية: الإمارة ثم الخلافة الأموية، وملوك الطوائف، والمرابطين والموحدين الذين سقطت قونكة خلال عهدهم في أيدي النصارى

وتناول الفصل الأول مدينة قونكة من حيث التسمية والموقع، ومن حيث التطور الذي شهدته عبر تاريخها الإسلامي، وخاصة بعد خراب قرطبة عاصمة الدولة الأموية في الأندلس على أيدي البربر، حيث هجر قرطبة إليها عدد من الحرفيين الفنانين والصناعيين. وأقاموا فيها مشاغل ومصانع سرعان ما بدأت الإنتاج، وخاصة الإنتاج الفني الذي ما زال بعضه محفوظا في المتاحف الإسبانية.

وتناول الفصل الثاني تاريخ مدينة قونكة في عهد ملوك الطوائف، وقد بدأته بتمهيد أعطى فكرة موجزة عن ذلك العصر، ثم عرضت أهم دول الطوائف والعلاقات التي سادت بينها، مشيرة إلى أن تلك الدول أو الدويلات تجاوز عددها العشرين، غير أن أبرز ممالك الطوائف التي تم التركيز عليها لأغراض الدراسة هم: بنو جهور في قرطبة، وبنو عباد في إشبيلية، وبنو هود في سرقسطة، وبنو الأفطس في بطليوس، والعامريون في شرقي الأندلس في كل من: دانية والجزائر الشرقية، وألمرية، ومرسية، وبلنسية. ثم تناولت بتفصيل أكثر دولة بني ذي النون في طليطلة لأن مدينة قونكة كانت إحدى مدن مملكتهم، ولأنهم كانوا الأكثر تأثيرا في تاريخها الإسلامي. وقد استعرضت في ختام هذا الفصل ما كان يدور بين ملوك الطوائف من صراعات، وما كان يربطهم بتأثيرها من علاقات مع ملوك النصارى، أدى بعضها إلى التنازل عن مدينة قونكة لملك قشتالة الفونسو السادس.

وعرضت في الفصل الثالث تاريخ مدينة قونكة في عهد المرابطين والموحدين، ممهدة له بما نجم عن سقوط مدينة طليطلة، عاصمة مملكة بني ذي النون، في أيدي النصارى من تهديد مباشر لدول الطوائف، وبالتالي تهديد مباشر لوجود ملوك الطوائف، وهو الأمر الذي جعلهم يدركون أن سبب ضعفهم الشديد الذي زاد من طمع النصارى بهم إنما هو التناحر فيما بينهم، وضعفهم العسكري فرادى ومجتمعين أمام جيوش النصارى، وهو ما دفع بعضهم إلى الإتفاق، وطلب العون من قوة إسلامية خارجية تمثلت في المرابطين. وقد عرضت في هذا الفصل تاريخ مدينة قونكة في عهد المرابطين، ولتجلية تاريخها في هذا العهد تناولت معركة الزلاقة، ومعركة أقليش التي تمكن المرابطون بعد انتصارهم فيها من استعادة مدينة قونكة. ولفهم تسلسل الأحداث التي أحاطت بتاريخ مدينة قونكة تحدثت في هذا الفصل عن سقوط مدينة سرقسطة في أيدي النصارى، وما ترتب عليه من انهيار تدريجي سريع لدولة المرابطين في الأندلس، ومن ثم في المغرب. ثم تناول الفصل الثالث تاريخ مدينة قونكة في عهد الموحدين الذين عبروا إلى الأندلس في ظروف مشابهة للظروف التي واكبت من قبل عبور المرابطين. وقد حاول الموحدون ـ كما ذكرت في هذا الفصل ـ تحرير مدينة وبذة القريبة من قونكة، غير أنهم فشلوا، وأثناء عودتهم تفقدوا أحوال مدينة قونكة التي كانت قد تعرضت لحصار طويل من قبل النصارى. ثم وضح الفصل الثالث الظروف التي أدت إلى سقوط مدينة قونكة في أيدي النصارى، وإلى تمكنهم من الإحتفاظ بها.

أما الفصل الرابع من هذه الدراسة فقد جاء بعنوان: أثر سقوط مدينة قونكة في أيدي النصارى على المسلمين في الأندلس، وقد تناول في التمهيد له تشجع النصارى بعد احتلالهم المدينة على تكثيف جهودهم من أجل محاربة المسلمين الذين خاضوا معهم معارك ضارية، ومن هذه المعارك معركة شنترين في غربي الأندلس٥٨٠ سنةهـ/ ١١٨٤م ، التي فشلت في تحقيق أهدافها. ثم تناول الفصل الرابع تطور الأحداث التي أدت إلى نشوب معركة الأرك التي انتصر فيها المسلمون، وقاموا بعدها بحصار مدينة قونكة ثم بحصار قلعة شلبطرة، وإنهائهم الحصار دون أن يحققوا نجاحا يذكر، بل على العكس من ذلك أدى الحصار إلى إنهاكهم، وإضعاف قوتهم، وهو أمر يبدو أن النصارى خططوا له بعناية في المؤتمر الصليبي الذي عقدوه في مدينة قونكة، وقد بين هذا الفصل أثر حصار قلعة شلبطرة على الموحدين، ثم تناول موقعة العقاب وأسباب هزيمة الموحدين فيها، وما أسفرت عنه من نتائج وخيمة.

وقد اختتمت هذه الدراسة بخاتمة ضمت أهم نتائجها، وتوصياتها للباحثين.

واعتمدت هذه الدراسة على عدد من المصادر والمراجع فيما يلي تحليل لأبرزها، وذلك بعد الإشارة إلى الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع.

الدراسات السابقة

وعرض أهم مصادر هذه الدراسة ومراجعها

الدراسات السابقة:

لم تحظ مدينة قونكة بدراسة مستقلة مثلما حظي غيرها من مدن كثيرة في الأندلس، منها قرطبة، وغرناطة، وطليطلة، وبلنسية، وسرقسطة، وبطليوس، وألمرية...ولعل ذلك يرجع إلى صغر حجمها عمرانا وسكانا إذا ما قورنت بتلك المدن. أما موقعها الحصين في شمال شرقي الأندلس، حيث شكلت ثغرا من ثغور المسلمين وخاصة في عصر ملوك الطوائف والعصور التالية، إضافة إلى أهميتها التاريخية بعد أن احتلها النصارى كمكان لانعقاد أعتى المؤتمرات الصليبية ضد المسلمين في الأندلس، فلم يشفعا لها لدى الباحثين من أجل إفراد بحث مستقل أو كتاب يتناول جغرافيتها وتاريخها.

وقد حفز هذا الأمر، أعني عدم وجود بحث مستقل أو كتاب عن مدينة قونكة، حفزني إلى وضع هذه الدراسة عنها، وقد اقتضى ذلك العودة إلى عشرات المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية وكتب البلدانيات لرصد ما ورد فيها من معلومات عنها، وكانت تلك عملية شاقة، وخاصة أن معظم المصادر لم تذكر مدينة قونكة إلا لماما، بل إن بعض كتب البلدانيات المشهورة، مثل: الروض المعطار للحميري لم يذكر عنها سوى الإشارة إلى كيفية لفظ اسمها، بينما اكتفت بلدانيات أخرى مثل معجم البلدان لياقوت الحموي، ومراصد الإطلاع للبغدادي بمعلومات مختصرة غير شافية. وكذلك كان الأمر فيما يتعلق بالكتب الجغرافية مثل كتاب الجعرافية للزهري، ونصوص عن الأندلس للعذري وغيرهما.

عرض أهم مصادر هذه الدراسة ومراجعها

لقد سبقت الإشارة إلى أن عددا كبيرا من المصادر والمراجع تناول مدينة قونكة وتاريخها في سياق تناولها تاريخ الأندلس، وقد كانت فائدتي منها متفاوتة بتفاوت تناولها الأحداث المتعلقة بتاريخ المدينة بشكل خاص وتاريخ أحداث الأندلس وجغرافيتها بشكل عام، فمن المصادر الجغرافية استفدت من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله الإدريسي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) في التعريف بمدينة قونكة والمدن الأخرى

التي ورد ذكرها في البحث، إذ يشتمل هذا الكتاب معلومات غزيرة عن مدن الأندلس وقلاعها وحصونها وزراعاتها.

واستفدت أيضا من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميري(ت ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م)، وذلك في معرفة كيفية لفظ الإسم (قونكة) ومما اشتمل عليه هذا الكتاب من معلومات تاريخية وجغرافية تتعلق بالموضوع.

أما معجم البلدان لأبي عبدالله شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) فقد كان عظيم الفائدة في ضبط أسماء المدن والأماكن الأخرى التي وردت في البحث، وتحديد مواقعها.

وأفاد البحث أيضا من كتاب الجعرافية لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزهري (ت ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)، وذلك في التمهيد الذي أعطى لمحة موجزة عن جغرافية شبه الجزيرة الأيبيرية، وكذلك في التعريف بالمدن والأماكن التي أشار إليها.

ويعد كتاب نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار لأبي العباس العذري أحمد بن عمر بن أنس المعروف بالدلائي (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) من المصادر الجغرافية التي عززت معلومات هذا البحث، حيث ضم معلومات جغرافية عن مختلف المواقع الأندلسية.

ويعتبر كتاب جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك للبكري، لأبي عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، من أهم الكتب التي تناولت جغرافية الأندلس، فهو يصف شبه الجزيرة الأيبيرية وحدودها وأسماءها المختلفة ومناخها وتقسيماتها الإدارية وأشهر مدنها وحصونها وثغورها وجبالها وأوديتها، وسكانها..

أما المراجع الجغرافية الحديثة التي أفاد منها البحث فكان أهمها كتاب أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين للأستاذ محمد عبده حتامله ، الذي لجأت إليه للتعريف بالمعالم الجغرافية للأندلس، وخاصة الأنهار.

وكانت المصادر التاريخية عديدة ومتنوعة، منها أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم لمؤلف مجهول، إذ قدم هذا الكتاب معلومات شاملة عن حروب المسلمين في بلاد المغرب والأندلس، وأفاد البحث عند تعرضه في التمهيد لفتح الأندلس وعصر الولاة والإمارة الأموية.

ومنها كتاب ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول أيضا، وهو كتاب جغرافي تاريخي تناول تاريخ الأندلس من الفتح حتى عصر ملوك الطوائف، وقد حققه لويس مولينا، وتضمن معلومات مهمة عن الأندلس في عصر الولاة، وعصر الدولة الأموية.

ويعتبر كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري (كان حيا سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، من أهم المصادر التاريخية التي أفادت البحث، ويقع هذا الكتاب في خمسة أجزاء، حقق الأجزاء الثلاثة الأولى منها: كولان وبروفنسال، وحقق الجزء الرابع إحسان عباس. أما الخامس فقد حققه: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبدالقادر زمامة بعنوان: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ويعتبر هذا المصدر من أشمل الكتب التاريخية التي تتناول تاريخ بلاد المغرب والأندلس، حيث تناول في الجزء الأول تاريخ شمالي إفريقية منذ الفتح الإسلامي حتى ظهور المرابطين والموحدين، وتناول في الجزء الثاني أخبار الأندلس بدءا بالفتح الإسلامي، وما تلاه من عصور بما في ذلك عصر الطوائف حتى دخول المرابطين الأندلس. وتناول الجزءان الثالث والرابع أخبار الدولة المرابطية حتى بداية عهد الموحدين...وقد تضمن الجزء الرابع عددا من الملاحق المفيدة، وهي مقطوعات إخبارية مختارة من عدد من المصادر. وكان القسم الموحدي من كتاب البيان المغرب مصدرا مهما لأخبار الدولة الموحدية لاحتوائه على أخبار وروايات كثيرة ونادرة تجعله يرقى إلى مستوى الأصول الأولية التي لا يمكن الإستغناء عنها في دراسة ما وقع في عهدها من أحداث. وقد أفدت من المعلومات المتوافرة في هذا الكتاب في جميع فصول الدراسة، وخاصة ما يتعلق منها بمدينة قونكة في عهد الموحدين.

ويعد كتاب تاريخ الأندلس لأبي مروان عبدالملك بن الكردبوس التوزي (عاش في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) من المصادر المهمة في تاريخ الأندلس، وخاصة انه ينفرد ببعض المعلومات دون غيره من المؤرخين. يضاف إلى ذلك غنى هذا

الكتاب الذي حققه أحمد مختار العبادي بالهوامش التي استفدت مما ورد فيها من معلومات تتعلق بموضوع الدراسة.

ويقدم كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع، أبي الحسن علي بن عبدالله الفاسي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) معلومات مهمة عن أخبار الأندلس في مختلف العصور، وقد أفدت منه بشكل خاص في تتبع أخبار الموحدين، وهزيمتهم في موقعة العقاب.

ويعتبر كتاب عبدالملك بن صاحب الصلاة (ت٥٩٤هـ/١١٩٨م): المن بالإمامة (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)،الذي حققه عبدالهادي التازي، من أهم المصادر في التأريخ لعهد الخليفة الموحدي المنصور، وخاصة أن المؤلف كان مرافقا لحملة المنصور التي انتصر خلالها على النصارى في معركة الأرك، وكان شاهد عيان لجميع الأحداث التي وقعت خلال تلك الحملة، بما في ذلك قيام المنصور بتفقد أحوال مدينة قونكة، وتقديم العون والمساعدة لسكانها.

ومن المصادر المهمة أيضا: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، وهو كتاب يعتبر فريدا في بابه، وموسوعة حافلة بالمتنوعات عن الأندلس ، ومنها التأريخ، غير أن ما يؤخذ على هذا الكتاب الجامع هو استطراداته وتنقله السريع بين التاريخ والجغرافية والشعر والأدب والفقه، وقد تركزت المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة في الأجزاء الأربعة الأولى منه.

وليس من شك في أن ديوان المبتدأ والخبر في تاربخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون) لمؤلفه عبدالرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) ، وخاصة الجزء الرابع منه، يعد من أهم المصادر لمن يؤرخ لأحداث الأندلس، وخاصة أن مادته التاريخية منظمة تنظيما دقيقا متناسقا.

أما المراجع التاريخية التي أفادتني في هذه الدراسة فيأتي في مقدمتها موسوعة الديار الأندلسية التي ألفها الأستاذ محمد عبده حتامله، فقد كان جهده واضحا في التعريف بمعظم المدن والقلاع والحصون والمعالم الجغرافية الأخرى في الآندلس، ومن بينها مدينة قونكة. وقد تم توظيف ما كتبه عنها في هذه الدراسة توظيفا موضوعيا، حيث اتخذته أساسا للإنطلاق منه

والبناء عليه، فعلى الرغم من أن تركيزه كان شديدا، ومختصرا، حيث لم يتجاوز ما كتبه عن مدينة قونكة الصفحات الست، إلا أن ذلك فتح آفاقا واسعة أمامي من أجل تقصي ما أوردته المصادر عنها. وإضافة إلى هذه الموسوعة أفدت ايضا من كتاب الأندلس للمؤلف نفسه ، فهذا الكتاب سفر ضخم يعرض تاريخ الأندلس منذ فتحها حتى سقوطها. وهو كتاب موسوعي جاء في أكثر من ألف ومائتي صفحة، وقد تناول تاريخ الفتح الإسلامي لشمالي إفريقية، ثم الأندلس، ثم العهود الإسلامية المتعاقبة عليها انتهاء بعهد المرابطين، فعهد الموحدين.

ومن المراجع التاريخية كتاب دولة الإسلام في الأندلس لمؤلفه محمد عبدالله عنان، فهذا الكتاب الذي تناول تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة يتميز بوفرة المعلومات، وكثرة الروايات وتحليلها والتعليق عليها. ويتميز أيضا باعتماده على مخطوطات ومصادر عربية ومراجع أجنبية في أكثر من لغة. يضاف إلى ذلك أن مؤلف الكتاب زار الأندلس وتفقد مواقع الأحداث المهمة، ومنها ميدان موقعة العقاب، مما مكنه من وصفها وصفا دقيقا.

ولا يقل أهمية عن ذلك كتاب تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، الذي ألفه يوسف أشباخ، وترجمه محمد عبدالله عنان، وكتاب تاريخ مسلمي إسبانيا، من تأليف المستشرق الهولندي رينهارت دوزي، وكتاب التاريخ الأندلسي، لعبدالرحمن علي الحجي، وغيرها كثير. وهي مراجع بذلت ما استطعت من جهد في جمعها، وجمع ما احتاجت إليه الدراسة من معلومات متناثرة فيها، ولا يتسع المقام لتحليلها كلها.

وأرجو أن أكون قد وفقت في تقديم هذا البحث الجديد الذي اعتمد منهجه على جمع المعلومات وتدقيقها بالمقارنة بينها، ومن ثم تحليلها ووصفها، متمنية أن أكون بذلك قد أضفت جديدا إلى المكتبة التاريخية العربية.

والله ولي التوفي

مدينة قونكة (كونكة) وأثر احتلالها في هزيمة الموحدين بموقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م

تتناول هذه الدراسة إحدى المدن الواقعة فيما عرف بعد الفتح الإسلامي ب(الأندلس) تناولا جغرافيا وتاريخيا، وقد ضمت الأندلس في أوج قوتها معظم أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية الواقعة في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من قارة أوروبا، ويتميز هذا الموقع بتوسطه بين شمالي إفريقية وغربي أوروبا، حيث يشكل جسرا بين المنطقتين ظلت تعبره الجيوش والحضارات والتجارة.(١)

ويحد شبه الجزيرة الأيبيرية المحيط الأطلسي من الجنوب والغرب، والبحر الأبيض المتوسط من الشرق والجنوب أيضا والزقاق أو ما عرف فيما بعد بمضيق جبل طارق الذي يبلغ عرضه اثني عشر ميلا وتتصل مياهه بمياه المحيط الأطلسي من الجنوب ، أما من الشمال فتفصل سلسلة جبال البرت (Pirenaica) بين شبه الجزيرة وفرنسا، ويحدها من الشمال الغربي خليج بسكاية وبحر الكنتبريك.(٢)

وقد كان يحكم الأندلس قبل الفتح قوم ينتمون إلى إحدى القبائل الجرمانية (القوط)التي عبرت نهر الدانوب، وهو نهر ينبع من ألمانيا ويصب في البحر الأسود، وغزت شبه الجزيرة الأيبيرية،واحتلت معظم أنحائها. وقد كون القوط مملكة لهم بلغت أوج ازدهارها في عهد الملك يوريك Eurico (٤٦٦ـ ٤٨٤م)، ثم بدأت تنحدر عندما انقسم هذا المجتمع إلى نبلاء يملكون معظم الأرض، وعبيد يعملون فيها. (٣)

---

١. حتامله، محمد عبده، **أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين**، عمان، الأردن،١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص١٨ـ ١٩.

٢. المراكشي، عبدالواحد(ت. ٦٤٧هـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،(تحقيق محمد سعيد العريان)، ص٢٧ـ ٢٩؛ حتامله، المرجع السابق، ص١٩.

٣. طه، عبدالواحد ذنون، **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس**، ط١، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، الجماهيرية العظمى، ٢٠٠٤م، ص٧٦ وما بعدها؛ حتامله، محمد عبده، **الأندلس ـ التاريخ والحضارة والمحنة**، ط١، مطابع الدستور التجارية، عمان ـ الأردن، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٥٠ـ ٥١.

وسـارت مملكة القوط من سـيء إلى أسـوأ، ووصلت درجة سحيقـة من الإنحـدار في عهد ملكها غيطشة (Witiza) (٧٠١ـ ٧٠٩م)، الذي شهدت البلاد في عهده اضطرابا سياسيا تزامن مع قحط دام ثلاث سنوات، ووباء أودى بحياة ما يزيد على نصف السكان. وقد قامت ضـد غيطشـة ثـورة عارمـة انتهت بمقتلـه سـنة ٧٠٩م. وكانـت تلـك الثـورة بقيـادة لـذريق (Lodrigo) الذي تولى العرش مدة قصيرة لم تتجاوز سنتين، (٧٠٩ـ ٧١١م) حيث أطاح به المسلمون. [١]

لقد كان المسلمون الفاتحون أثناء حكم غيطشة في شبه الجزيرة الأيبيرية قد وصلوا بقيادة موسى بن نصير، إلى طنجة في شمالي المغرب سنة ٨٩هـ/ ٧٠٧م، وذلك في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك بن مروان (٨٦ ـ ٩٦ هـ/٧٠٥ـ ٧١٤م)، وأنزل موسى العرب المسلمين فيها، وجعلها لهم قاعدة يقودهم فيها مولاه طارق بن زياد. وكان موسى يتوق إلى فتح مدينة سبتة التي استعصى على المسلمين فتحها لطبيعتها، فهي لسان بري داخل في البحر، وكان يحكمها يوليان، وهو حاكم بيزنطي تقوّى بعد انقراض سلطان دولته في المغرب بتوثيق علاقته بأسرة غيطشة. وبذلك تجمعت الظروف التي قـادت يوليان وأصحابه من الأسـرة المالكة المخلوعة إلى التحالف مع المسلمين لتحطيم عرش لذريق بعدما أخفقوا في مجابهته بقواهم وحدها، يضاف إلى ذلك رغبة يوليان في توجيه اندفاع المسلمين بعيداً عن ملكه، وعزمه على الانتقام الشخصي من لذريق الذي اعتدى ـ كما تذكر المصادر ـ على عفاف ابنته. [٢]

---

١. مؤنس، حسين، **فجر الأندلس ـ دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية(٧١١ـ ٧٥٦م)**، ط١، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٢٩ـ ٣٠؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٣ـ ٥٤.
٢. المراكشي، **المعجب**، ص٣٢؛ مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم** (تحقيق إبراهيم الأبياري)، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص١٦، عنان، محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس ،العصر الأول، القسم الأول، من الفتح إلى بداية عهد الناصر**، ط٤، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٣٨ـ ٣٩.

وقد تم التأكد من صدق يوليان ومن عداوته للذريق، بقيامه بغارة سريعة على بعض المناطق في جنوبي شبه الجزيرة الأيبيرية عاد منها بسرعة حاملا الغنائم والسبي. وبتوجيه من الخليفة الوليد بن عبدالملك اختبر موسى ضعـف مقاومـة القوط بتـوجيه غـارة قـاد فيها طـريف بن مالك المعافري، المكنى بأبي زرعة أربعمائة راجل ومائة فـارس نـزلوا في ميناء قريب من الشاطـىء المغربي للمضيق، وأحرزوا نجاحا مماثلا لما حققه يوليان.[١] وقد حفز نجاح حملة طريف المسلمين على فتح شبه الجزيرة الأيبيرية، إذ وجه موسى بن نصير في رجب أو شعبان سنة ٩١هـ/ نيسان أو أيار سنة ٧١٠م، حملـة بقيادة طارق بن زياد تتألف من سبعة آلاف مجاهد غالبيتهم من المولدين في المغـرب[٢] للبدء بعمليات الفتح، وقد تمكن طـارق مـن هزيمة لـذريق في معـركة وادي لكـة(Guadalete) [٣] التي بـدأت في ٢٨ رمضان٩١هـ/٣١ تموز٧١٠م ودامت ثمانية أيام. [٤] ثم عبر موسى بن نصير مضيق جبل طارق في رمضان سنة ٩٢هـ/ حزيران

---

١. المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت . ١٠٤١هـ/١٦٣١م) ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** (تحقيق إحسان عباس) ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ج١، ص٢٥٣؛ حتامله، **الأندلس،** ص٥٩؛ الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف، **تاريخ المغرب والأندلس،** مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٤م، ص٣٧.

٢. المولدون في المغرب: هم أبناء أمهات من البربر وآباء من العرب، وقد نشأ جيل كامل منهم خلال الفترة ٢٠- ٩٠هـ/ ٦٤١- ٧٠٩م، حيث تزوج الفاتحون العرب لبلاد المغرب من نساء من البربر، وأنجبوا هذا الجيل من المولدين الذين تشربوا الإسلام، وأتقنوا اللغة العربية. حتامله، محمد عبده، **جيل المولدين في المغرب والأندلس - دورهم في الفتح وأثرهم في الحياة العامة،** ط١، عمان/ الأردن، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٨٤.

٣. تسمى أيضا معركة برباط، ومعركة البحيرة، ومعركة شريش. وقد وقعت المعركة في ساحل شبه الجزيرة الأيبيرية الجنوبي، في سهل فسيح يخترقه نهر بربط أو برباط (Barbate) الذي يصب في المحيط الأطلسي عند الطرف الأغـر، ويقع وادي لكة إلى الشمال منه. الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت . ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، ط٢(تحقيق إحسان عباس)، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤م، ص٦٠٥؛ الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس،** ص٣٨؛ حتامله، محمد عبده، **موسوعة الديار الأندلسية،** عمان - الأردن، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج٢، ص١١٣٦- ١١٤٢.

٤. ابن قتيبة، أبو محمدعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت. ٢٧٦هـ)، **الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء** (تحقيق علي شيري)، دار الأضواء، ج٢، ص٨٧- ٨٨. المقري، **نفح الطيب،** ج١، ص٢٥٨؛ حتامله، **الأندلس،** ص٦٩- ٧١.

وتموز ٧١١م، مع عشرة آلاف أو ثمانية عشر ألف مجاهد ـ حسب اختلاف الروايات ـ أكثرهم من العرب. وذلك استجابة لضرورات تأمين الفتح واستكماله لأن طارق بن زياد اخترق البلاد من وسطها وترك على جانبيه معاقل مهمة لابد من فتحها.[١]

واستكمل موسى بن نصير وطارق بن زياد فتوحاتهما حيث توجها نحو الشمال والشمال الغربي فدانت لهما معظم أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية، حيث أوغل موسى في البلاد وطارق أمامه " لا يمران بموضع إلا فتح الله عليهما "[٢]. وقد وصلت الفتوحات الإسلامية على أيدي موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى شواطيء المحيط الأطلسي ، " وكان العرب والبربر كلما مر قوم منهم بموضع استحسنوه حطوا به ونزلوه قاطنين، فاتسع نطاق الإسلام "[٣]

واستمر في عمليات الفتح عبد العزيز بن موسى بن نصير ، حيث أقام ـ بعد مغادرة والده موسى وطارق أواخر سنة ٩٥هـ/أيلول ٧١٤م في شبه الجزيرة التي أصبحت تعرف بعد الفتح باسم الأندلس ـ وكان من أبرز المسؤوليات التي أوكلها له والده موسى جهاد الأعداء فنهض لهذه المهمة التي لم تكن يسيرة، حيث أخذ يفتتح ما بقي من مدنها.[٤]

---

١. المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٩؛ ابن عذاري المراكشي ،أبو العباس أحمد بن محمد (ت. ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، (تحقيق ومراجعة ج.س.كولان ، وليفي بروفنسال) ط٣، دار الثقافة بيروت،١٩٨٣م، ج٢، ص١٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٨٠ـ ٩٠.

٢. المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٣.

٣. ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر(ت .٣٦٧ هـ/٩٧٧م)، **تاريخ افتتاح الأندلس** ، (تحقيق عبدالله أنيس الطباع) ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٥٧م ، ص٣٦.

٤. ابن القوطية القرطبي ، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص٣٦ ؛ ابن الكردبوس، أبو مروان عبدالملك (ت . بعد٥٧٣هـ) ، **تاريخ الأندلس** ، (تحقيق أحمد مختار العبادي) ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ،١٩٧١م، ص٥٠؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٢٧٧؛ الحجي، عبدالرحمن علي، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، دمشق، بيروت، الكويت، الرياض، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص٧٣وما بعدها؛ حتامله، **الأندلس**، ص٩٥ـ ٩٩.

وبدأ في الأندلس بعد مغادرة موسى وطارق ما عرف بعصر الولاة ٩٥ ـ ١٣٨ هـ/ ٧١٣ ـ ٧٥٦م، وقد انصرف جل اهتمام الولاة إلى متابعة أعمال الفتح في النصف الأول من هذا العصرفي حين شغلتهم المنازعات الداخلية بين البربر والعرب، وبين العرب أنفسهم قيسية ويمنية في النصف الثاني، مما جعل العصر عصر اضطراب.وذلك لأسباب أهمها افتقار المجتمع الحديث التكون إلى التجانس بين فئاته، وإلى التماسك ضمن الفئة الواحدة. إذ كان يتكون من فئتين كبيرتين: فئة الفاتحين وفئة سكان البلد المفتوح الذين تركت لهم حرية العقيدة والحفاظ على قوانينهم، وإن لم يحل ذلك دون محاولة نشر الإسلام بالحسنى كفعل الوالي عقبة بن الحجاج، الذي أسلم على يديه سنة ١٢٣هـ/ ٧٤١م ألف أسير بالإقناع.[١]

وكانت فئة الفاتحين تتكون من العرب والبربر، وكان العرب ينتمون إلى قبائل كثيرة ترجع أصولها إلى جذمين رئيسيين هما قيس ويمن ، وقد أدت العصبية إلى التنافس الشديد بين القيسية واليمنية والإقتتال بين الطرفين، واشتعال الحروب بينهما، وخاصة بدءا من عهد الوالي عبدالملك بن قطن الفهري الذي ولي الأندلس سنة ١٢٣هـ/ ٧٤١م.[٢] كما أدت إلى اشتعال الحروب بين العرب والبربر الذين ثاروا ضد العرب في أكثر من موقع.[٣]

وبينما كانت الفتن تعصف بالأندلس تمكن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام الذي هرب خوفا من فتك العباسيين به من دخولها، وذلك في ربيع الآخر ١٣٨هـ/ ٧٥٥م والاستيلاء على السلطة فيها. [٤] وقد بدأ بسيطرته على الحكم في الأندلس تلك السنة عهد الدولة الأموية (١٣٨ـ ٤٢٢هـ/ ٧٥٥ـ ١٠٣٠م)، حيث بدأ عصر جديد هو عصر ملوك الطوائف .

وترجع بدايات ظهور ملوك الطوائف ـ كما يستنتج من تاريخ الأندلس ـ إلى السنوات الأخيرة

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص٢٩ـ ٣١.
٢. المقري، **نفح الطيب**، ج٣، ص٢١؛ حتامله، **الأندلس**، ص١٣٢ـ ١٣٣.
٣. مجهول، **أخبار مجموعة** ، ص٣٨ـ ٤٠.
٤. مجهول، المصدر السابق، ص٤٩؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٤٤؛ المقري، المصدر السابق، ج٣، ص٣١؛ حتامله، المرجع السابق، ص١٧٠ـ ١٧٥.

من عصر الإمارة الأموية، أي قبيل حكم الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) وخلال حكمه، حيث تمت تولية بعض الأسر الشهيرة على بعض المدن الأندلسية، وكان مبرر ذلك ما يتمتع به زعماء تلك الأسر من شهرة تصاحبها قوة عسكرية وكثرة عدد ومكانة اجتماعية.

وهكذا ظهرت أسر كثيرة أصبحت لها السيادة على المدن، وأصبح يطلق على هذا التشكل الجديد بعد انهيار الدولة الأموية اسم :عصر الطوائف الذي بدأ ببداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. فمنذ ذلك التاريخ انفرط عقد الأندلس، واستولى البربر على مدنها، "وصار الملك طوائف في آخرين من أهل الدولة، مثل ابن عباد في إشبيلية، وابن الأفطس ببطليوس، وابن ذي النون بطليطلة، وابن أبي عامر ببلنسية، وابن هود بسرقسطة، ومجاهد العامري بدانية والجزائر(جزر البليار)"[١]

ومع بداية تفكك وحدة المسلمين بدأت ممالك النصارى، وخاصة مملكة قشتالة ومملكة ليون تخطط لاحتلال البلاد التي فتحها المسلمون من شبه الجزيرة الأيبيرية واستقروا فيها. وستتناول هذه الدراسة عصر ملوك الطوائف وما حل بمدينة قونكة خلاله بالتفصيل في الفصل الثاني منها.[٢]

وقد انتهى عصر ملوك الطوائف بسيطرة المرابطين على الأندلس منذ عام ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م[٣] وظلوا يحكمونها حتى ورثهم الموحدون حوالي سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٧م، وفي أواخرعهد هؤلاء سقطت مدينة قونكة في أيدي النصارى وذلك سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م(٤)، وكان سقوطها من أسباب هزيمة الموحدين في موقعة العقاب .

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٨٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٣٨- ٤٣٩.
٢. ابن خلدون ، عبدالرحمن (ت. ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) ، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**(ضبط خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ج٤ ، ١٩٤.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٤.
٤. أبو رميلة، هشام، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٤م، ص٢٥٠؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص٩١١.

الفصل الأول

مدينة قونكة تسميتها وموقعها وتطورها

تسمية قونكـة

تعني كلمة قونكة (كونكة) (Cuenca) في اللغة الإسبانية: الحوض، وهي هنا بمعنى حوض النهر، وقد أخذت اسمها هذا الذي يعني الحوض من حوض النهر الذي بنيت فيه كما سيأتي. وقد ورد اسم قونكة (Cuenca) في المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية العربية بألفاظ متشابهة، لكنها تكاد تصل إلى حد التماثل، فقد ذكر ياقوت أنها " بوزن التي قبلها إلا أن هذه بالكاف"[١] والتي قبلها " قونجة: بالضم ثم سكون الواو والنون فالتقى ساكنان، وجيم".[٢] وقد ورد اسمها بهذا اللفظ (قونكة) لدى ابن صاحب الصلاة [٣]، والحميري[٤]، وغيرهما.

وورد اسـمها بكاف بدل القاف الأولى (كونكـة) لدى العذري وابن بسام وابن الأبار [٥]،

---

١. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي،(ت. ٦٣٦هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ج٤، ص٤١٥؛ البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت. ٧٣٩هـ)، **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**،ط١، م١، (تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج٣، ص١١٣٤.
٢. ياقوت، المصدر السابق، ج٣، ص٤١٥.
٣. ابن صاحب الصلاة، عبدالملك (ت. ٥٩٤هـ/١١٩٨م)، **المن بالإمامة(تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)**، ط٣ (تحقيق عبدالهادي التازي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م، ص٤١٤.
٤. الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت . ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار** ،ط٢، (نشر وتصحيح وتعليق ليفي بروفنسال)، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٩٤.
٥. العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت. ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك**،(تحقيق عبدالعزيز الأهواني)، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥، ص٢١، ١٤٩؛ ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت. ٥٤٢هـ)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ق٤، م١، ص١٤٢؛ ابن الأبار ، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت . ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، **الحلة السيراء** ،(تحقيق حسين مؤنس)،دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، ج٢، ص٢٢٨.

وهناك مصادر أوردت اسمها بكافين بينهما نون (كنكة).[1] ويرد هذا الاسم في بعض المراجع التاريخية بقافين(قونقة) [2] بدل الكافين والأكثر استعمالا في لفظ اسمها الأول: (قونكة)، ويلفظ بسكون القاف وكسر الواو وسكون النون وفتح الكاف.

والجدير بالذكر أن كتاب الروض المعطار ، وهو كتاب بلداني، لم يرد فيه وصف لمدينة قونكة، مثلما وصف غيرها من مدن الأندلس، مع أنه ذكر بعض الأقاليم التابعة لها، مثل إقليم والمو.[3] ووصف قرية في هذا الإقليم لم يسمها، ولكنه قال إن فيها غريبة: " وذلك عين راكدة قد علاها الطحلب، فإذا فاجأها إنسان وصاح عليها بشدة صياحه درت بالماء ...، وينقطع طحلبها بشدة غليان الماء ثم تعود إلى حالها."[4]

موقع قونكة

تقع مدينة قونكة فوق ربوة عالية صعبة المنال في شمال شرقي الأندلس ، ويحدق بها نهرا: شقر (Jucar) ووقر أو ويكر (Huecar)، وهو أحد نهيرات نهر شقر[5] ، ويصب النهران مياههما في بحيرة عظيمة ملاصقة لسور المدينة التي تستخدم مياهها للشرب.[6]

---

١. ابن الكردبوس، أبو مروان عبدالملك (ت. بعد ٥٧٣هـ)، **تاريخ الأندلس**،(تحقيق أحمد مختار العبادي)، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م، ص٨١، ١٠٨.
٢. عنان، محمد عبدالله، **دولة الإسلام في الأندلس ،العصر الثالث ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى**، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، ص٩٦.
٣. الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت . ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، ط٢، (تحقيق إحسان عباس)، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤م، ص٦٠٢.
٤. المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
٥. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤١٥؛ ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٢٨؛ عنان، المرجع السابق، ص٩٦.
٦. حتامله ، محمد عبده ، **موسوعة الديار الأندلسية** ،عمان ، الأردن ،ج٢، ص٩٠٤- ٩٠٦.

ويدخل إلى المدينة على قنطرة عظيمة ، في جانبيها برجان عظيمان مانعان على الواديين. ويحيط بها من جهة الشمال خندق تم حفره في الحجر الصلد يبلغ عمقه نحو قامتين، وفي الخندق أدراج ينزل عليها إلى البحيرة لجلب الماء، وإلى الأرحاء على النهر لطحن الحبوب. وقد عبر ابن صاحب الصلاة عن علو قصبة مدينة قونكة فذكر أن علوها متصل بالجو حيث قال:" قصبتها الشيقة المنيعة الرفيعة المتصل علوها بالجو"[١]

وتقع مدينـة قونكـة إلى الشـرق مـن مدينـة مجريط (مـدريد) (Madrid) [٢] وتقع إلى الشمـال الغربي من بلنسية(Valencia) [٣]على بعد ثلاثمائة واثنين وعشرين كيلومترا.[٤]

---

١. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة،** ص٤١٥.

٢. مجريط: ذكر ياقوت أن اسمها يلفظ بالفتح ثم السكون، وكسر الراء وياء، وآخره طاء مهملة، وهي مدينة شريفة بناها الأمير الأموي محمد بن عبدالرحمن(٢٣٨- ٢٧٣هـ/ ٨٥٢- ٨٨٦م) لكي تكون حصنا متقدما، وتعتبر مدريد من أعمال طليطلة، وقد أصبحت عاصمة لإسبانيا منذ سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م. وكانت مجريط في عهدها الإسلامي مدينة كبيرة، فيها مسجد جامع، ويحيط بها سور حوله خندق. ياقوت، **معجم البلدان،** ج٥، ص٦١؛ الرشاطي، أبو محمد (ت. ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، والإشبيلي، ابن الخراط (ت. ٥٨١هـ/ ١١٨٦م)، **الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار،** (تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية / معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٠م، ص٥٧؛ مكي، محمود علي، **مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في إسبانيا،** مدريد، ١٩٦٦م، ص٢٠؛ ابن سعيد ، أبو الحسن علي بن موسى (ت. ٦٧٣هـ/١٢٧٤م)،**المغرب في حلي المغرب** ،(تحقيق شوقي ضيف)،ط٣، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، د.ت، ج٢،ص٤٣؛ الحجي، عبدالرحمن علي، **التاريخ الأندلسي** ، ص٣٠٥- ٣٠٦.

٣. بلنسية: يلفظ اسمها بسين مهملة مكسورة، وياء خفيفة. وتقع في شرقي الأندلس قرب البحر الأبيض المتوسط، وتبعد عنه أربعة كيلومترات فقط. وهي شرق قرطبة، وتحدها طليطلة من الغرب وطرطوشة من الشمال، ومرسية من الجنوب . وتتوسط بلنسية سهلا زراعيا خصبا يحاذي ساحل البحر المتوسط. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤٩٠؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٢٩٧- ٢٩٨؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٧؛ حتامله، موسوعة الديارالأندلسية، ج١، ص٣٠١- ٣٠٦.

٤. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٤١٥؛ حتامله، المرجع السابق، ج٢، ص٩٠٤.

بينما تبعد عن مدينة وبذة (Huete)[١] خمسين كيلومترا. وتحيط بقونكة كروم كثيرة، ومزارع واسعة، وغالبية شجرها من الجوز. وأكثر ما يميز المدينة من حيث الموقع ارتفاعها ومنعتها، حيث يستحيل دخول الأعداء إليها إلا من جهة واحدة، وهي الجهة التي حفر فيها الخندق في الصخور الصلدة، الذي سبقت الإشارة إليه.[٢]

وكانت قونكة تعتبر من أعمال شنتبرية (Santaver)[٣] وكانت تعد من حصون بلنسية الأمامية. [٤]

ويشير أرسلان إلى أن مدينة قونكة مركز مقاطعة " وهي الآن قسمان: البلدة القديمة، وهي جنينة على قمة شاهقة، عليها حسن، وأمامها وادي شقر، وإلى الشمال الغربي من المدينة تقع البلدة الجديدة "[٥]

---

١. وبذة : مدينة وحصن جنوب مدينة شنتمرية، وإلى الشمال الغربي من مدينة قونكة، وقد كانت مدينة وبذة من الحصون الشمالية الشرقية لمدينة طليطلة. وأصبحت بعد أن احتلها النصارى في عهد ملك قشتالة الفونسو السادس سنة ٤٧٢هـ/ ١٠٨٠م تعرف باسم مدينة الفونسو. حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص١١٤٣.

٢. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة** ، ص٤١٥- ٤١٦

٣. شنتبرية: تلفظ بفتح فسكون، وهي مدينة قرب نهر وادي التاجه، إلى الشرق من مدينة قرطبة، وإلى الشمال الغربي من قونكة، والجنوب الغربي من مدينة وادي الحجارة. وكان اسم شنتبرية يطلق على كورة، وربما نمت في الكورة قرية أخذت الاسم نفسه، ثم تطورت وأصبحت مدينة. وقد ظلت شنتبرية في أيدي المسلمين حتى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، حيث احتلها ملك قشتالة الفونسو السادس. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص٣٦٦؛ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت. ٤٥٦هـ) **جمهرة أنساب العرب**،(مراجعة لجنة من العلماء)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٤٩٨- ٥٠٠؛ ابن عذاري ، **البيان المغرب**، ج٢، ص٨٣؛ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٥؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٥٩٧- ٦٠٠.

٤. عنان، **عصر الموحدين**، ص٩٦.

٥. أرسلان، الأميرشكيب، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، ط١، ، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ج٢، ص٤٨.

تطور مدينة قونكة

ترد في المصادر والمراجع التاريخية إشارتان، تفيد أولاهما أن قونكة مدينة قديمة، فقد ذكر الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق الذي أعده لملك صقلية روجر الثاني سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م بعد أن طاف العالم بما في ذلك الأندلس أنها مدينة أزلية.[١] أما الإشارة الثانية فتفيد أنها بنيت في عهد المسلمين بعد فتحهم الأندلس، إذ يذكر عنان نقلا عن المؤرخ الإسباني خوان ماريانا أن قونكة من المدن التي أنشأها المسلمون، غير أنه لم يذكر تاريخ بنائها، واعتمد في ذلك على أنها لم يرد لها ذكر في سير الرومان والقوط.[٢]

وربما كانت قونكة مدينة قديمة بناها الرومان أو القوط، وربما كانت قبلهم، وعندما فتحها المسلمون كانت معظم مبانيها قد تهدمت بفعل العوامل الطبيعية والحروب، ولم يبق منها إلا بعض مبانيها التي شكلت قرية تحيط بقلعتها[٣].

وكان المسلمون قد فتحوا قونكة ـ على الأرجح ـ سنة ٩٢هـ/ ٧١١م[٤] وفي عهدهم طالها العمران والتجديد، ذلك أن المسلمين، وخاصة في العهد الأموي (١٣٢ـ ٤٢٢هـ/ ٧٥٥ـ ١٠٣٠م)، أقبلوا على العمران، وكثر عدد القرى كثرة تكاد لا تصدق، حيث كانت الطرق بين المدن تكاد لا تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع.[٥] وليس من شك في أن قونكة أيضا طالها العمران، كما طال قلعتها التحصين والبنيان لتشكل مع قلعة رباح وغيرها من قلاع الثغر الأوسط في الأندلس خط دفاع حصين عن البلاد.

---

١. الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد (ت. ٥٥٩هـ/١١٦٦م)، **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٦٢م، ص١٩٥. وانظر: أرسلان، **الحلل السندسية**، ج١، ص١١٥.

٢. عنان، **عصر الموحدين**، ص٩٦.

٣. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٦٥.

٤. حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٩٠٦.

٥. علي، محمد كرد، **غابر الأندلس وحاضرها**، ط١، المكتبة الأهلية بمصر، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، ص٢٩.

أثر خراب قرطبة في عمران قونكة وتطورها

شهدت قونكة نقلة نوعية من حيث التطور في أواخر عهد الدولة الأموية في الأندلس، فقد انهارت تلك الدولة عندما استولى محمد بن هشام بن عبدالجبار (المهدي) على الحكم، واعتلى كرسي الخلافة في ١٧جمادى الآخرة ٣٩٩هـ/ ١٦شباط١٠٠٩م، منقلبا بذلك على الخليفة هشام بن عبدالرحمن الحكم (المؤيد بالله) (٣٦٦- ٤٠٣هـ/ ٩٧٦- ١٠٢١م) [١]، وقد أدت الأحداث المتلاحقة إلى خراب عاصمة الدولة الأموية قرطبة (Cordoba)[٢]

وقد بدأت تلك الأحداث عندما أساء المهدي معاملة البربر وزعمائهم مثل زاوي بن زيري بن مناد كبيرهم وزعيم قبيلة صنهاجة، فقد أهانه عندما قدم إلى قصر الخلافة مع بعض رجاله، وردهم عن باب القصر بفظاظة، فانصرفوا وقلوبهم تضطرم سخطا. وما لبثت موجة العداء للبربر أن سرت إلى العامة، فتحاملوا ضد البربر، وهاجموا دورهم، ونهبوا بعضها.[٣]

---

١. حتامله، **الأندلس،** ص٤٢٥؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ـ القسم الأول، من الفتح إلى بداية عهد الناصر،** ص٦٤٢.

٢. قرطبة: يلفظ اسمها بضم أوله وسكون ثانيه وضم الطاء المهملة أيضا، وهي مدينة قديمة يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد، وتقع هذه المدينة على سفح جبل العروس، وتشرف على نهر الوادي الكبير، وتمتد على ضفته اليمنى. وتتصل أراضيها من الجهة الغربية بأراضي إشبيلية، ومن الجهة الشرقية بأراضي جيان، وتمتد شمالا نحو ستين ميلا. وقد كانت قرطبة قبل أن يفتحها المسلمون على يد طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/ ٧١١م عاصمة للقوط الذين كانوا يحكمونها. وقد أصبحت بعد الفتح قاعدة الأندلس وأم مدنها، وعاصمة الدولة الأموية. ابن خلدون، **تاريخ،** ج٤، ص٢٠٠؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان،** ج٤، ص٣٢٤؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس،** ص ١٥٦- ١٥٨؛ ابن عذاري، **البيان المغرب،** ج٢، ص٩؛ سالم، السيد عبدالعزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس،** بيروت، ١٩٧١م،ج١، ص١٥، ١٧- ٢٣، ج٢، ص ج٢، ص٣٥، ٣٩- ٦٤، ٨٧- ٩٠١٢٩- ١٥٦، ١٩٥- ٢١٦؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية،** ج٢، ص٨٠٠- ٨١٥.

٣. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ـ القسم الأول ، من الفتح إلى بداية عهد الناصر،** ص٦٤٣- ٦٤٤.

كما أن المهدي نفى عددا من الفتيان العامريين من قرطبة، فغادروها ولجأوا إلى أطراف الأندلس الشرقية، وكان قد قام أيضا بالقبض على الخليفة الشرعي هشام المؤيد، وحبسه في بعض منازل قرطبة، ودفن شخصا نصرانيا أو يهوديا توفي أثناء الأحداث، وكان ذلك الشخص يشبه المؤيد شبها كبيرا، وذلك لكي يوهم الناس بأن خليفتهم قد مات، وأن الأمر استتب له.[١]

وبعد أن شعر المهدي أنه أخلى قرطبة من مناوئيه، انصرف إلى اللهو، وبالغ في الاستهتار والمجون، وعاقر الخمر، وفسق وفجر. وقد أفقده ذلك احترام الكثيرين ، وخاصة أنه أخذ يبطش بالناس، ويزج بهم في السجون، ومنهم ولي عهده سليمان بن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصرالذي سجن معه جماعة من قريش، وزاد من النقمة عليه إقالته نحو سبعة آلاف جندي من الجيش وقطع أرزاقهم.[٢]

وكان من نتائج ما قام به محمد بن هشام بن عبدالجبار (المهدي) أن سعى هشام بن سليمان الناصر في خلعه، وقد انقلب عليه الناس، وخاصة البربر الذين ارتكب فيهم الفظائع، وخصص جوائز لمن يقتل أحدا منهم.[٣] وقد أخذ الناس ، وخاصة البربر، يبحثون عن بديل له، واستقر رأيهم على هشام بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر، فقصدوه وبايعوه، في أواخر شوال ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م، فتولى الخلافة، وتلقب ب(الرشيد)، وقد زحفوا بقيادته إلى قصر المهدي، وحاصروه، غير أنه أغرى بهم السواد الأعظم من الناس، وهاجمهم وتمكن من تشتيتهم بعد أن قتل الرشيد.[٤]

وتمكن البربر من إعادة تنظيم صفوفهم، واستأنفوا مسعاهم إلى الإطاحة بالمهدي، واختاروا رجلا آخر من البيت الأموي هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الذي كان

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ـ القسم الأول ، من الفتح إلى بداية عهد الناصر**، ص٦٤٤.
٢. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٧٨؛ عنان، المرجع السابق، ص٦٤٤ـ ٦٤٥.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق ج٣، ص٧٨، ٨٠ـ ٨١؛ المقري ، **نفح الطيب** ، ج١، ص٤٢٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٢٨؛ عنان، المرجع السابق ، ص٦٤٥.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٨٣؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص٤٢٧؛ عنان، المرجع السابق، ص٦٤٥.

أثناء إيقاع المهدي بالبربر مقيما في شقندة (Secunda)[1]. فقد توجهوا إليه، في ذي القعدة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م، وبايعوه ولقبوه (المستعين بالله)عاقدين العزم على التخلص من المهدي.[2]

وقد بلغ سخط البربر على المهدي ذروته، وأصبحوا مستعدين للتخلص منه باي ثمن، حتى ولو كان ذلك الثمن هو التحالف مع النصارى ضده وضد من يشايعه من المسلمين، ولذلك اتصلوا بالكونت شانجة (سانشو) بن غرسية، أمير قشتالة، وعرضوا عليه أن يساعدهم مقابل التنازل له عن بعض الحصون الواقعة على الحدود، فقبل وأمدهم بالجند،[3] وسار المستعين في جموع البربر مدعومين بالقوات القشتالية صوب قرطبة، واشتبكوا مع المهدي وقواته يوم السبت ١٣ ربيع الأول ٤٠٠هـ/ تشرين الأول ١٠٠٩م، وسرعان ما دب الفزع في جيش قرطبة وانهزم، وتبعه البربر، وقتلوا منه ـ كما تقول بعض الروايات ـ ثلاثين ألفا.[4]

وقد نجا المهدي من هذه المعركة، ولجأ إلى قصر الخلافة في قرطبة حيث تحصن، وأظهر الخليفة الشرعي هشاما المؤيد الذي كان قد سجنه موهما الناس بأنه مات، غير أن هذه الخطوة لم

---

١. شقندة: قرية تقع على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير مقابل قصر الخلافة على الضفة اليمنى للنهر، وقد أصبحت بمرور الزمن حيا عامرا من أحياء قرطبة الجنوبية عرف ب(ربض شقندة). المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٥٠؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١٤٣؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٥٤٩.

٢. المقري، المصدر السابق، ج١، ص٤٢٨؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٨٣؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج١، ص٥٥٥؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس** ، **العصر الأول ـ القسم الأول** ، **من الفتح إلى بداية عهد الناصر** ، ص٦٤٦.

٣. عبدالحليم، رجب محمد، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف**، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص٢٦٤؛ عنان، المرجع السابق، ص٦٤٦؛ حتامله، **موسوعة الديار الآندلسية**، ج٢، ص٨٤٥؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٢٩ـ ٤٣٠.

٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٨٣؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٩٣؛ عنان، المرجع السابق، ص٦٤٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٣٠.

تقنع البربر إذ قابلوها بجفاء وسخرية، وخاصة أنهم كانوا يعتقدون أن المؤيد قد مات فعلا، وتمسكوا بالخليفة المستعين.(١)

وأدرك المهدي أن نهايته ستكون حتمية على يد البربر إن بقي في قرطبة، ولذلك فر إلى طليطلة (Toledo)(٢) التي كانت موالية له، ومنها أخذ يدبر أمره، ويعد الخطط مع الثغور التي كانت ما تزال على طاعته من أجل مهاجمة قرطبة، واستعادة كرسي الخلافة.

وعندما علم المستعين بما يدبره المهدي خرج في قواته من قرطبة باتجاه طليطلة، ودعا أهلها إلى طاعته، فأبوا، وعندئذ استأنف تحركه لإخضاع المهدي بالقوة، ووصل إلى مدينة سالم الواقعة إلى الشمال من مدريد، وحاول استمالة أهلها إلا انهم أعرضوا عنه. وكانت الظروف الطبيعية في تلك الأثناء قاسية ، فالبرد شديد، والثلوج تهطل بغزارة، وقد تكالبت هذه الظروف مع الفشل الذي

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ـ القسم الأول ، من الفتح إلى بداية عهد الناصر** ، ص٦٤٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٣٠.

٢. طليطلة: يلفظ اسمها بضم الطاءين، ووردت في بعض المصادر بضم الأولى وفتح الثانية، وهي مدينة تقع في وسط شبه الجزيرة الأيبيرية على بعد ستين ميلا إلى الجنوب الغربي من مدريد، وتعد من حيث موقعها مركز الأندلس، وتشتهر بجناتها اليانعة، وفواكهها المنقطعة النظير. وكان أهل طليطلة في عهدها الإسلامي كثيري الثورات وخاصة في عهد الدولة الأموية ، غير ان الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ـ ٣٥٠هـ/ ٩١٢ـ ٩٦١م) تمكن من إخضاعها سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م. البكري، أبو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو (ت . ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، **جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك** (تحقيق عبدالرحمن الحجي) ، دار الإرشاد للطباعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٨م، ص٨٦؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٩ـ ٤٠؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي(ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب)، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٥، ص٢٨٨؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٣٩٣؛ العمايرة، محمد نايف جريوان، **مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان** ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م؛ ص١٠٦ـ ١٠٩؛ حتاملة، **الأندلس**، ص٤٣١؛ عنان، المرجع السابق، ص٦٤٧.

مني به في إقناع أهل طليطلة وأهل مدينة سالم بالإنضمام إليه، واضطره ذلك إلى الرحيل عائدا إلى قرطبة، وذلك في أواخر شعبان سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م .[١]

واستغل المهدي فرصة انسحاب المستعين وعودته إلى قرطبة، وأخذ يعد العدة لاسترجاع كرسي الخلافة، فقد أغرى بعض القادة الموالين للمستعين بالإنضمام إليه، وتمكن من ذلك، ومن هؤلاء القائد العسكري أحمد بن وداعة، وابن سلمة، صاحب الشرطة، وواضح العامري، قائد الثغر الأعلى.[٢]

وكان واضح العامري من أبرز القادة الذين غدروا بالمستعين وخانوه، بل غدر بالمسلمين عامة، فقد أبدى استعداده للتحالف مع أعدائهم النصارى ضد بعضهم بعضا، إذ اتصل بامير برشلونة الكونت رامون بوريل، واتفق معه على أن يمده بجيش من النصارى لمحاربة المستعين ومن معه من البربر في قرطبة، وكان هذا الإتفاق يقضي بالتخلي للنصارى عن مدينة سالم، وبدفع أموال طائلة للنصارى، وبالسماح لهم بالإستيلاء على كل ما يغنمونه من البربر بما في ذلك السلاح والنساء. [٣]

وقد وصلت جيوش النصارى برفقة واضح العامري إلى طليطلة، وفيها تم إعداد خطة الهجوم على قرطبة مع المهدي، ثم سارت حشودهم صوب قرطبة، واشتبكت مع البربر بقيادة المستعين في موقع قريب منها يدعى عقبة البقر(El-Vacar)[٤] وقد تمكن النصارى خلال هذه الملحمة من

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٩٣؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ـ القسم الأول** ، ص٦٤٧ـ ٦٤٨؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٣١.
٢. ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٣، ص٩٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٣١.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٩٤؛ عنان، المرجع السابق، ص٦٤٨.
٤. عقبة البقر: يقع هذا الموقع على بعد عشرين كيلومترا إلى الشمال من قرطبة، على الطريق المتجه إلى طليطلة، وفيه حصن. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٢٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٧١٥.

اختراق صفوق البربر، وعندما رأى المستعين ذلك ظن أن الهزيمة حلت بالبربر فلاذ بالفرار، غير أن البربر تمكنوا من شن هجوم كاسح على النصارى، وقتل كثيرين منهم، ومع ذلك لم يواصلوا المعركة، وإنما أخلوا ساحتها عندما علموا بفرار المستعين.[١]

ودخل المهدي قرطبة في اليوم التالي وإلى جانبه واضح العامري، واعتلى كرسي الخلافة مجددا، وكان أول من بايعه الخليفة السابق هشام المؤيد[٢] ثم بدأ بمطاردة البربر، وكان معه ثلاثون ألف فارس من المسلمين وتسعة آلاف من النصارى، ووقعت بين الطرفين معركة طاحنة في ذي القعدة سنة ٤٠٠هـ/ حزيران ١٠١٠م كان النصر فيها للبربر، وهو الأمر الذي أدى إلى ارتداد المهدي إلى قرطبة، بينما انسحب من بقي من النصارى بعد أن قتل منهم نحو ثلاثة آلاف عائدين إلى بلادهم، وقد غنم البربر كثيرا من أسلحتهم وخيلهم ومتاعهم. [٣]

ورجع المستعين ـ وقد بلغه انتصار البربر ـ لقيادتهم، بينما تحصن المهدي في قرطبة، واستعد للدفاع عنها ضد البربر الذين أخذوا يغيرون على أطرافها.[٤] وبينما كان المهدي يستعد لأخذ زمام المبادرة من أجل القضاء على البربر حدث مالم يكن في حسبانه، فقد غدر به العامريون بقيادة واضح العامري، فقدأخرجوا هشاما من محبسه في القصر، وأجلسوه على كرسي الخلافة، وأتوا بالمهدي بين يديه وضربوا عنقه.[٥]

وبعد استعادته الخلافة، عين هشام المؤيد واضح العامري في منصب الحجابة، وأرسل برأس المهدي إلى المستعين وحلفائه البربر داعيا إياهم إلى طاعته، غير أنهم رفضوا، وهاجموا قرطبة

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب** ، ج٣، ص٩٥ـ ٩٦.
٢. المصدر نفسه، ج٣، ص٩٥؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٣٢ـ ٤٣٣.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٩٥ـ ٩٦؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس** ، **العصر الأول ـ القسم الأول**، ص٦٤٩؛ عبد الحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية**، ص٢٦٦.
٤. عنان، المرجع السابق، ص٦٤٩؛ حتامله، الأندلس، ص٤٣٣.
٥. ابن الأثير ، عزالدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن واحد الشيباني (ت . ٦٣٠هـ) ، **الكامل في التاريخ** ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ،ج٧، ص٨٥؛ عنان، المرجع السابق، ص٦٤٩؛ حتامله، المرجع السابق، ص٤٣٤.

بعد حصارها، وقتلوا كثيرين من أهلها، كما قتلوا واضح العامري، وأخذوا يغيرون على ضواحي المدينة، وينهبون ويحرقون ويقتلون ويرتكبون الفظائع.[١] ثم اقتحم المستعين والبربر مدينة قرطبة، وقاتلوا أهلها قتالا شديدا، وهزموهم هزيمة شنيعة في شوال من سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م.[٢]

ولم يلبث المستعين أن دخل قصر الخلافة بقرطبة في شوال سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م ، وخلع هشام المؤيد الذي غاب خبره منذ تلك اللحظة، واحتل مكانه، ومكث فيه حتى سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م حيث قتله علي بن حمود الحسني الذي دخل إلى الأندلس قادما من المغرب، ودعا لنفسه بعد أن التف البربر حوله.[٣]

ولم يكتف البربر بنهب قرطبة وتخريبها وإنما خربوا الزهراء(Al- Zahra)[٤] أيضا ، ونهبوها، ودمروا كل شيء فيها بما في ذلك دار الصناعة، ودار السكة، والدواوين، فأصبحت

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٠١- ١٠٤.
٢. المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٦- ١١٢؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٢٩؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ـ القسم الأول**، ص٦٤٩- ٦٥٠.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١١٣وما بعدها؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص٤٣٠؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٨٤؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٩٥ حتامله، **الأندلس**، ص٤٣٥- ٤٣٦؛ عنان، المرجع السابق، ص٦٥٠- ٦٥٣.
٤. الزهراء: مدينة محدثة بناها الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر(٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م)، وقد بدأ بناءها سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م، واستغرق خمسا وعشرين سنة، وكانت تلك المدينة أشبه بالحدائق المعلقة، فقد كانت متدرجة البنية يعلو بعضها بعضا، وكان موقعها على سفح جبل العروس الواقع شمال غرب قرطبة هو الذي أتاح تدريجها على هذا النحو. وقد بني في القسم الأعلى من المدينة القصر الخلافي، وخصص القسم الأوسط لزراعة البساتين، بينما احتوى القسم السفلي على المسجد الجامع ودور أكابر الدولة وغيرهم. وكانت الزهراء تضم دار السكة، ودار الصناعة، والدواوين، حيث نقلها الناصر إلى الزهراء من قرطبة. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٥٨، الحميري، **الروض المعطار**، ص٢٩٥؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٤٩٥- ٤٩٨.

المدينة بعد هذه النكبة التي ألمت بها على يد البربر أثرا بعد عين.[١]

وهكذا فإن قرطبة التي كانت ـ كما يصفها ابن حوقل ـ أعظم مدينة بالأندلس، " وليس بجميع المغرب لها شبيه، ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهل، وسعة رقعة، وفسحة أسواق، ونظافة محال، وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق"،[٢] وكذلك الزهراء التي كانت مزدحمة بالأسواق والحمامات والخانات والقصور والمتنزهات،[٣] قد آلتا إلى الخراب، وقضت الفتنة على كثير من سكانهما بمن فيهم العلماء والصناعيون بالموت والتشريد.[٤]

وليس من شك في أن كثيرين من سكان قرطبة الذين ناهز عددهم النصف مليون نسمة،[٥] قد لاذوا بالفرار قبل أن تعصف بهم وتقضي عليهم فتنة البربر التي كانت " سببا في تفريق البلاد، وتملك أصحاب الطوائف".[٦] وتفرق هؤلاء بمن فيهم أرباب الصناعات في أنحاء الأندلس طلبا للأمان، وحل بعضهم في مدينة قونكة، واستأنفوا صناعة ما كانوا يصنعونه في قرطبة والزهراء.[٧]

---

١. الحميري، **الروض المعطار**، ص٢٩٥؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٩٥؛ سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، ج١، ص٢٥٦ـ ٢٥٧؛ هلال، جودة وصبح، محمد محمود، **قرطبة في التاريخ الإسلامي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص٥٩ـ ٦٩.
٢. ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي(ت. ٣٦٧هـ)، **كتاب صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص١٠٧، ١٠٨.
٣. المصدر نفسه، ص١٠٧.
٤. عباس، إحسان، **تاريخ الأدب الأندلسي(عصر سيادة قرطبة)**، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م، ص١٣٣، ١٣٧.
٥. عنان، محمد عبدالله، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص١٩.
٦. ابن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ق١، م١، ص٣٧.
٧. سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس** ، ج٢، ص١٣٤.

لقد انتقلت إلى قونكة بعض الفنون والصناعات التي كانت مزدهرة في قرطبة وضاحيتها الزهراء، ومنها صناعة النسيج، فقد كان يصنع في قونكة وطاء الصوف الذي لا يمكن صنعه في غيرها.[١] كما اشتهرت بفن صناعة التحف العاجية الذي يتمثل أروع تمثيل في التحف المصنوعة من العاج، وكانت هذه التحف تصنع في دار الصناعة بالزهراء لجواري الخلفاء المحظيات عندهم، وكذلك لزوجاتهم، وكن يستعملنها لحفظ العطور والحلي وأدوات الزينة.[٢]

وقد أدى انتقال بعض الفنانين والصناع هربا من فتنة البربر في قرطبة إلى قونكة، إلى إنشاء دور للصناعة فيها، ومنها مصنع أنشيء ليخدم كبار رجال المدينة، حيث كانت تصنع فيه قطع فنية دقيقة، غنية بالزخارف، رائعة الجمال.[٣] ومن القطع الفنية التي صنعت في قونكة صندوق مربع الشكل من مخلفات إسماعيل بن ذي النون(الظافر)، صاحب طليطلة،[٤] وقد نقش على جوانب الصندوق ما يلي: " بسم الله الرحمن الرحيم بركة دائمة ونعمة شاملة وعافية باقية وغبطة طائلة وآلاء متتابعة وعز وإقبال وإنعام واتصال وبلوغ آمال لصاحبه أطال الله بقاه مما عمل بمدينة قونكة بأمر الحاجب حسام الدولة أبي محمد اسماعيل بن المأمون ذي المجدين ابن الظافر ذي الرياستين أبي محمد بن ذي النون أعزه الله في سنة إحدى وأربعين وأربع مائة عمل عبدالرحمن بن زيان"[٥]

لقد شجع بنو ذي النون بعض صناع قرطبة على الإستقرار في قونكة التي أصبحت في عهد

---

١. دندش، عصمت عبداللطيف، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ـ عصر الطوائف الثاني ٥١٠ـ ٥٤٦هـ/ ١١١٦ـ ١١٥١م**، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٨٣.
٢. سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، ج٢، ص١٣٢.
٣. الجيوسي، سلمى الخضراء (محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج٢، ص ٨٧٣؛ سالم، المرجع السابق، ج٢، ص١٣٤.
٤. ابن بسام، **الذخيرة**، ق٤، ج١، ص١٤٢.
٥. عنان، **الآثار الأندلسية الباقية**، ٣٣٩.

ملوك الطوائف إحدى مدن مملكة طليطلـة، وكانت مشاغل قونكة تنتج الكثير من الصناعات، وخاصة الصناديق الغنية بالزخارف.[١]

والجدير بالذكر أن هناك تحفا كثيرة مما صنع في قونكة تم حفظها في متحف مدينة برغش (Burgos)[٢] منها صندوق من الخشب المطعم جاء في دليل المتحف أنه صنع في قونقة سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م، وقد نقشت على الصندوق صور وعول وجياد وسباع، كما نقشت على أحد جوانبه صور نساء نصرانيات. ويبلغ طول الصندوق ثلاثين سنتيمترا، وعرضه خمس عشرة سنتيمترا. وقد نقشت على الصندوق عبارات هي:**"** باقية لصاحبه أطال الله بقاءه مما عمل بمدينة قونكة سنة سبع عشر وأربع مائة عمل محمد ابن زيان عبده أعزه الله**"**. [٣]

ويستنتج من العبارات المنقوشة على القطع الفنية التي عثر عليها في قونكة أنها كانت قد أصبحت في أوائل عهد ملوك الطوائف مدينة تضم أسواقا وصناعات، ويتوافر فيها عدد من الفنيين والصناع. كما يستنتج أن صناعاتها لم تقتصر على القطع الفنية وزخرفتها، فهي كمدينة تضم قلعة حربية، وتقع في الثغر الأوسط الأندلسي الذي كثيرا ما كان يتعرض لاعتداءات النصارى، لا بد أنها كانت تصنع الكثير مما يحتاجه السكان وما يحتاجه المدافعون عن المدينة.

---

١. سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس** ، ج٢، ص١٣٤.
٢. برغش: إحدى مدن الحدود الشمالية، وتقع في بلاد النصارى بالقرب من مدينة ليون. وهي مدينة كبيرة يشقها نهر إلى جزأين، لكل منهما سور، وقد وصفها الحميري بأنها حصينة منيعة ذات أسوار وعدد وأموال، كثيرة الكروم. وقد غزاها المسلمون أكثر من مرة، منها غزوة قادها الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م هدم خلالها قصبة المدينة، وغزوة قادها المنصور محمد بن أبي عامر سنة ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م. الحميري، **الروض المعطار**، ص٨٨؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٣٦٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٢٤٥؛ عنان، **الآثار الأندلسية الباقية**، ص٣١٦.
٣. عنان، المرجع السابق، ص٣١٦.

ويدل على تطور مدينة قونكة وأهميتها أنها أصبحت قاعدة لكورة (محافظة) تضم عـدة مـدن، ومن أهم هذه المدن ألش (Elche) [(١)] ولقنت (Alicante)[(٢)] وشقورة (Segura).[(٣)]

وتشير بعض المصادر إلى أن عدد سكان قونكة بلغ في عهد الموحدين، وتحديدا في سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م نحو سبعمائة نسمة.[(٤)] أما في الوقت الحاضر فتعتبر قونكة مدينة كبيرة إذ يتجـاوز عدد سـكانها ستة وخمسين ألفا.[(٥)]

---

١. ألش: يلفظ اسمها بفتح أوله، وسكون ثانيه، وشين معجمة. وهي مدينة تقع على مقربة من أوريولة في شرقي الأندلس، وتبعد عن لقنت وكذلك عن أوريولة خمسة عشر ميلا. وأكثر ما تشتهر به النخيل والزبيب. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٤٥؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد السلماني(ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، (تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١، ص٥٤٩؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٣١.
٢. لقنت: يلفظ اسمها بفتح أوله وثانيه، وسكون النون. وورد اسمها في (نفح الطيب) بهمزة في أولها(ألقنت)، وهي مدينة صغيرة تبعد عن ألش خمسة عشر ميلا، وتجود في أراضيها زراعة الحلفاء والتين والعنب والفواكه والبقوليات، ولها قلعة منيعة عالية يصعد إليها بمشقة وتعب. ولها ميناء تصنع فيه المراكب، وقد أصبحت هذه المدينة بعد الفتح من منازل البربر. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٢١؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٦٦؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ١٧٠؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص٢٧٤؛ ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص٤٩٩.
٣. شقورة: يلفظ اسمها بفتح أوله، وبعد الواو الساكنة راء، كما يلفظ بضم الشين المعجمة، وضم القاف، وهي مدينة تقع إلى الشمال من مدينة مرسية، والشمال الشرقي من مدينة أبدة على رأس جبل يسمى جبل شقورة، وهو جبل عال تغطيه الغابات والمراعي والورود. وقد كان معظم سكان شقورة بعد الفتح ممن ينتسبون إلى غافق بن عك بن عدنان. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص٣٥٥؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٢٩٤؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج١، ص١٧٣، ج٢، ص٣٨٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٥٥٨- ٥٥٩.
٤. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤١٦.
٥. http://ar.wikipedia.org/wiki/

أعلام ينسبون إلى قونكـة

لم أعثر - رغم رجوعي إلى عدد كبير من المصادر التاريخية وكتب التراجم والأنساب - إلا على عدد قليل من الأعلام الذين ينسبون إلى مدينة قونكة، وهم:

إبراهيم بن محمد بن خيرة أبو إسحاق القونكي

ذكر ياقوت الحموي أنه روى ببلدته عن قاضيها أبي عبدالله محمد بن خلف بن السقاط، سمع منه صحيح البخاري، وسكن قرطبة، فأخذ بها عن أبي علي الغساني كثيرا، وعن أبي عبدالله محمد بن كرج وغيرهما، وكان حافظا للحديث، ومات في شوال سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م.(١) وقد أورد الذهبي ترجمته، وذكر أنه " أكثر بقرطبة عن أبي علي الغساني وحازم بن محمد ومحمد بن فرج"(٢)

أحمد بن عبدالله أبو العباس القونكي العطار

وهو محدث أيضا، وقد روى الحديث عن أبي عبدالله بن خلف بن السقاط، وأبي محمد الشنتجالي، وكانت له رحلة حج فيها، وروى بمكة المكرمة عن كريمة المروزية، ولقي فيها أبا محمد عبدالحق الصقلي وغيره، ثم رجع إلى بلده في الأندلس، وروى عنه أبو عبدالله بن تاشفين،

---

١. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٤١٥؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت. ٩١١هـ)، **لب اللباب في تحرير الأنساب** (تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز وأشرف أحمد عبدالعزيز)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج٢، ص١٩٣.

٢. الذهبي ،شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** (تحقيق بشار عواد معروف)،ط١،دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج١١، ص٢٧١.

وأبو القاسم بن بشكوال، وتوفي سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م.[١]

هذا، وقد ولي القضاء بقونكة في عهد ملوك الطوائف محدث آخر هو:

محمد بن خلف بن مسعود بن شعيب أبو عبدالله ابن السقاط الأندلسي

وقد حج سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م، وأخذ في مكة عن أبي بكر المطوعي، ومحمد بن خميس، ونسخ بمكة صحيح البخاري. وقد كان سريع الكتابة، حسن الخط، ثقة فيما رواه وعني به. وروى بالأندلس عن أبي القاسم خلف بن أبي سرور صاحب أبي محمد الباجي، عن المنذر بن المنذر وأبي عمر الطلمنكي، وأبي عمرو الداني، وأخذ عن أبي الحسن بن بطال كتابه (في شرح البخاري). وقد كان عندما ولي القضاء بقونكة محببا إلى أهلها. ويذكر الذهبي أن ابن السقاط الأندلسي توفي بدانية (Denia)[٢] سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م ، " وكان قد امتحن في آخر عمره، وذهب ماله وكتبه ".[٣]

---

١. المراكشي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي(ت.٧٠٣هـ)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول، القسم الأول (تحقيق محمد بن شريفة)، دار الثقافة، بيروت، ص١٩٢.
٢. دانية: يلفظ اسمها بكسر النون بعد الألف، وبعد النون ياء مثناة مفتوحة، وهي مدينة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى الجنوب من بلنسية، وتعد إحدى قواعد شرقي الأندلس، ومن الموانيء الرئيسة في المنطقة، حيث كانت في هذا الميناء دار إنشاء السفن. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص٤٣٤؛ الحميري، **الروض المعطار**، ٢٣١؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٤٣٤-٤٣٥.
٣. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج١٠، ص٥٤٨.

الفصل الثاني

تاريخ مدينة قونكة في عهد ملوك الطوائف

كانت قونكة وغيرها من مدن الأندلس وقراها وأرضها تشكل دولة واحدة يمسك بزمام الأمور فيها شخص واحد هو الوالي أو الأمير او الخليفة حسب العصور التي تعاقبت عليها، غير أن هذا العقد المحكم لم يستمر كذلك، فقد بدأ بالانفراط في أواخر عهد الدولة الأموية حيث تولى الخلافة هشام بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر(المعتد بالله) في ٨ ذو الحجة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م [١] واتخذ وزيرا عديم الخبرة يدعى أبا العاصي حكم بن سعيد القزاز الذي أرهق ـ بسوء تصرفه ـ أهل قرطبة عاصمة الخلافة، وخاصة التجار منهم، فقد كان يأخذ أموالهم ويعطيها للبربر الذين كانوا يعتبرونهم ألد أعدائهم لما فعلوه بهم في عهد الخليفة الأموي المستعين كما سبق أن ذكرت في الفصل السابق.[٢]

لقد نقم أهل قرطبة على الخليفة هشام المعتد بالله ، لأنه لم يفعل شيئا لثني وزيره القزاز عن سلوكه تجاههم، وقرروا التخلص منه، وقد خلعوه فعلا بعد أن تمكنوا من قتل وزيره، وذلك سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م[٣] ولم يكتفوا بذلك، وإنما تزعم أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور[٤] حركة عارمة ضد الأمويين أخذ مناديها ينادي في الأسواق بضرورة مغادرتهم جميعا مدينة قرطبة محذرا من يبقى فيها منهم، يقول ابن عذاري: " وكان القائم بالحال في إخراج المعتد بالله أبا الحزم بن جهور، فمن هذا التأريخ كثرت الفتنة وتمادت، وانتزى كل أحد في موضعه، واستبد رؤساء

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٤٥؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٩٠؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٥٤.
٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٠٦ـ ١١٢؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٢٩؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ـ القسم الأول**، ص٦٤٩ـ ٦٥٠؛ حتامله، المرجع السابق، ص٤٥٤.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٤٥ـ ١٤٦؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٧، ص٢٩٠.
٤. ابو الحزم جهور: هو جهور بن محمد بن جهور بن عبدالملك بن جهور بن عبدالله بن احمد بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبدالغافر بن يوسف بن بخت، كان من وزراء بني عامر الذين تولوا الحجابة منذ عهد الخليفة الأموي الحكم الثاني (المستنصر بالله) (٣٥٠ـ ٣٦٦هـ/ ٩٦١ـ ٩٧٦م)، وقد تجنب أبو الحزم جهور كل الفتن التي عصفت بالأندلس في أواخر عهد الدولة الأموية، وأظهر حرصا شديدا على الجماعة مما جعل أهل قرطبة يولونه ثقتهم، ويفوضون إليه أمرهم. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٨٥ـ ١٨٦؛ حتامله، المرجع السابق، ص٤٦٠ـ ٤٦١.

الأندلس وثـوارها فيما في أيـديهم من البلاد والمعاقل، وبغى بعضهم على بعض، ولله الحول والقوة."[١]

وهكذا يمكن اعتبار سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م بداية لتأريخ عصر دول الطوائف الذي لابد للتعرف على تاريخ مدينة قونكة فيه من التعرف على دولهم من حيث نشأتها وتاريخها، ومن ثم على علاقات بعضها مع ملوك النصارى، وخاصة دولة بني ذي النون الذين أنشأوا مملكة لهم في طليطلة، وكانت قونكة إحدى مدنها، وهي المدينة التي ظلت موالية لهم حتى في أحلك الظروف التي ألمت بهم، كما سيأتي.

عصر دول الطوائف

أ. ملوك الطوائف

وردت في المصادر والمراجع التاريخية تسميات مختلفة لهذا العصر، منها: عصر ملـوك الفتنــة [٢] ومنهـا: عصـر أصحاب الطـوائف.[٣] ووردت تسـميتهم: ملـوك الطـوائف لـدى المراكشي في (المعجب)، وفي (ذكر بلاد الأندلس) لمؤلف مجهـول وغيرهما.[٤] ومـن المـؤرخين من اعتبر دول الطوائف: ممالك ، وتحدث عنها بهذه الصفة. [٥] ورأى آخرون أن الذين حكمواهذه

١. ابن عذاري، **البيان المغرب** ، ج٣، ص١٥٢.
٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٨٧.
٣. ابن بسام، **الذخيرة** ، ق١، م١، ص٣٧.
٤. المراكشي، **المعجب**، ص١٢٤؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، (تحقيق لويس مولينا)مدريد، ١٩٨٣م، ج١، ص٢١٥.
٥. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،** ص٧١وما بعدها.

الدول إنما هم أمراء وليسوا ملوكا.[١] وأيا كانت التسمية فإن مدلولها واضح في وصف ما آلت إليه الآندلس من تفتت إلى عدة ممالك غلب على تسمية من أنشأوها: ملوك الطوائف[٢] وكانت الطوائف التي اشتق منها اسم (ملوك الطوائف) ثلاث فئات هي: البربر والصقالبة (موالي العامريين) [٣] والأندلسيون، وتضم فئة الأندلسيين: المسلمين المتحدرين من أصل عربي وأيبيري، وبعض المتحدرين من البربر الأوائل الذين انصهروا مع العرب والأيبيريين الذين أسلموا في بوتقة واحدة.[٤]

وبغض النظر عن التسمية التي عرفت بها دول الطوائف: دويلات أو إمارات أو ممالك، فإنه لم يكن لأحد من ملوك الطوائف " في الخلافة إرث، ولا في الإمارة سبب، ولا في الفروسية

---

١. عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧م، ص١١.

٢. الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٢٦؛ عبدالحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف**، ص٢٧١.

٣. يرجع الصقالبة أو السلاف (Slave) إلى بعض القبائل التي كانت تسكن شرقي أوروبا، وقد تعرضت بلادهم للغزو الجرماني، ونهبت خيرات بلادهم، وسبي كثيرون من أبنائهم، وأطلق على هؤلاء المسبيين اسم السلاف، وأطلق على أسرى الحرب منهم اسم(الصقالبة). وقد استخدم الصقالبة خلال العهد الأموي في الأندلس، وخاصة في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) في إخماد الثورات الداخلية وفي الحروب ضد النصارى، ومن هؤلاء موالي بني عامر الذين كانوا يشكلون عندما انهارت الدولة الأموية قوة كبيرة، وقد زاحموا غيرهم من البربر والعرب في الاستئثار بحكم بعض المناطق في الأندلس. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٤٥؛ بولعراس، خميسي، **الحياة الإجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ٤٠٠- ٤٧٩هـ/ ١٠٠٩- ١٠٨٦م**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ١٤٢٧- ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٦- ٢٠٠٧م، ص٤٦- ٥١؛ حتامله ، **الأندلس** ، ص٤٦٦وما بعدها؛ العبادي، أحمد مختار ،**في تاريخ المغرب والأندلس** ، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر، ١٩٨٦م ،ص٢٧٦-٢٧٧.

٤. وات، مونتغمري، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ترجمة محمد رضا المصري، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٨م، ص١٠٢.

نسب، ولا في شروط الإمامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار، واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والأمصار، وجندوا الجنود، وقدموا القضاة، وانتحلوا الألقاب.."[١]

ويمكن قسمة ملوك الطوائف في أربع فئات هي: موالي بني عامر. والبربر ومنهم: بنو زيري الصنهاجيون، وبنو الأفطس الذين انتسبوا إلى قبيلة تجيب العربية، وبنو ذي النون، وبنو رزين. والفئة الثالثة هي العرب، ومنهم: بنو عباد اللخميون، وبنو هود الجذاميون، وبنو القاسم الفهريون، وبنو حمود الحسنيون. أما الفئة الرابعة فيمثلها موالي بني أمية، وهم بنو جهور الذين سبقت الإشارة إليهم.[٢]

لقد انتشرت دول الطوائف في طول البلاد وعرضها، وبذلك تجزأ الوطن الواحد إلى أوطان عديدة، وأصبح لكل عشيرة أو كل طائفة من السكان حكومتها، وانتحل زعيمها لقبا سلطانيا، واتخذ الحجاب والوزراء، وصار ملكا.[٣] وقد بلغ مجموع هؤلاء ـ إذا ما أخذنا بالإعتبار بعض المدن التي استقلت بنفسها قبل أن يتم إخضاعها لممالك أقوى منها ـ نحو الثلاثين ملكا وأميرا [٤]. وكان هؤلاء يتقاتلون طمعا، ويعلنون الحرب على بعضهم من أجل الإستئثار بهذه المدينة أو تلك، ويدفعون الجزية للنصارى استقواء بهم ضد بعضهم بعضا. وكان النصارى بدورهم يتربصون بملوك الطوائف جميعا. ويتحينون الفرص لاحتال ما بأيديهم من مدن وبلدات.[٥]

---

١. ابن الخطيب، لسان الدين، **تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام** (تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال)، ط٢، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦، ص١٤٤.
٢. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٣٨ـ ٤٤٢؛ عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ص١١ـ ١٤.
٣. عبدالحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف**، ص٢٧١.
٤. دوزي، رينهرت، **المسلمون في الأندلس**، (ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م، ج٣، ص٢١٦ـ ٢٢٤.
٥. مكي، الطاهر أحمد، **دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة**، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٥١؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص١٧؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص٣٢٣.

ونظرا للعلاقات السياسية والعسكرية المتشابكة بين ملوك الطوائف وبينهم وبين النصارى، وتأثير هذه العلاقات على مدينة قونكة، أرى إعطاء فكرة موجزة عن هؤلاء الملوك باستثناء بني ذي النون ملوك طليطلة الذين خضعت قونكة لحكمهم[١]، وكان لها شأن في تاريخ مملكتهم، حيث سيتم تناول هذه المملكة بتفصيل أكثر.

بنو جهور في قرطبة

ربما كان حكم بني جهور في قرطبة استثناء للقاعدة التي ميزت حكم ملوك الطوائف الآخرين من حيث اتخاذ الحجاب والوزراء، والجلوس على كرسي الخلافة، واتخاذ الألقاب السلطانية، فقد كان أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور الذي أعلن إلغاء الخلافة سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م ، وولاه القرطبيون حكمهم إنما هو " شيخ الجماعة" الذي أدار حكومة قرطبة ببراعة ونباهة.[٢]

وكان أبو الحزم جهور رئيس حكومة من نوع خاص، فهو غير طامع في الملك، كما كان حريصا على التواصل مع الناس كواحد منهم، وقد نعمت قرطبة في عهده الذي انتهى بوفاته سنة ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م[٣] بالأمن والإستقرار، فلم تتعرض لاعتداءات ملوك الطوائف بحسن سياسته وتدبيره، حيث داراهم، وتمكن من درء أخطارهم عنها.[٤] كما أن قرطبة في عهده أصبحت ملاذا آمنا لمن التجأ إليها من بطشهم.[٥]

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٦٥؛حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٩٠٦-٩٠٧.

٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢١٠- ٢١١، ٢١٣، ٢٣٤؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص٣٢٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٦٠.

٣. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٩١؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٨٧؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٤.

٤. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص١٤٨؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٧، ص٢٩١؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٤؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٢٢.

٥. حتامله، **الأندلس**، ص٤٦٢.

وتولى الحكم في قرطبة بعد أبي الحزم جهور ابنه محمد، فقد بايعه أهل قرطبة، ولقبوه (الرشيد) واستمر في بداية حكمه على سياسة أبيه، وقد طلب من أهل قرطبة مبايعة ابنه عبدالملك وليا للعهد، فأسخطهم ذلك وخاصة أنه، أي عبد الملك، كان فاسد الإدارة، سيء الخلق. وقد نافس عبدالملك أخوه الأكبر عبدالرحمن على السلطة في حياة أبيهما الرشيد الذي قسم " الرياسة بينهما مدة حياته"[١] وبعد وفاته سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م اشتد التنافس بين الأخوين، وتغلب عبدالملك على عبدالرحمن واستبد بالأمر دونه، ثم فرض عليه الإقامة الجبرية في منزله، وأهانه.[٢] وأصبحت قرطبة في عهد عبدالملك تعاني من سوء حكمه، وتسعى للخلاص منه، وقد واتت أهلها الفرصة عندما غزاها المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة، فقد اضطر عبد الملك إلى طلب العون من حليفه المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية(Sevilla)[٣] فأعانه، وتمكن بمساعدة أهل قرطبة من دحر بني ذي النون[٤] وما أن انتهى غزوهم لقرطبة حتى اتفق أهلها سرا على خلع عبدالملك بن جهور وتولية المعتمد بن عباد عليهم. وقد تمكنوا من ذلك ، ووقع عبدالملك في أسر ابن عباد الذي أنهى بذلك حكم بني جهور لقرطبة سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م.[٥]

بنو عباد في إشبيلية (٤١٤ - ٤٨٤هـ/ ١٠٢٣ - ١٠٦٩م)

يعتبر بنو عباد من أقوى الأسر العربية الحاكمة بين الأندلسيين،[٦] وقد أسس دولتهم في

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٣٢- ٢٣٣، ٢٥٦.
٢. المصدر نفسه، ج٣، ص٢٥٨.
٣. إشبيلية: تقع على نهر الوادي الكبير إلى الجنوب الغربي من قرطبة، وهي مدينة موغلة في القدم، وكانت من فتح موسى بن نصير سنة ٩٣هـ/ ٧١٢م. وسكنها بعد الفتح العرب والبربر، وقد ازدهرت إشبيلية في عهد الخلافة الأموية، وبعد انهيار دولة الأمويين انتزى بإشبيلية بنو عباد اللخميون، وكان أشهرهم المعتمد بن عباد. الزهري، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر(ت. ٥٥٦هـ/١١٦٠م)، **كتاب الجعرافية** (تحقيق محمد حاج صادق)، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٤م، ص٨٨؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص١٩٥؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٧٨- ٧٩.
٤. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٥٧- ٢٥٩.
٥. المصدر نفسه، ج٣، ص٢٥٩؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٦٥.
٦. وات، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ص١٠٣.

إشبيلية القاضي أبو الوليد إسماعيل بن عباد، ثم اتسعت من حيث الرقعة الإقليمية، والزعامة السياسية، والقوة العسكرية حتى أصبحت أكبر دول الطوائف.[١] وكان إسماعيل بن عباد يعمل بهدوء وصمت على جمع خيوط الرياسة في يده وعلى الإستئثار بحكم مدينته. وقد ساعده على ذلك دهاؤه وبعد نظره من ناحية، وثراؤه الواسع من ناحية أخرى.[٢] وقد ظل يشغل منصب قاضي إشبيلية إلى أن شاخ، وذهب بصره، وعندئذ ندب ابنه أبا القاسم محمد ليشغل مكانه.[٣]

وقد حاول أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد إحياء الخلافة الأموية في الأندلس، حيث عمد إلى شخص يدعى خلف الحصري يشبه الخليفة الأموي هشام المؤيد بالله الذي اختفى عن مسرح الأحداث في أواخر عهد الدولة الأموية، وادعى أنه الخليفة هشام، ودعا الناس إلى بيعته، فبايعه كثيرون من زعماء الأندلس، وأقروا بخلافته، وذلك في المحرم سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م.[٤]

---

١. عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ص١٣؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٣١.

٢. عنان، المرجع السابق، ص٣٢.

٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٩٤؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٠.

٤. كان هشام المؤيد قد انقطع خبره مدة نيف وعشرين سنة، وجرت أحوال مختلفة في هذه المدة، ثم قيل للقاضي محمد بن اسماعيل بن عباد بعد تملكه إشبيلية : إن هشام بن الحكم في مسجد بقلعة رباح، فأرسل إليه من أحضره، وفوض الأمر إليه، وجعل نفسه كالوزير بين يديه. وتذكر بعض المصادر أن هشاما المؤيد هرب من قرطبة عام أربعمائة متنكرا، ووصل مكة المكرمة ومعه كيس جواهر، فشعر به حرامية مكة، فأخذوه منه، وبقي يومين لم يطعم، ثم عمل في الطين وتقوت، ثم وصل إلى القدس مع إحدى القوافل التجارية، وتعلم فيها نسج الحصر، ثم رجع إلى الأندلس سنة ٤٢٤هـ وتنقل فيها، وانتهى إلى قلعة رباح حيث أقام، وربما عمل في صناعة الحصر متخذا اسم خلف الحصري حتى لا ينكشف أمره، ولما علم القاضي ابن عباد بأمره أحضره إلى إشبيلية. فخلف الحصري ـ كما تدل هذه الروايات ـ هو نفسه هشام المؤيد. أنظر: ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر(ت ٦٨١هـ) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (تحقيق إحسان عباس) ، دار صادر، بيروت، ج٥، ص٢٢؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)،سير أعلام النبلاء،(رتبه وزاد فوائده واعتنى به حسان عبد المنان)، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م، ص ٤٠٧٩ ـ ٤٠٨٠؛ كيلاني، كامل، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام للعلامة دوزي، ط١، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ١٣٥١هـ/١٩٣٣م، ص٣١- ٣٣.

وقد استغل أبو القاسم هذه القصة في تثبيت ملكه في إشبيلية، غير أن المنية عاجلته في جمادى الأولى سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤٢م.[١]

وتولى السلطة في إشبيلية بعد القاضي أبي القاسم محمد ابنه أبو عمرو عباد بن محمد، وتلقب بالمعتضد، وذلك سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤٢م.[٢] وكان شهما صارما ذا دهاء، عمل على توسيع مملكته على حساب ملوك الطوائف الآخرين، ودارت حروب بينه وبين بني الأفطس ملوك بطليوس (Badajos)[٣]، وقد توسط لإنهاء النزاع بين المملكتين صاحب قرطبة، وتمكن من عقد صلح بينهما سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م.[٤]

وقد تمكن المعتضد بن عباد من توسيع مملكته على حساب ملوك وأمراء الطوائف الآخرين بحد السيف، وشملت مملكته مناطق واسعة في جنوبي الأندلس، وامتدت غربا حتى شواطيء المحيط الأطلسي.[٥]

وتوفي المعتضد بن عباد سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م [٦] وولي بعده ابنه أبو القاسم محمد بن عباد

---

١. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٩١؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠١؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٩٠.
٢. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٠٤؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص٢٠٤؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٣٩.
٣. بطليوس: تلفظ بفتحتين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة، وهي مدينة قديمة تقع على الضفة اليمنى لنهر وادي يانه في غربي الأندلس قرب الحدود الإسبانية البرتغالية الحالية. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٤٤٧؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص٣٦٣؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٩٣؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٧٦؛ ابن حيان، حيان بن خلف (ت. ٤٦٩هـ)، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس** ، (تحقيق محمود علي مكي)، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٦٣٠؛ العمايرة، **مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان**، ص٢٥٢- ٢٥٤.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٢؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٢٧١.
٥. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٤، ٢٤٩؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٩٥.
٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩١؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٣.

(المعتمد على الله) الذي سار على سياسة أبيه في التوسع، فقد استولى على قرطبة، واتجه شرقا وجنوبا حيث امتدت مملكة إشبيلية في عهده إلى مدينة مرسية (Murcia)[١] وشملت معظم أراضي مملكة بني ذي النون في طليطلة، وخاصة أراضيها الجنوبية الشرقية حتى مدينة قونكة.[٢].

وضمت مملكة إشبيلية في الجنوب مملكة غرناطة (Granada)[٣] التي كان يحكمها الصنهاجيون البربر بقيادة باديس بن حبوس بن ماكسن الذي خلفه بعد وفاته سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م حفيده عبدالله بلقين[٤]،وفي عهد هذا الأخير اشتعلت الحرب بين مملكة غرناطة ومملكة إشبيلية، واستعان المعتمد بن عباد بملك قشتالة الفونسو السادس، ودفع له أموالا طائلة ليدعمه

---

١. مرسية: يلفظ اسمها بضم الميم وسكون الراء المهملة وكسر السين وياء مفتوحة خفيفة وهاء، وهي مدينة تقع في شرقي الأندلس، قرب البحر الأبيض المتوسط حيث تبعد عن شاطئه الغربي نحو أربعة وستين كيلومترا فقط، وقد ذكرت بعض المصادر أنها بنيت في عهد الأمير الأموي عبدالرحمن الثاني (الأوسط)(٢٠٩ـ ٢٣٨هـ/ ٨٢٢ـ ٨٥٢م)، واتخذت دارا للعمال، ومقرا للقواد الأمويين. ياقوت، المصدر السابق، ج٥،ص١٠٧؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٥٣٩؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٦٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص١٠٣٧.

٢. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٧٦.

٣. غرناطة: يلفظ اسمها بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون، وبعد الألف طاء مهملة، ويلفظ أيضا (أغرناطة) بالهمز، وهي مدينة تقع في واد عميق إلى الجنوب الشرقي من قرطبة، وتبعد عن شاطيء البحر المتوسط شمالا نحو سبعين كيلومترا، وقد استولى على غرناطة البربر الصنهاجيون بقيادة زاوي بن زيري بن مناد سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م، واستولى عليها منهم ملك إشبيلية المعتمد بن عباد، ثم عادت إلى حكم البربر حتى استولى عليها المرابطون سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٩٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٤٧، ٢٩٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٠٧؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص١٠٥ـ ١٠٨؛ فرحات، يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٠٢ـ ٢٠٣؛ حتامله، موسوعة الديار الأندلسية، ج٢، ص٧٢١ـ ٧٣٥

٤. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٦؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٩٤؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٩٨ـ ٤٩٩.

ضد إخوانه المسلمين من البربر، غير أن الفونسو ماطل في تقديم الدعم المطلوب بهدف إضعاف المسلمين في الأندلس عن طريق الإقتتال فيما بينهم، وهو الأمر الذي أدى إلى إدراك المعتمد وبلقين أن التفاهم أفضل لهما فتفاهما وذلك في أواخر سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م .[١]

وقد اشتد خطر النصارى على الأندلس في عهد المعتمد بن عباد الذي خشي على مملكته، فبدأ يستعد لمواجهة ملك قشتالة الفونسو السادس، وكان من بين استعداداته الإستغاثة بالمرابطين الذين أغاثوه، ثم استولوا على مملكة إشبيلية سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩٢م[٢] كما سيأتي تفصيله في الفصل التالي من هذه الدراسة.

بنو هود في سرقسطة

كانت سرقسطة (Zaragoza)[٣] وما حولها من مدن وقرى تعرف قبل انهيار الخلافة الأموية واضطرام الفتنة في الأندلس بولاية الثغر الأعلى، وكان بنو تجيب، وهم من زعماء البيوتات العربية في الثغر قد تمكنوا من الإستيلاء عليها في عهد الأمير الأموي عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم (٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م)[٤] بقيادة أبي يحيى محمد بن عبد الرحمن

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٦٦؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٦؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** ، ج٤، ص٢٩٤؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٩٩.

٢. ابن خلدون، المصدر السابق ، ج٤، ص٢٠٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٠١- ٥٠٢.

٣. سرقسطة: يلفظ اسمها بفتح أوله وثانيه، ثم قاف مضمومة وسين مهملة ساكنة، وطاء مهملة. وهي مدينة تقع في شمال شرقي الأندلس على ضفاف نهر إبرو ، وقد بنيت على شكل الصليب، وتمت إحاطتها بسور فيه أربعة أبواب. وأثناء انهيار الدولة الأموية حكمها العرب التجيبيون، ثم أصبحت في عهد ملوك الطوائف حاضرة مملكة بني هود، ثم خضعت للمرابطين حتى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م حيث احتلها النصارى. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص٢١٢؛ البكري، **جغرافية الأندلس وأوروبا**، ص٩٥؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٣١٧؛ الرشاطي، **الأندلس في اقتباس الأنوار**، ص٨٠؛ مجهول، **أخبار مجموعة**، ص١٩؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٥١٠.

٤. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص، ١٧٦١٧٠؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص١٢١؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٣٥٣.

التجيبي المعروف ب(الأنقر)، وقد ظل يحكمها حتى وفاته سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م حيث خلفه ابنه المنذر الذي يعد أول أمير للثغر في عهد دول الطوائف.[١]

وكان المنذر بن يحيى التجيبي الذي تسمى بالحاجب ذي الرياستين، وتلقب بالمنصور، قد حسن علاقاته مع النصارى وكسب ودهم، وبذلك حمى بلاده منهم.[٢] وظل المنذر يحكم سرقسطة حتى وفاته سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م فخلفه ابنه يحيى الذي تلقب بالمظفر. وقد خالف المظفر سياسة أبيه في ممالأة النصارى وكسب ودهم، فعادوه، وهاجموا أطراف سرقسطة واحتلوا بعض قلاعها وحصونها.[٣]

وخلف يحيى بن المنذر بعد وفاته سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م ابنه المنذر (الحاجب معز الدولة)[٤] الذي حكم نحو عشر سنوات ثم قتل في غرة ذي الحجة ٤٣٠هـ/ آب ١٠٣٩م على يد رجل من بني عمومته يدعى: عبدالله بن حكيم، وذلك طمعا في أن يحل محله في الحكم.[٥] غير أن أهل سرقسطة لم يتقبلوه لسوء خلقه،[٦] وفي الوقت نفسه وصل المدينة أبو أيوب سليمان بن هود الجذامي الأزدي، الذي هرع إليها حالما سمع بما وقع فيها من أحداث التي ربما أغراه وضعها بضمها إلى لاردة (Lerida)[٧] التي كان قد تغلب عليها

---

١. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٩؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٢٦٥- ٢٦٦.

٢. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٧٦- ١٧٧؛ عنان، **المرجع السابق**، ص٢٦٦- ٢٦٧.

٣. عنان، المرجع السابق، ص٢٦٨.

٤. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٩؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٠٩، ٢٢١؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٠٤.

٥. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٧٨؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٠٤.

٦. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٢.

٧. لاردة: يلفظ اسمها بالراء المكسورة والدال المهملة، وهي مدينة حصينة محاطة بالأسوار تقع في منطقة الثغر الأعلى، وتبعد عن سرقسطة شرقا نحو مائة وعشرين ميلا، وتقع قرطبة إلى الجنوب الغربي منها.. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٧؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٩٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٩٢٥؛ العمايرة، **مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان** ، ص٢١٣.

عنـد وقـوع الفتنة في أواخــر عهد الدولة الأموية.[١]

وقد استولى سليمان بن هود على سرقسطة في غرة المحرم ٤٣١هـ/ ٢٣أيلول ١٠٣٩م،[٢] وحكم معظم أنحاء الثغر الأعلى، واتخذ لقبا سلطانيا هو (المستعين بالله).[٣]

وأمضى المستعين فترة حكمه التي انتهت بوفاته سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م [٤] في نزاع دائم مع بني ذي النون أصحاب طليطلة من أجل السيطرة على بعض المدن، وخاصة مدينة وادي الحجارة(Guadalajara) الواقعة على بعد سبعة وخمسين كيلومترا إلى الشرق من طليطلة، والتابعة لأصحابها بني ذي النون، حيث كان المستعين يطمع في الإستيلاء عليها.[٥]

وقسم المستعين مملكة سرقسطة قبل وفاته بين أولاده الخمسة، وكانت مدينة سرقسطة من نصيب أكبرهم (أحمد) الذي اتخذ لقبا سلطانيا هو (المقتدر).[٦] وقد تمكن المقتدر من انتزاع معظم ما في أيدي أخوته، وانتزع أيضا مدينة طرطوشة (Tortosa) الواقعة قرب ساحل البحر الأبيض المتوسط عند مصب نهر الإبرو التي كان يحكمها الفتيان العامريون، وهم الصقالبة من موالي الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر الذي كان له شــأن كبير في عهد الخليفة الأمــوي

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٧٩ـ ١٨٠ ، ٢٢١؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٠٥.
٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٢؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٩٢؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٩؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٢٧٠؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥٠٥.
٣. ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٤٥؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٢١؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٧١.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٠، ٢٢٢؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٠٦.
٥. الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٩٣؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٧١.
٦. ابن الأثير، المصدر السابق، ج٧، ص٢٩٢؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٤١؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٢.

الحكم المستنصر(٣٥٠- ٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م)[١]

وأصبح المقتدر يحكم مملكة واسعة لها منفذ على البحر المتوسط، وكانت هذه المملكة عرضة لأطماع النصارى الذين تحيط بها من ممالكهم: مملكة النافار، ومملكة أراغون، ومملكة قشتالة، حيث كانوا يشددون الضغط عليها، ويرهقون المقتدر بكثرة ما يطلبون من أموال لقاء عدم مهاجمتها.[٢]

وسار المقتدر على نهج والده في توريث مملكة سرقسطة، فقبل وفاته سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م قسمها بين ولديه: يوسف (المؤتمن) والمنذر.[٣] وقد طمع كل منهما بما في يد الآخر، وأدى ذلك إلى وقوع حرب أهلية في المملكة أضعفتها بعد قوة، وامتدت أطماع المؤتمن إلى خارج سرقسطة، حيث كان يخطط للإستيلاء على بلنسية غير أن وفاته سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م حالت دون ذلك.[٤]

وخلف المؤتمن في حكم سرقسطة ابنه أحمد الذي اتخذ لقب جده المستعين بالله لقبا له، وكان على المستعين أثناء حكمه أن يواجه النصارى الطامعين باحتلال سرقسطة، وخاصة ملك قشتالة الفونسو السادس من جهة، وأن يواجه عمه المنذر الذي كان ينافسه في الحكم من جهة أخرى. وقد استمر هذا التنافس حتى وفاة المستعين سنة ٥٠٣هـ/ ١١١٠م.[٥]

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٢٢- ٢٢٤؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١٠٠؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٠٦- ٥٠٧.
٢. حتامله، المرجع السابق، ص٥١٢.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص٥٥؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٩؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٨٦؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥١٣.
٤. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٤١؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٨٦؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥١٤؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٢٨٦.
٥. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٩١، ٩٨ ، ١١٧؛ ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص١٢٦؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص٥٣؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥١٦.

وقد آلت سرقسطة بعد المؤتمن إلى ابنه عبدالملك (عماد الدولة)، فقد بايعه أهلها مشترطين عليه عدم محالفة النصارى، أو الإستعانة بهم لأي سبب، إلا أنه لم ينفذ ما طلبوه، وهو الأمر الذي دفع بهم إلى استقدام المرابطين الذين دخلوا سرقسطة في أواخر سنة ٥٠٣هـ/ ١١١٠م بينما هرب عماد الدولة إلى حصن روطة (Rueda) الواقع إلى الغرب من سرقسطة على مقربة منها، وظل فيه حتى وفاته سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م.[١] وباستيلاء المرابطين على سرقسطة انتهى حكم بني هود فيها.

بنو الأفطس في بطليوس

ينتمي بنو الأفطس إلى جدهم أبي عبدالله بن محمد بن مسلمة المعروف بابن الأفطس، وهو من البربر، من إحدى قبائل مكناسة المغربية، غير أنه انتسب إلى قبيلة تجيب العربية، وهي إحدى قبائل لخم.[٢] وقد تمكن أحدهم، وهو أبو محمد عبدالله بن مسلمة المعروف بابن الأفطس (المنصور)، من الإستيلاء على حكم بطليوس وأعمالها من حاكمها: الفتى سابور الفارسي، وهو رجل من موالي الخليفة الحكم المستنصر، كان قد استبد بحكمها عند وقوع الفتنة بعد انهيار الخلافة الأموية.[٣]

وتمتد مملكة بطليوس من غرب مملكة بني ذي النون (طليطلة) عند نهر وادي يانه

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص٥٥؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٤١؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٤٦٤؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١١٩- ١٢٠؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٢٩٢.

٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٥؛ **جمهرة أنساب العرب**، ص٤٢٩- ٤٣١؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٥؛ عنان، المرجع السابق، ص٨٢.

٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٣٣٦؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥١٨- ٥١٩؛ عنان، المرجع السابق، ص٨١- ٨٢.

حتى المحيط الأطلسي، ومن باجه (Beja) [١] جنوبا حتى مملكة بني عباد (إشبيلية) شمالا.[٢]

وقد كانت مدينة باجة نقطة احتكاك بين مملكتي إشبيلية وبطليوس، ولذلك استولى عليها ابن الأفطس، فوقعت بسبب ذلك حروب بينه وبين بني عباد أصحاب إشبيلية ظلت تشتعل بين حين وآخر حتى وفاة ابن الأفطس سنة ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م.[٣]

وخلف المنصور في حكم بطليوس ابنه محمد (المظفر) الذي استمر في عدائه لبني عباد، وقد وجه المعتضد بن عباد سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م غارات عديدة إلى بطليوس، واستولى على بعض حصونها، وأدت الخسائر الكثيرة التي مني بها المظفر إلى الكف عن حرب المعتضد.[٤] ثم تدخل ابن جهور صاحب قرطبة بين الطرفين، وعقد صلحا بينهما [٥]، وهو ما سبق أن أشرت إليه.

ووقعت حروب أيضا بين المظفر ويحيى بن ذي النون صاحب طليطلة، وبينه وبين النصارى الذين اضطر لكف أذاهم عنه إلى دفع الجزية لهم، ومع ذلك احتلوا بقيادة ملك قشتالة وليون

---

١. باجه: مدينة قديمة مسورة، ذات شوارع عريضة، تبعد عن قرطبة غربا نحو أربعمائة وخمسين كيلومترا وقد كانت كورة من كور غربي الأندلس تتبعها مدن وقلاع وحصون. الحميري، **الروض المعطار**، ص٧٥؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٣١٤- ٣١٦؛ الرشاطي، **الأندلس في اقتباس النوار**، ص٢٥- ٢٦؛ ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص٥٥؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٨٥- ١٨٧.

٢. حتامله، **الأندلس**، ص٥١٨؛ عنان، المرجع السابق، ص٨١.

٣. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٣٦- ٢٣٧؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٥؛ عنان، ، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٨٣- ٨٤؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥١٩- ٥٢٠.

٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢١١؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥٢١- ٥٢٢.

٥. ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٥؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢١٢.

فرناندو الأول الكثير من مواقعه الحصينة.[١]

وتوفي المظفر بن الأفطس سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م [٢] وقد خلفه ابنه يحيى (المنصور) الذي سرعان ما ثار ضده أخوه عمر واستخلص حكم بطليوس لنفسه بعد وفاة المنصور فجأة سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م.[٣] وكان عمر (المتوكل) شجاعا أبيا، من أهل الرأي والحزم والبلاغة، **"**وكانت مدينة بطليوس في مدته دار أدب وشعر ونحو وعلم**"**[٤]. وقد وقعت أثناء حكمه في مملكة طليطلة أحداث كان لها صدى في مملكته،[٥] ويبدو أن المتوكل بسبب ما تعرضت له الأندلس من ضغوط النصارى قد أوعز إلى القاضي سليمان بن خلف المشهور بأبي الوليد الباجي بأن يدعو إلى توحيد الأندلس، ومن ثم إلى دعوة المرابطين لمجابهتهم.[٦] وقد أيد هذه الخطوة بقوة كل من عمر المتوكل والمعتمد بن عباد اللذين كانا يتعرضان لخطر ملك قشتالة بشكل مباشر.[٧] وستتناول هذه الدراسة دعوة المرابطين في الفصل الثالث منها.

العامريون في شرقي الأندلس

إنتقل بعض الفتيان العامريين من موالي المنصور محمد بن أبي عامر أثناء الفتنة التي أطاحت بالخلافة الأموية إلى شرقي الأندلس[٨]، حيث تمكنوا من إنشاء عدة دويلات لهم، وهي:

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢١٣؛حتامله، **الأندلس**، ص٥٢٢- ٥٢٤.
٢. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٥.
٣. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٣؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي** ، ص٨٧- ٨٨.
٤. ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٩٦- ٩٨؛ حتامله، **المرجع السابق**، ص٥٢٥.
٥. عنان، ، **المرجع** السابق، ص٨٩-٩٠؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥٢٥-.
٦. المقري، **نفح الطيب**، ج٢، ص٦٧؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٣٦؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥٢٦- ٥٢٧.
٧. عنان، المرجع السابق، ص٩١- ٩٢.
٨. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفرازي (ت. ٨٢٠هـ) **مآثر الإنافة في معالم الخلافة** (تحقيق عبدالستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، ج١، ص٣٥٤.

١. دانية والجزائر الشرقية (Islas BALEARES)[١]

أنشأ هذه الدويلة العامرية مجاهد بن يوسف بن علي العامري (الموفق بالله)، فقد خرج من قرطبة إلى دانية في أول الفتنة، وتغلب على الجزائر الشرقية سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م[٢]، واتخذ منها قاعدة بحرية لأساطيله، حيث أغار منها على جزيرة سردانية وعلى السواحل الغربية والجنوبية لإيطاليا.[٣] وتمكن مجاهد العامري في حروبه مع النصارى من قتل وسبي كثيرين منهم، وهو الأمر الذي هيجهم ضده، إذ شنوا عليه حربا صليبية سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م أوقعت بالمسلمين خسائر فادحة. ووقع ابن مجاهد: علي، وكذلك أخوه وزوجه في الأسر.[٤] وقد أثرت هذه الأحداث التي ألمت بمجاهد العامري على عقله، غير أنه استمر في الحكم حتى وفاته سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م.[٥]

وولي حكم دانية والجزائر الشرقية بعد مجاهد العامري ابنه علي (إقبال الدولة) الذي كان والده قد تمكن قبل وفاته من افتدائه من الأسر[٦]، وتعرض في بداية حكمه لمؤامرة اغتيال فاشـلة

---

١. الجزائر الشرقية أو جزر البليار: مجموعة كبيرة من الجزر في غربي البحر الأبيض المتوسط تواجه السواحل الشمالية الشرقية للأندلس، وأكبر هذه الجزر وأشهرها: ميورقة (Mallorca) ومنورقة (Menorca) ويابسة (Ibiza)، وقد فتحها المسلمون في عهد الأمير الأموي عبدالله بن محمد (٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م).سيسالم، عاصم سالم، **جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار)**، ٨٩- ٦٨٥هـ/ ٧٠٧- ١٢٨٧م، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٥،١٧- ١٩، ٨١- ٨٥؛ حتامله، **أيبيريا**، ص٢٦.
٢. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٩٣؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٥٥؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص٤٦٦؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢١١؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٢٧٦.
٣. ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢١١؛ سيسالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص١٤٣- ١٤٦.
٤. ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢١١؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٢٠؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٧٦.
٥. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٥٦؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢١١.
٦. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٧.

دبرها أخوه حسن مع المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية،[١] وقد شعر بعد هذه المؤامرة أن الأسلم له توثيق علاقاته مع ملوك الطوائف الآخرين، فزوج اخته للمعتضد بن عباد، وتزوج ابنة المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود ملك سرقسطة، غير أن هذه العلاقات لم تمنع ابن هود من الإستيلاء على دانية سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م، منهيا حكم العامريين فيها وفي سائر أعمالها.[٢]

٢.ألمرية (Al-Mariyyat)[٣]

أنشأ هذه الدويلة خيران الصقلبي العامري الذي كان من أقوى الفتيان العامريين عزما، وأنشطهم إلى خوض غمار الحوادث التي وقعت أثناء الفتنة التي عصفت بالخلافة الأموية، فقد وصل إلى شرقي الأندلس، واستولى على عدد من المدن منها ألمرية التي انتزعها من فتى عامري آخر هو أفلح الصقلبي، وذلك سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م.[٤] يقول ابن الخطيب " واتخذ المدينة وطنا نزله برجاله وماله، واستخلف على ما انصرف عنه، وعول على ألمرية، فأحصن ضبطها، وحصن قصبتها، وسد عوراتها.."[٥]

وقد جرت بين خيران وبين جيرانه البربر أصحاب غرناطة حروب أظهر فيها قوته وصلابته

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٥٧ـ ١٥٨.

٢. المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢٨؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢١١؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٦٨ـ ٤٦٩.

٣. ألمرية: يلفظ اسمها بفتح الميم وكسر الراء، وتشديد الياء، وهي مدينة بناها الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر(٣٠٠ـ ٣٥٠هـ/ ٩١٢ـ ٩٦١م) سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م على الساحل الشرقي للأندلس حيث حافة البحر الأبيض المتوسط الغربية. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص١١٩؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٤٢؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٢٤ـ ١٢٦.

٤. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢١١؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص١٥٨ـ ١٥٩، ١٦١.

٥. ابن الخطيب، المصدر السابق، ٢١١؛ سالم، السيد عبدالعزيز، **تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص٦٠ـ ٦١.

فهابوه وتجنبوه، وبعد وفاته سنة ٤١٩هـ/ ١٠٢٨م تولى مكانه زهير العامري، الذي كان خيران قد أوصى بأن يخلفه.[١] وقد وسع زهير نفوذه، وبسط سلطانه على قرطبة فترة من الزمن.[٢] وقتل زهير العامري في معركة مع بربر غرناطة بقيادة باديس بن حبوس في آخر شوال ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م[٣]

وقد أسند أهل ألمرية أمرهم بعد مقتل زهير العامري إلى شيخ الجماعة أبي بكر الرميمي، ثم كتبوا إلى عبدالعزيز بن أبي عامر، صاحب بلنسية، يستدعونه لحكم مدينتهم، فبادر إلى ألمرية، وبايعه أهلها في آخر ذي القعدة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م، ثم ترك عليها واليا هو صهره ووزيره أبو الأحوص معن بن صمادح التجيبي وعاد إلى بلنسية.[٤]

وكان معن بن صمادح التجيبي قليل الولاء، كثير الأطماع، فما إن غادر عبدالعزيز ألمرية حتى جاهر بخلع طاعته، ودعا لنفسه، " واستقر فيها ملكه، وخلفها ميراثا لبنيه بعده"[٥] وانتقل حكم ألمرية بهذا الإنقلاب إلى التجيبيين، وقد استمر حكم معن لألمرية وأعمالها نحو عشر سنوات حيث توفي سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م.[٦]

---

١. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٨؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٦٦.

٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٨- ١٧٢؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢١٧؛ عبدالله بن بلقين، **مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب التبيان** (نشر وتحقيق ليفي بروفنسال)، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٥، ص٣٤؛ القلقشندي، **مآثر الإنافة**، ج١، ص٣٥٤.

٣. ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٣، ص١٦٧؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص١٩٠؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي** ، ص١٦٣- ١٦٤؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٧٤.

٤. ابن الخطيب، المصدر السابق، ص١٩٠.

٥. المصدر نفسه، ص١٩٠.

٦. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٧؛ عنان، المرجع السابق ، ص١٦٦؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٣١.

وخلف معنا ابنه أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح الذي اتخذ لقبين من الألقاب السلطانية: المعتصم بالله، والواثق بفضل الله، وتميزت فترة حكمه بكثرة الخلافات واستحكامها بينه وبين عبد العزيز بن أبي عامر، صاحب بلنسية وبنيه الذين تولوا الحكم بعده كما سيأتي.[١] وقد طال حكم أبي يحيى أكثر من أربعين سنة، وتوفي بعد دخول المرابطين الأندلس سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م لإنهاء حكم ملوك الطوائف، ففي أثناء محاصرتهم ألمرية تلك السنة، مرض ومات، واستولى المرابطون على المدينة. [٢]

٣. مرسية

سار خيران العامري، وهو كبير الفتيان العامريين، عندما انهار الحكم الأموي في الأندلس، وخرب البربر عاصمتهم قرطبة، سار شرقا، وبسط سلطانه على أوريولة (Orihuela)[٣] التي كانت تعد أمنع قواعد ولاية تدمير، وذلك سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م.[٤] وسار خيران في السنة نفسها إلى بلنسية واستولى عليها أيضا، واستخلف عليها نائبه زهير العامري، ثم واصل زحفه إلى ألمرية ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ واغتصبها من صاحبها أفلح الصقلبي.[٥] وهكذا أصبح خيران العامري يحكم مملكة تضم ثلاث مدن رئيسة هي: ألمرية ومرسية وأوريولة، وعدة مدن أخرى، وغدت ألمرية حاضرة لتلك المملكة.[٦]

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي** ، ١٦٧.
٢. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص١٩٠ـ ١٩١؛ عنان، المرجع السابق ص١٧٢ـ ١٧٣.
٣. أوريولة: يلفظ اسمها بالضم ثم السكون، وكسر الراء وياء مضمومة وهاء، وهي مدينة قديمة تقع قصبتها على قمة جبل، على ضفة نهر شقورة، وتبعد عن مرسية اثني عشر كيلومترا. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٨٠؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٩٧؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٥٣٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٧٥ـ ١٧٨.
٤. عنان، المرجع السابق، ص١٧٥؛ حتامله، المرجع السابق، ج١، ص١٧٩.
٥. حتامله، المرجع السابق، ج١، ص١٧٩؛ عنان، المرجع السابق، ص١٧٥.
٦. مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص٢١٨؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص١٩٣ـ ١٩٤.

وقد استقر خيران بألمرية أميرا عليها، بينما أصبح زهير العامري نائبا له على مرسية وأوريولة، ولما توفي خيران سنة ٤١٩هـ/ ١٠٢٨م آل حكم مملكة مرسية إلى زهير الذي استمر في حكمها إلى أن قتل سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م في معركة خاضها مع البربر أصحاب غرناطة بقيادة باديس بن حبوس.[١]

وخلف زهير العامري في حكم مرسية بعد مصرعه نائبه أبو بكر أحمد بن إسحاق بن طاهر الرميمي، الذي يرجع نسبه إلى قبيلة قيس العربية. وقد ضبطها أبو بكر، وسار في حكمه سيرة حسنة. [٢] وقد ضمت ألمرية في عهده إلى عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن محمد بن ابي عامر (المنصور) ـ كما سيأتي ـ وظل هو، أي ابن طاهر يحكم مرسية وأوريولة حكما شبه مستقل عن دويلة بلنسية وصاحبها عبد العزيز المنصور إلى أن توفي سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦١م.[٣] وقد خلفه في حكم مرسية ابنه أبو عبدالرحمن محمد بن طاهر الذي استقل بحكم مرسية وأعمالها، وظل يحكمها إلى أن استولى عليها المعتمد بن عباد سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م .[٤] وكانت قوات المعتمد التي سارت إلى مرسية بقيادة أبي بكر ابن عمار الذي اصطحب معه عبدالرحمن بن رشيق، حاكم حصن بلج، أحد حصون قرطبة، وقبل استيلائه على مرسية ندب ابن رشيق للقيادة وعاد إلى إشبيلية. وقد استمرت القوات الإشبيلية في زحفها بقيادة ابن رشيق، واستولت على بعض أعمال مرسية، ثم حاصرت المدينة نفسها، واستولت عليها بعد أن أرهقها الحصار.[٥]

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي** ، ص١٧٥.
٢. مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص٢١٨؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص١٦؛ عنان، المرجع السابق، ص١٧٥ـ ١٧٦.
٣. بن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٦٧؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٨؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ١٩٤،٢١٧.
٤. عنان، المرجع السابق، ص١٧٩ـ ١٨٢.
٥. المرجع نفسه، ص١٨١.

وكتب ابن رشيق إلى ابن عمار بفتح مرسية، فبادر إليها، وحاول الإستئثار بحكمها دون ابن عباد، غير أن ابن رشيق لم يمكنه من ذلك، مما اضطره إلى الفرار للنجاة بنفسه، وقد لجأ إلى المقتدر بن هود في سرقسطة، وتوفي هناك سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨١م.(١) ولم يمض وقت طويل قبل أن يخلع ابن رشيق طاعة المعتمد بن عباد، ويستقل بحكم مرسية، وقد ظل يحكمها وأعمالها بقوة وحزم، ثم حاول ابن عباد استعادتها بمعاونة المرابطين الذين استولوا عليها في شوال ٤٨٤هـ/ تشرين الأول ١٠٩١م.(٢)

٤. بلنسية

يلاحظ مما تقدم من حديث عن دويلات الطوائف التي أنشأها الفتيان الصقالبة، موالي بني عامر، أن هناك تداخلا سياسيا وعسكريا بينها، وبينها وبين غيرها من ممالك الطوائف الأخرى، ويتجلى هذا التداخل بوضوح بين دويلة بلنسية وكل من مملكة بني ذي النون في طليطلة ومملكة بني هود في سرقسطة، وقد سبق تناول مملكة بني هود، أما بلنسية وطليطلة اللتان سأتناولهما فيما يلي فقد كان لمدينة قونكة دور في نسج الأحداث التي شكلت تاريخهما.

لقد كانت بلنسية في أواخر عهد الدولة الأموية إحدى ولايات أو كور شرقي الأندلس، وكان واليها هو مجاهد العامري، الذي ما إن انهارت تلك الدولة، حتى انتزى عليها، واستقل بها، وذلك سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م.(٣) غير أن حكمه لبلنسية لم يطل، فقد ثار به عبدان من العبيد العامريين أيضا، هما مبارك ومظفر اللذان لم تذكر المصادر نسبا لهما، وإنما ذكرت أنهما كانا عاملين من عمال الزراعة في بلنسية، موكول إليهما إدارة إحدى سواقيها.(٤)

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي** ، ص١٨١- ١٨٤.

٢. حتامله، **الأندلس**، ص٤٧٤- ٤٧٥؛ عنان، المرجع السابق، ص١٨٥.

٣. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٧؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٥٥- ١٥٦؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٣٠٦؛ عنان، المرجع السابق، ص٢١٧.

٤. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٢٢؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٨- ١٥٩.

لقد تربع مبارك ومظفر على كرسي السلطة في بلنسية، بينما غادرها مجاهد إلى دانية، وأقاما ـ كما يذكر ابن الخطيب ـ " رسوم السلطان بها لأنفسهما على أفخم الوجوه".[١] وقد اقتسما حكم الولاية التي كانت تضم مدينة شاطبة(Jativa)[٢] أيضا، فقد اختص مظفر بحكم بلنسية، بينما حكم مبارك شاطبة.[٣] وكان يتولى حكم شاطبة ـ كما يذكر ابن الخطيب ـ فتى صقلبي من موالي العامريين يدعى خيرة الصقلبي، وقد استقل بها عند انهيار الدولة الأموية، غير أن مبارك تخلص منه، فقد استضافه يوما، ودس له السم في الطعام، فمات بعد أيام قلائل، وتولى حكم شاطبة بعده نائبه عبدالعزيز بن أفلح ولكن تحت رعاية مبارك.[٤]

وأقبل على بلنسية في عهد مظفر ومبارك أعداد كبيرة من موالي المسلمين ومن أجناس الصقلب وغيرهم، وكان كثيرون من هؤلاء من الفرسان المدربين البواسل، وقد أغراهم بالقدوم إلى بلنسية ما وصلت إليه من ازدهار.[٥] وقد خاض هؤلاء بقيادة مبارك معركة ضد منذر بن يحيى التجيبي، صاحب سرقسطة، انتصارا لفتى صقلبي آخر هو لبيب العامري، ذلك أن لبيبا كان يحكم طرطوشة التابعة للثغر الأعلى (سرقسطة وأعمالها)، وقد هاجمها صاحب سرقسطة طمعا في ضمها إلى حكمه، إلا أن مبارك تصدى له وانتصر عليه، وعاد إلى بلنسية " وقد استفحل أمره، وملك جماعة الموالي..".[٦]

---

١. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٢٢؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٥٩ـ ١٦٠ ؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٧٠.
٢. شاطبة: يلفظ اسمها بالطاء المهملة، والباء الموحدة، وهي مدينة من أعمال بلنسية، وتبعد إلى الجنوب الغربي عنها ستة وخمسين كيلومترا، بينما تبعد عن دانية خمسة وعشرين ميلا، وقد اشتهرت شاطبة في عصرها الإسلامي بصناعة الورق المعروف باسمها: الشاطبي. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص٣٠٩؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٦٦؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٣٣٧؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٩٦ـ ٩٧.
٣. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٢١٧.
٤. ابن الخطيب، المصدر السابق ، ص٢٢٥ـ ٢٢٦.
٥. ابن، عذاري، المصدر السابق ، ج٣، ص١٦٠.
٦. ابن الخطيب، المصدر السابق، ص٢٢٦.

ولم يلبث مظفر أن توفي، ثم توفي بعده مبارك بسقوطه عن فرسه أثناء مروره على قنطرة من خشب، فقد اعترضته خشبة ناتئة شدخت وجهه، وفتقت بطنه،"ففاضت نفسه لوقته" وذلك سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م.[١] ولم يطل فراغ السلطة في بلنسية، فقد حكمها لبيب العامري، صاحب طرطوشة، ثم شاركه في الحكم مجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية، غير أن الخلاف سرعان ما دب بينهما فافترقا، حيث عاد لبيب إلى طرطوشة، وانفرد مجاهد في حكم بلنسية، وعندئذ ثار على مجاهد الفتيان العامريون الآخرون، وخلعوه، وعقدوا البيعة لسيدهم وحفيد مولاهم: عبدالعزيز بن عبدالرحمن (شنجول) بن محمد بن أبي عامر المنصور، وذلك سنة ٤١١هـ/ ١٠٢١م.[٢]

وكان عمر عبدالعزيز عندما بايعه الفتيان العامريون خمس عشرة سنة، وقد تلقب بلقب جده (المنصور)، وتكنى بأبي الحسن[٣] وتمكن المنصور من توسيع مملكة بلنسية، إذ ضم إليها ألمرية بعد وفاة صاحبها خيران العامري سنة ٤١٩هـ/ ١٠٢٨.[٤]

ووقعت بين المنصور وبين مجاهد العامري، صاحب دانية والجزائر الشرقية حرب طاحنة سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م، وكان سبب هذه الحرب أن مملكة بلنسية بعد استيلائها على ألمرية أخذت تهدد ممالك الطوائف الأخرى، فشن مجاهد حربا دفاعية في السنة المذكورة وانتصر فيها، إلا أن المنصور ما لبث أن شن هجوما مضادا، وأوقع في جيش مجاهد مقتلة عظيمة دخل على أثرها مدينة شاطبة.[٥] وبعد الإنتصارات التي حققها على مجاوريه من ملوك الطوائف استقامت له الأمور، وظل كذلك إلى أن توفي سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦١م.[٦]

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب** ، ج٣، ص١٦٣.
٢. ابن عذاري، ***المصدر نفسه***، ج٣، ص١٦٣- ١٦٤، ٣٠٢؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٧؛ ابن بسام، **الذخيرة**، ق٣، م١، ص٢٤٩؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٧١.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٤، ٣٠١؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٧.
٤. ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٧- ٢٠٨.
٥. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٢.
٦. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٢؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص١٩٤- ١٩٥؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٧٢.

وخلف عبدالعزيز (المنصور) على بلنسية ابنه عبدالملك الذي اتخذ من الألقاب السلطانية (نظام الدولة) و (المظفر)، فقد بايعه أصحاب أبيه عبدالعزيز بشاطبة وبلنسية يوم وفاة أبيه، واتخذ من بلنسية حاضرة لمملكته.(١) وعين وزيرا للقيام بتدبير الأمور في هذه المملكة هو أبو عبدالله محمد بن مروان بن عبدالعزيز المعروف بابن روبش القرطبي، وكان راجح العقل، حسن التدبير.(٢)

وكان عبدالملك المظفر قد تزوج من بنت المأمون يحيى بن ذي النون، صاحب طليطلة،(٣) ونتيجة لهذه المصاهرة كان المظفر يثق بالمأمون، ويهتم بشؤونه، وكان المأمون بدوره يظهر الحرص على صهره، والوقوف إلى جانبه؛ فعندما توفي عبدالعزيز والد المظفر، سار في بعض قواته إلى قلعة قونكة الواقعة ـ كما يذكر ابن عذاري ـ في طرف أعماله، قرب بلنسية، لدعم المظفر فيما إذا حدث أي اضطراب في مملكته.(٤) غير أن المأمون كان يبيت الإستيلاء على بلنسية، وضمها إلى مملكته طليطلة، ولتحقيق هذه الغاية كان بين حين وآخر يعاتب المظفر على إساءة معاملة ابنته، ثم ما لبث أن دبر مؤامرة ناجحة للقبض عليه، وسجنه في شنتبرية، كما يذكر ابن عذاري،(٥) أو في قلعة قونكة' كما يرجح بعض المؤرخين.(٦) وقد ظل سجينا إلى أن توفي سنة

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٦٥، ٣٠٣؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٢٢٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٧٢؛ مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، طبعة خاصة، دار الرشاد، ٢٠٠٤م، ص٤٢٢؛ الشطشاط، علي حسين، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١، ص٣٣.
٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٥؛ ابن بسام، **الذخيرة**، ق٣، م١، ص٢٥٠؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٢٣؛ حتامله، المرجع السابق، ص٤٧٢ـ ٤٧٣.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٥؛ الشطشاط، المرجع السابق، ص٣٣؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٢٣.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٥؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٢٣.
٥. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٦٦ـ ٢٦٧.
٦. دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج٣، ص٨٣؛ الشطشاط، المرجع السابق، ص٣٣؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٢٤.

٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م، بعد أن حكم بلنسية نحو أربعين سنة.[١] وهكذا آلت مملكة بلنسية إلى بني ذي النون، وأصبحت جزءا من مملكتهم طليطلة.

بنو ذي النون في طليطلة

كانت طليطلة وأعمالها منذ قيام الدولة الإسلامية في الأندلس تشكل ما عرف بالثغر الأوسط، لأنها تشكل حاجزا بين الجناح الشمالي الأوسط للأراضي الإسلامية في الأندلس، وبين النصارى. وقد ظلت كذلك بقيام دولة بني ذي النون فيها.[٢] ويشمل هذا الثغر رقعة واسعة في قلب الأندلس، وتحيط بها ممالك الطوائف: مملكة بطليوس من الغرب، ومملكة سرقسطة وكذلك قشتالة القديمة من الشمال، وتتصل أراضيها بأراضي قرطبة من الجنوب.[٣] وتضم هذه الرقعة عددا من المدن منها مدينة قونكة، موضوع هذه الدراسة.[٤]

ويرجع بني ذي النون في نسبهم إلى البربر، فأصلهم ـ كما يذكر ابن خلدون ـ من قبيلة هوارة[٥] وقد كان ذكرهم في الأندلس خاملا حتى أيام المنصور محمد بن أبي عامر، الذي علا شأنه في أواخر عهد الدولة الأموية، ففي أيامه " تقدموا، واشتهروا، وقادوا الجيوش، واستقروا بكورة شنتبرية"[٦] من مقاطعة قونكة [٧]، ويشير ابن بسام إلى أن أول من سعى إلى تأسيس

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٦٧؛ ابن بسام، **الذخيرة**، ق٣، م١، ص٢٥١؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٧٣.
٢. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٩٤ ـ ٩٥؛ الشطشاط، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، ص ٢٩ـ ٣٠؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٧٩.
٣. عنان، المرجع السابق، ص٩٥.
٤. المرجع نفسه، ص٩٥؛ الشطشاط، المرجع السابق، ص٣٠.
٥. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٦؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص١٧٦ـ ١٧٧.
٦. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص١٧٧.
٧. عبدالحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية**، ص٣٧٣.

مملكة لبني ذي النون هو: المضراس بن ذي النون، فعندما انقرضت الدولة العامرية لحق بالثغر الأوسط، وطلب من الخليفة الأموي سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر(المستعين بالله) الذي كان البربر قد ساندوه وبايعوه بالخلافة سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م [١] أن يوليه على ولاية أقليش(Ucles)[٢] "فولاه إياها".[٣]

ويذكر ابن خلدون أن والي طليطلة في تلك الأثناء كان عبدالرحمن بن متيوه، ثم عبدالملك بن متيوه، وقد أساء هذا الأخير السيرة في أهلها، فخلعوه، وولوا غيره إلى أن انتهى أمرها إلى يعيش بن محمد بن يعيش الذي وليها حتى سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م حيث توفي. [٤] وعندئذ ـ أي بعد خمس سنوات من إعلان انتهاء الخلافة الأموية ـ أرسل أهل طليطلة إلى عبدالرحمن بن ذي النون في شنتبرية يعرضون عليه حكم طليطلة، فوافق وأرسل إليهم ابنه إسماعيل الذي استولى عليها.[٥]

وكان اسماعيل بن عبدالرحمن بن ذي النون قد استولى على قونكة بعد وفاة حاكمها واضح العامري، ثم أخذ يستولي على الأنحاء المجاورة شيئا فشيئا إلى أن اتسعت أعمال طليطلة التي ساسها ـ كما يذكر ابن عذاري ـ سياسة حسنة.[٦] وعندما انهارت السلطة المركزية في

---

١. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٢٨؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٨٤.
٢. أقليش: يلفظ اسمها بضم الهمزة وسكون القاف وكسر اللام وياء ساكنة وشين معجمة، وهي مدينة تقع قرب مدينة قونكة، وأصبحت في عهد ملوك الطوائف من قواعد مملكة الطليطلة الرئيسية. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٣٧؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٥٢ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٧٦ـ ٢٧٧؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٠٥ـ ١٠٦.
٣. ابن بسام، **الذخيرة**، ق٤، م١، ص١٤٢؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، **العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ص٩٦.**
٤. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٧؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص١٧٧.
٥. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٧٦؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٧٨.
٦. ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٣، ص٢٧٧؛ ابن بسام، **الذخيرة**، ق٤، م١، ص١٤٢.

قرطبة أعلن إسماعيل استقلاله بما في يده من الأراضي، وبذلك أصبحت طليطلة وأعمالها في عهد الطوائف مملكة واسعة امتدت شرقا حتى قونكة، وقد اتخذ إسماعيل بن ذي النون، صاحبها، لقبا سلطانيا هو: الظافر. (١)

وكان إسماعيل خلال فترة حكمه القصيرة، التي انتهت بوفاته سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م حسب بعض الروايات،(٢) أو سنة ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م حسب روايات أخرى وهو الأرجح،(٣) كان يستعين في إدارة شؤون مملكته بشيخ طليطلة أبي بكر بن الحديدي " وكان من أهل العلم والدهاء، فكان إسماعيل لا يقطع أمرا دونه".(٤)

وخلف الظافر ابنه أبو الحسن يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (المأمون)، وفي عهده اتسعت حدود مملكة طليطلة، وترامت شرقا حتى بلنسية، وأصبحت من أعظم دول الطوائف، وسادها الأمن والرخاء، وبلغ الترف والنعيم فيها أقصاه.(٥) ويبدو أن معظم الفضل في ذلك يرجع إلى ابن

---

١. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٦؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص١٧٧؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص١١؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٩٦ ـ ٩٧؛ حتامله، المرجع السابق، ٤٧٨.

٢. ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٧؛ حتامله، المرجع السابق، ص٤٧٩.

٣. ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص١٢؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت . ٧٣٣هـ) ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، (تحقيق أحمد كمال زكي، مراجعة محمد مصطفى زيادة)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٨٠م ، ج٢٣، ص٤٤٠.

٤. ابن الخطيب، المصدر السابق، ص١٧٧؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٧.

٥. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٧٧؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٤٠؛ ابن خلدون، المصدر السابق ، ج٤، ص٢٠٧؛ ابن بسام، **الذخيرة**، ق٤، م١، ص١٤٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٧٩؛ الشطشاط، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، ص٣٠؛ عبدالحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية**، ص٢٧٤.

الحديدي الذي استمر في الإعتماد عليه تماما مثلما فعل والده إسماعيل.[١]

ولم يكن ما نعمت به طليطلة في عهد المأمون من رخاء ونعيم يعني أن هذه المملكة كانت تنعم بالإستقرار أيضا، وأن السلام مع جيرانها كان شاملا بلا حروب، فقد تنازعت مملكة طليطلة مع مملكة بني هود أصحاب سرقسطة من أجل السيطرة على مدينة وادي الحجارة الواقعة بينهما، والتابعة لمملكة طليطلة، فقد طمع بنو هود بالإستيلاء عليها، وخاصة أن بعض أهلها كانوا يرغبون في الإنضواء تحت سلطانهم، وقد استولوا عليها فعلا، إذ دخلتها قوة من جيشهم سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م.[٢]

وقد جهز المأمون جيشه، وتوجه إلى وادي الحجارة لاستعادتها، ونشب قتال عنيف بين الطرفين كانت الغلبة فيه للجيش السرقسطي الذي ألجأ المأمون إلى مدينة طلبيرة (Talavera)[٣] وحاصره فيها. إلا أنه ما لبث أن انسحب بأمر من سليمان بن هود (المستعين) [٤]

ولم تنته الحرب بين بني ذي النون وبني هود عند هذا الحد، فقد شعر المأمون بالإهانة مما أصابه، وفي الوقت نفسه لم يكن ـ كما يبدو ـ قادرا على مواجهة قوات ابن هود، ولذلك بذل الأموال للنصارى مستعينا بهم، فأعانوه، وهاجمت القوات النصرانية بقيادة غرسية بن سانشو

---

١. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص١٧٧ـ ١٧٨؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٧٧؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٩٧ـ ٩٨.
٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٧.
٣. طلبيرة: تلفظ بفتح الحرفين الأول والثاني، وكسر الباء الموحدة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة، وراء مهملة، وهي مدينة تقع على بعد مائة وخمسين كيلومترا إلى الشمال الغربي من طليطلة، ويخترقها نهر التاجه الذي يخترق طليطلة أيضا. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٧؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٧٩؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٦٧٦.
٤. ابن الخطيب، المصدر السابق، ص١٧٨؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٨٠.

حاكم النافار أراضي مملكة سرقسطة، وجالت فيها نحو شهرين، وخربتها أيما تخريب.[١]

وانتقم ابن هود من المأمون في العام التالي، ولجأ إلى الوسيلة نفسها وهي الإستعانة بالنصارى، فقد قدم لملك قشتالة وليون فرناندو الأول الهدايا والأموال مقابل تخريب أراضي طليطلة، فخرب مناطق شاسعة منها، واضطر أهلها للجلاء عنها.[٢]

ولإصلاح ذات البين بين مملكتي طليطلة وسرقسطة تدخل الفقهاء، وبذلوا جهدهم، غير أن نجاحهم كان محدودا، فقد استمرت النزاعات والحروب بين المملكتين ثلاث سنوات، وانتهت سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م،حيث توفي سليمان بن هود (المستعين)[٣]

واستعرت الحروب بين بني ذي النون وبني الأفطس أصحاب بطليوس أيضا [٤]، وبينهم وبين بني جهور أصحاب قرطبة، مما اضطرهم إلى طلب العون من المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية، فأمدهم بقوة كبيرة، اضطرت قوات بني ذي النون التي حاصرت قرطبة نفسها، إلى فك الحصار.[٥]

---

١. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص١٧٨؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٧٨؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٩٨- ٩٩؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٨٠.
٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٩- ٢٨٠؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص١٧٨.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٠- ٢٨٢؛ عبدالحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية** ، ص٢٧٤.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٣، ص٢٨٣.
٥. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٢- ٢٥٧،٢٣٣؛ ابن الخطيب، المصدر السابق ، ص١٧٨؛ حتامله، **الأندلس**، ٤٨١- ٤٨٢؛ عنان، ، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص١٠٣- ١٠٤.

واستولى المأمون ـ كما أشرت سابقا ـ على بلنسية من صهره عبدالملك بن عبدالعزيز بن ابي عامر وذلك سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م، وصار يحكمها وال من قبله هو أبو بكر محمد بن عبدالعزيز.[١]

وتميزت فترة حكم المأمون بن ذي النون بكثرة الحروب والفتن الداخلية بين ملوك الطوائف. وقد توفي المأمون سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م،[٢] وخلفه حفيده، واسمه يحيى أيضا، فهو يحيى بن إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن ذي النون الذي اتخذ لقبا سلطانيا: (القادر).[٣]

وكان القادر الذي بويع في طليطلة سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م خلفا لجده " أجبن من قبرة، إن حزم لم يعزم، وإن سدى لم يلحم "[٤] وتدل هذه الصفات التي نعته بها ابن بسام وغيره أنه كان ضعيف الرأي منقادا لغيره، ولعل أول ما يدل على ذلك فتكه بأبي بكر بن الحديدي، الوزير الذي كان الظافر والمأمون يعتمدان عليه كثيرا في إدارة شؤون طليطلة، وبدأ القادر عهده بالإعتماد عليه أيضا، غير أنه ما لبث أن قتله في المحرم ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م بدسائس منافسيه.[٥]

وقد أدى فراغ السلطة الذي نجم عن قتل ابن الحديدي إلى تخبط القادر في إدارة مملكته، ووقوعه في براثن الذين آزروه في قتل ابن الحديدي، وازدياد طمع الطامعين بالإستيلاء على مدنه وحصونه، فقد تمكن بنو هود من انتزاع مدينة شنتبرية، وتمكن أبو بكر بن عبدالعزيز من الإستقلال ببلنسية وخلع طاعته، وكادت مدينة قونكة التي حاصرها النصارى حصارا شديدا بقيادة

---

١. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس،** ص٨٠ـ ٨١؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص٢٠١ـ ٢٠٢؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية،** ج١، ص٢٠٦؛ عبدالحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية،** ص٣٧٥.
٢. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٧٨؛ ابن خلدون، **تاريخ،** ج٤، ص٢٠٧، حتامله، **الأندلس،** ص٤٨٣.
٣. ابن بسام، **الذخيرة،** ق٤، م١، ص١٤٩ـ ١٥٠؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام،** ص١٧٩؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٧٠؛ حتامله، المرجع السابق، ص٤٨٣.
٤. ابن بسام، المصدر السابق، ق٤، م١، ص١٥٠؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٧٩.
٥. ابن الخطيب، المصدر السابق، ص١٧٩؛ ابن بسام، المصدر السابق، ق٤، م١، ص١٥١ـ ١٥٢.

ملك أرغون سانشو راميرو، أن تسقط في يده، لولا أن أهلها افتدوها منه بأموالهم.[١]

لقد تعرض القادر إلى ضغوط هائلة، داخلية وخارجية، وأصبح الخوف من سقوط كرسي الحكم الذنوني من تحته يقض مضجعه، ولكي يدفع هذه المخاوف لجأ إلى ملك قشتالة الفونسو السادس ملتمسا حمايته، مذكرا إياه بما كان لجده المأمون من أياد بيضاء لدى الفونسو، حيث احتضنه في طليطلة وحماه، عندما لجأ إليه هربا من المشكلات التي ثارت ضده في قشتالة، كما سيأتي. [٢]

وقد تلكأ الفونسو في نجدة القادر، وطلب ثمنا لذلك التنازل له عن كثير من الحصون والقلاع، كما طلب أموالا هائلة بدأ لتوفيرها بإرهاق أهالي طليطلة بالضرائب، مما أدى إلى ثورتهم ضده، واضطره ذلك إلى الفرار بأهله وولده إلى وبذة ليتحصن فيها، غير أنه لم يلبث إلا قليلا حيث غادرها إلى مدينة قونكة التي ربما رأى أنها أمنع وأكثر تحصينا.[٣] وقد وجد أهالي طليطلة في هرب القادر منها فرصة للتخلص منه، حيث طلبوا سنة ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م من المتوكل عمر بن الأفطس، صاحب بطليوس القدوم إليهم ليتولى حكمهم،[٤] ففعل غير أن مقامه في طليطلة لم يطل، إذ اضطر إلى إخلائها في النصف الثاني من سنة ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م عندما تقدمت جيـوش لفونسـو

---

١. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس،** ص٨١؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،** ص١٠٧ـ ١٠٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية،** ج٢، ص٩٠٧؛ حتامله، **الأندلس،** ص٤٨٤.

٢. ابن خلدون، **تاريخ،** ج٤، ص٢٣٢؛ ابن عذاري، **البيان المغرب،** ج٣، ص٢٣٢؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٧٦؛ العمايرة، **مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان،** ١١٩ـ ١٢٢.

٣. ابن بسام، **الذخيرة،** ق١، م١، ص١٥٩. عنان، المرجع السابق، ص١٠٨.

٤. ابن الأبار، **الحلة السيراء،** ج٢، ص١٦٩؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام،** ص١٨٠؛ ابن بسام، **الذخيرة،** ق٤، م١، ص١٥٨ـ ١٥٩.

الذي كان يبيت ـ عندما أظهر الإستجابة لطلب القادر بتقديم العون له ـ أمرا تجاه طليطلة، وكان القادر معه، وقد تمكنا من استعادتها إلى حكمه، إذ دخلاها بعد إرهاقها بالحصار، وذلك سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م.[١]

ولم يتمكن القادر بعد عودته إلى طليطلة من إعادتها إلى ما كانت عليه من قوة ومنعه، فقد كانت قد دب فيها الضعف والإنهيار العسكري والإقتصادي، وكان كثيرون من أهلها قد نزحوا عنها، وأغرى ذلك الفونسو السادس بالإستيلاء عليها، ومهد لتحقيق هدفه بضرب حصار شديد عليها، ثم دخلها محتلا في المحرم من سنة ٤٧٨هـ/ أيار ١٠٨٥م، منهيا بذلك حكم بني ذي النون لطليطلة.[٢]

ب. علاقات دول الطوائف مع ملوك النصارى

عاصر دول الطوائف عدد من ملوك النصارى أولهم ملك النافار(نبارة أو نبرة): شانجه غرسية الثالث (الكبير)(٣٩١ـ ٤٢٦هـ/ ١٠٠٠ـ ١٠٣٥م)، وكان له ثلاثة أولاد من الملوك المؤثرين في عهد ملوك الطوائف، وهم: ردمير الأول ملك أرغون(٤٢٦ـ ٤٥٦هـ/ ١٠٣٥ـ ١٠٦٣م)، وغرسية ملك النافار(٤٢٦ـ ٤٤٦هـ/ ١٣٥ـ ١٠٥٤م)، و فرناندو الأول(ملك قشتالة وليون(٤٢٦ـ ٤٥٨هـ/ ١٠٣٥ـ ١٠٦٥م)،وكان شانجه الكبير قد صاهر حاكم قشتالة مما أتاح له تعيين ابنه فرناندو الأول ملكا عليها ، ثم ضم إليها ليون التي كان(شانجه) قد احتلها ، وأصبح فرناندو الأول بعد وفاة والده يحكم بالإضافة إلى قشتالة وليون: أشتوريس وجليقية والبرتغال. [٣]

---

١. ابن بسام، **الذخيرة**، ق٤، م١، ص١٦٢ـ ١٦٣؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٣؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٧٠٢ـ ٧٠٣؛ السحيباني، حمد بن صالح، **الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم ـ عصر ملوك الطوائف في الأندلس أنموذجا(دراسة تاريخية تحليلية)**،ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٣٧ـ ١٣٨.
٢. ابن بسام، المصدر السابق، ق٤، م١، ص١٦٤ـ ١٦٦؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٨٥؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٧؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٤١، ج٤، ص٤٤٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٨٥.
٣. حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢ ، ص٨٤٥؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص٣٢٨ـ ٣٢٩.

وظل فرناندو الأول يحكم هذه المملكة الواسعة حتى وفاته سنة ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م.[١] وقد تبنى تجاه ملوك الطوائف استراتيجية الإخضاع، حيث كان يطمح إلى إخضاعهم جميعا وخاصة مملكتي بني ذي النون وبني عباد، ولذلك هاجم سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦٢م أنحاء مملكة طليطلة الشمالية الشرقية، وعاث في بسائطها تخريبا وسبيا، ودفع ذلك المأمون بن ذي النون إلى جمع الأموال والذهب والفضة والأقمشة الفاخرة، وتقديمها هدايا للملك النصراني، والإعتراف بطاعته، والتعهد بأداء الجزية له.[٢] وفي العام التالي هاجم المأمون أراضي إشبيلية، فحذا المعتضد بن عباد حذو المأمون في تقديم الأموال والهدايا لفرناندو مناشدا إياه المودة والسلم.[٣]

وقسم فرناندو الأول قبيل وفاته سنة ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م مملكته على أولاده الثلاثة: شانجه الثاني، والفونسو السادس، وغرسية، وقد طمع الأول بما أعطي لأخويه ، وتمكن من تحقيق ذلك بعد حروب معهما، فقد قبض على الفونسو وحبسه في أحد الأديرة، لكنه تمكن من الهرب، مثلما تمكن من الهرب أيضا أخوه غرسية، ولجأ كلاهما إلى المسلمين طلبا لحمايتهم ، فقد احتمى الفونسو بالمأمون يحيى بن ذي النون في طليطلة، واحتمى غرسية ببني عباد في إشبيلية .[٤]

وكان غرسية قبل الإطاحة به قد حكم جليقية والبرتغال حتى سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م، بينما حكم شانجه الثاني قشتالة حتى سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، حيث أطاح به الفونسو السادس الذي امتد حكمه حتى سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٩م.[٥]

---

١. حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص٨٤٤-٨٤٥..
٢. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،** ص٣٨٣- ٣٨٤.
٣. المرجع نفسه، ص٣٨٤.
٤. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس،** ص٧٥- ٧٦.
٥. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص١١٤- ١١٥؛ حتامله ،المرجع السابق ، ج٢، ص٨٤٦؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي،** ص٣٢٩.

وكان الفونسو السادس عندما لجأ إلى ملك طليطلة المأمون قد حظي برعاية ملحوظة، فقد تم الترحيب به، والمبالغة في إكرامه، وأنزله المأمون دارا مجاورة لقصره، وهيأ له دارا أخرى خارج طليطلة محاطة بالحدائق لتكون متنزها له ولمرافقيه ، وقد أمضى في ضيافة المأمون تسعة أشهر كانت كافية للتعرف على طليطلة، ودراسة أحوالها، وهو الأمر الذي يسر عليه احتلالها كما ذكرت سابقا.[١]

وكان بنو ذي النون وبنو هود وبنو عباد وغيرهم من ملوك الطوائف يستعينون ضد بعضهم بعضا بملوك النصارى، ويرضخون لمطالبهم مقابل ذلك، ويؤدون لهم الجزية، بل أصبح ملوك الطوائف ـ كما يقول ابن عبد البر ـ " خولا للنصارى يؤدون إليهم أضعاف ماكان المسلمون يأخذون منهم"[٢]

وقد كان القادر بن ذي النون كلما أحاقت به الأخطار يلجأ إلى الفونسو السادس طلبا لحمايته وعونه، وكان يدفع مقابل ذلك كل ما تصل إليه يده من أموال، ويتنازل لالفونسو عن حصون مملكته مقابل ما يقدمه له من عون.[٣] وقد هدد القادر أهل طليطلة عندما كانت في عهدته، وعندما طلب منه الفونسو الأموال لحمايته من أعدائه، هددهم بأن يجعلهم هم وأبناءهم رهينة عند الملك النصراني إذا لم يجمعوا له المال المطلوب، وعندما رفضوا ذلك، وأعلنوا الثورة ضد القادر،[٤] هرب إلى قونكة كما سبق أن ذكرت.

---

١. حتامله، **الأندلس**، ص٤٨٣؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص٨٤٤ـ٨٤٥؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص٣٣٠ـ ٣٣١؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ، **العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٣٩٠، ٣٩٥ـ ٣٩٦.
٢. ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي (ت. ٤٦٣هـ)، **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم**، (نشر مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٥٠هـ، ص٣٥؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٢٤.
٣. دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج٣، ص١٢٥.
٤. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٢.

وكان الفونسو السادس قد احتل طليطلة بتواطؤ القادر معه، حيث خلى بينه وبينها مقابل مساعدته في تملك بلنسية التي خرجت عن طاعته، ويبدو أن الفونسو وعد القادر بمعاونته على تملك دانية وشنتمرية الشرق أيضا، وكان الفونسو يدرك أن استيلاء القادر على هذه المدن إنما يعني استيلاؤه هو نفسه عليها، لأن القادر إنما كان مطية لالفونسو يوجهها حيث يشاء.(١)

وخرج القادر في آله وصحبه ومتاعه من طليطلة " خائبا مما تمناه، شرقا بعقبى ما جناه، والأرض تضج من مقامه، وتستأذن في انتقامه، والسماء تود لو لم تطلع نجما إلا كدرته عليه حتفا مبيدا، ولم تنشيء عارضا إلا مطرته عذابا فيه شديدا"(٢). وقصد بلنسية، وحاول وهو في طريقه إليها النزول في أي من القلاع أو الحصون التي كانت تحت حكمه إلا أنها صدته وأغلقت أبوابها دونه باستثناء قلعة قونكة التي استمرت على طاعته، فقد رحب به صاحبها ابن الفرج الذي ظل على ولائه له، ورهن إشارته، فبنو فرج ـ كما يصفهم ابن بسام ـ " كانوا ولاة أمره، وواعية عرفه ونكره، بهم أولا صدع، وإليهم آخرا نزع"(٣) وقد أرسل القادر ابن فرج إلى بلنسية من أجل التعرف على أحوال أهلها، وما إذا كان موضع ترحيب فيها. وقد غادر ابن فرج قونكة مروجا قضية سيده، ومحاولا إقناع أهل بلنسية أن القادر هو حاكم المدينة الشرعي، وحاول أيضا إقناع صاحبها أبي عمرو عثمان بن أبي بكر محمد بن عبدالعزيز، وهو من أحفاد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر. ويبدو أن دعوة ابن الفرج حققت نجاحا جزئيا، فقد استجاب لها بعض الأهالي، وأما بعضهم الآخر فقد رأى أن تنضوي بلنسية تحت حماية المستعين بن هود، صاحب سرقسطة، وبسبب هذا الإختلاف بين المؤيدين والمعارضين للقادر دبت الفوضى في المدينة، فغادرها ابن الفرج عائدا إلى قونكة، حيث أقنع القادر بضرورة استغلال ما فيها من

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، ، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٢٢٧.
٢. ابن بسام، **الذخيرة**، ق٤، م١، ص١٦٧.
٣. المصدر نفسه، ق٣، م١، ص٩٣.

اضطرابات، والإستيلاء عليها.[١]

وقد سار القادر إلى بلنسية ومعه فرقة من الجنود القشتاليين أمده بها الفونسو السادس، وقبل دخولهم المدينة راسل أهلها عارضا عليهم دخولها دون قتال، فاضطروا للموافقة لكي لا تتعرض مدينتهم للتخريب على أيدي الجنود النصارى.[٢]

ولم يطل مقام القادر ببلنسية، فقد ثار عليه قاضيها أبو أحمد جعفر بن عبدالله بن جحاف المعاذري سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، وتمكن من القبض عليه، ثم أمر بقتله، وقد تولى مهمة قتله فتى من بني الحديدي ثأرا من القادر وذلك انتقاما لمقتل أبي بكر بن الحديدي. وقد طيف برأس القادر في بلنسية، أما جثته فقد ألقيت في سبخة، ثم ووريت دون كفن، وبذلك انتهى أمره.[٣]

وهكذا كانت مدينة قونكة هي المنطلق الذي هيأ للقادر بن ذي النون في عهد ملوك الطوائف استعادة بلنسية، ولكن في ظل حراب النصارى الذين استغلوا ما آلت إليه أوضاع الأندلس من تفكك واختلافات وحروب، واحتلوا بعض مدنها وقلاعها وحصونها بالقوة، واحتلوا بعضها الآخر بتنازل ملوك الطوائف عنها لأسـيادهم ملوك النصارى.

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٣٠٣- ٣٠٤؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ، **العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٢٢٧.
٢. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٤٨، ٨٦؛ ابن الخطيب، **اعمال الأعلام**، ص١٨٢؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٣٠٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٢٠٧؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٢٧.
٣. ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص٣٠٠؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٤، ج٤، ص٣٢، ١٤٨؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٦١.

التنازل عن مدينة قونكة للنصارى

ظلت مدينة قونكـة بعد سقوط طليطلة صامدة في أيدي المسلمين، فقد انتزعها المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية مع ما انتزعه من أراضي مملكة طليطلة الجنوبية. [١] فبعد استيلاء ملك قشتالة الفونسو السادس على طليطلة استولى على جميع أراضي مملكة بني ذي النون الواقعة شمال نهر التاجه (El Rio Tajo) [٢] من طلبيرة غربا حتى وادي الحجارة وشنتبرية شرقا، وتضم هذه الأراضي نحو ثمانين موضعا عامرا بالمساجد إضافة إلى القرى والضياع. بينما استولى ابن عباد على باقي أراضيها بما في ذلك مدينة قونكة.[٣]

وقد تنازل المعتمد بن عباد لالفونسو السادس " عن قونكة، ووبذة، وأقليش ...وغيرها من الأماكن" وكان ذلك بعض ما تعهد به لملك قشتالة ثمنا لحلفه وعونه.[٤] وهناك روايات أخرى تتعلق بأسباب تنازل المعتمد عن قونكة وغيرها سأعرضها فيما بعد.

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، ، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،** ص١١١.
٢. نهر التاجه: يسمى أيضا نهر طليطلة، وهو أطول أنهار الأندلس، إذ يبلغ طوله أكثر من ألف كيلومتر، وينبع هذا النهر من أراضي شرقي الأندلس بالقرب من حدود مدينة قونكة ويصب غربا في المحيط الأطلسي، ويخترق أراضي مدينة وادي الحجارة، كما يخترق مدينتي طليطلة وطلبيرة.حتامله، **أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين،** ص٨٥- ٨٦؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية،** ج٢، ص١٠٩٦.
٣. عنان، المرجع السابق، ص١١٤، ٣٤٧.
٤. المرجع نفسه، ص٣٤٧.

الفصل الثالث

تاريخ مدينة قونكة في عهد المرابطين والموحدين

جاء سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م في يد ملك قشتالة الفونسو السادس نذيرا بما سيواجه الإسلام والمسلمين في الأندلس من أخطار جسيمة، وقد أحدث سقوطها رجة عنيفة أصابت ملوك الطوائف جميعا، وشعر الأندلسيون في أنحاء البلاد أن أمرهم إلى ضياع. ويرجع سبب هذا الشعور إلى أن طليطلة كانت مركز الأندلس، ويعني سقوطها في يد النصارى مجاورة الشر الذي أصبح يهدد وجودهم، وقد عبر الشاعر الطليطلي عبدالله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال عن مصير الأندلس بعد سقوط طليطلة بقوله(١):

يا أهـل أندلس حثـوا مطيتكم فمـا المقام بهـا إلا مـن الغلـط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

من جاور الشر لا يأمن بوائقه كيف الحياة مع الحيات في سفط؟

وكانت الظروف الصعبة التي نجمت عن سقوط طليطلة تستدعي اتحاد القوى الإسلامية المتمثلة بملوك الطوائف لمواجهة خطر النصارى، غير أن واقعهم كان غير ذلك، فقد بادروا إلى استرضاء الفونسو السادس الذي احتل طليطلة، وتقربوا إليه بدفع الجزية وإرسال الهدايا. وبذلك " ذل الرئيس والمرؤوس، وافتقرت الرعية، وفسدت أحوال الجميع بالكلية، وزالت من النفوس الأنفة الإسلامية، وأذعن من بقي منهم خارج الذمة إلى أداء الجزية، وصاروا للفنش (الفونسو السادس) عمالا يجبون له الأموال، لا يخالف أمره أحد." (٢) ومع ذلك لم يتوقف الفونسو عن مطامعه، ولم يخف تطلعه إلى احتلال مدن الأندلس الأخرى من أيدي المسلمين.(٣) وقد عبر عن

---

١. المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٣٥٢.
٢. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٧٧.
٣. مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**(مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري)، تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، ط١، دار الرشاد الحديثة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٣٨؛ حسين، حمدي عبدالمنعم، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م، ص٥٢.

هذه التطلعات بقوة عندما خاطب المسلمين في الأندلس ممثلين بأهل طليطلة قائلا " إنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديما في أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضي لكم، وقد نصرنا الآن عليكم برداءتكم، فارحلوا إلى عدوتكم واتركوا لنا بلادنا، فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم".[١]

وتنفيذا لخططه باحتلال الأندلس كلها من أيدي المسلمين، أصبح الفونسو السادس يشتط في مطالبه من ملوك الطوائف، ويختلق الأعذار لغزو بلادهم، بدءا بصاحب إشبيلية المعتمد بن عباد، فعندما تأخر المعتمد في دفع الجزية السنوية لالفونسو طالبه بالتنازل له عن بعض حصونه عقابا له. ويقال إن الفونسو طلب من المعتمد أيضا أن يسمح لزوجه بدخول جامع قرطبة لتلد فيه، زاعما أن الأطباء والقساوسة أشاروا عليه بأن تمضي زوجه فترة مخاضها بين الزهراء وذلك الجامع[٢]. ويروى أيضا في هذا المجال أن الفونسو أرسل وفدا برئاسة ابن شاليب اليهودي إلى المعتمد لاستلام الجزية السنوية، وقد نزل الوفد بأحد أبواب إشبيلية، وعندما وصلت أموال الجزية إليه رفض تسلمها إلا بعد فحص وتدقيق، فأغضب ذلك المعتمد، وأمر بسجن أعضاء الوفد، وصلب اليهودي. [٣] يقول المقري إن المعتمد عندما واجهه اليهودي بما لم يحتمله أخذ " محبرة كانت بين يديه، وضرب بها رأس اليهودي فأنزل دماغه في حلقه، وأمر به فصلب منكوسا بقرطبة".[٤] وكان الوفد النصراني مكونا من ثلاثمائة لم ينج منهم سوى ثلاثة لاذوا بالفرار،[٥] وأعلموا الفونسو السادس بالخبر، فأقسم بآلهته ليغزون ابن عباد بإشبيلية، وأخذ يحشد النصارى لقتال المسلمين.[٦]

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٨٢.
٢. الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٨٤؛ المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ٣٥٨؛ حسين، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس**، ص٥٢.
٣. المقري، المصدر السابق، ج٦، ص٢٤٦؛ دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج٣، ص١٢٦.
٤. المقري، المصدر السابق، ج٤، ص٣٥٨.
٥. أشباخ، يوسف، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**،(ترجمة محمد عبدالله عنان)، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج١، ص٧٧.
٦. المقري، المصدر السابق، ج٤، ص٢٤٦، ٣٥٨؛ دوزي، المرجع السابق، ج٣، ص١٢٦.

لقد جرد الفونسو السادس جيشين لقتال المسلمين " جعل على أحدهما كلبا من مساعير كلابه وأمره أن يسير على كورة باجة من غرب الأندلس، ويغير على تلك التخوم والجهات"[١] أما الثاني فقاده بنفسه، وزحف على جهات أخرى، والتقى الجيشان بعدما عاثا في البلاد تدميرا وتخريبا في أراضي إشبيلية، على ضفة نهر الوادي الكبير، في موقع يقابل قصر ابن عباد، وأثناء إقامة الفونسو هناك كتب إلى المعتمد بصلف وغرور واحتقار قائلا:" كثر بطول مقامي في مجلسي الذبان، واشتد علي الحر، فأتحفني من قصرك بمروحة أروح بها على نفسي، وأطرد بها الذباب عن وجهي، فوقع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة: قرأت كتابك، وفهمت خيلاءك وإعجابك، وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية[٢] تروح منك لا تروح عليك إن شاء الله تعالى" [٣]

وكان المعتمد بن عباد في ذكره للجلود اللمطية إنما يشير إلى قوة إسلامية خارج الأندلس أصبحت مستعدة لنجدة المسلمين فيها، وهي المرابطون الذين سيعرض هذا الفصل تاريخ مدينة قونكة في عهدهم ثم في عهد الموحدين.

---

١. المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ٣٥٨.
٢. يقصد بالجلود اللمطية : الدرق أو الدروع المصنوعة من جلد اللمط، وهو حيوان يعيش في صحراء بلاد المغرب، وتعتبر الدرق اللمطية من أكثر أسلحة بلاد المغرب شهرة، حيث كانت من عوامل قوة جيوش المنطقة، خاصة خلال فترتي المرابطين والموحدين، وتكون في الغالب بيضاوية الشكل، وتمتاز بخفة وزنها ومقاومتها لضربات السيوف والرماح. ويعتبر حيوان اللمط من وحوش الصحراء، وهو:"دابة دون البقر لها قرون دقاق حادة لذكرانها وإناثها، وكلما كبر منها الواحد طال قرنه حتى يكون أكثر من أربعة أشبار، وأجود الدرق وأغلاها ثمنا ما صنع من جلود العواتق منها وهي التي طال قرناها لكبر سنها فمنع الفحل علوها..." البكري، أبو عبيد(ت. ٤٨٧هـ)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص١٧١، .ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٣؛ المقري، المصدر السابق، ج٦، ص٤٦١؛ حسن، حسن إبراهيم ، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ط١٤، دار الجيل، بيروت، لبنان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٤، ص٣٧٩.
٣. المقري، المصدر السابق، ج٤، ص٣٥٨- ٣٥٩.

مدينة قونكة في عهد المرابطين

يرجع المرابطون في نسبهم إلى قبيلة لمتونة، إحدى أكبر قبائل صنهاجة من البربر، وكانوا في أول عهدهم قد انتشروا في الصحراء ما بين المغرب والسودان، وكانت بداية دولتهم على يد رجل من قبيلة أخرى من قبائل صنهاجة هي قبيلة جدالة، فقد قام ذلك الرجل واسمه: يحيى بن إبراهيم الجدالي بأمر صنهاجة، وبعد عودته من الحج إلى بيت الله الحرام سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م مر بمدينة القيروان، حيث التقى قاضيها أبا عمران الفاسي وذلك سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، وطلب منه أن يرسل معه بعض تلاميذه ليعلموا قومه ويفقهوهم في الدين. فاختار له: عبدالله بن ياسين الذي اجتمع حوله نحو سبعين شخصا من قبيلة جدالة، تلقوا تعليمهم على يديه، وانقادوا له.[١]

وبعد أن أمضى عبدالله بن ياسين فترة طويلة خرج إلى مضارب لمتونة حيث استضافه زعيمها: يحيى بن عمر اللمتوني، وبدعمه أخذ ابن ياسين ينشر دعوته، وما لبث أن التف حوله نحو ألف رجل سماهم المرابطين.[٢] وقد شكل هؤلاء قوة كانت كافية لقتال المخالفين الذين ينكرون شعائر الإسلام.[٣]

---

١. الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ،(تحقيق ولدي المؤلف جعفر الناصري، ومحمد الناصري)، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٦م، ج٢، ص٣-٦. ابن أبي زرع الفاسي ، أبو الحسن علي بن عبدالله (ت ٧٤١هـ)،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٦٢م ،ص١٢٤-١٢٥؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص٧؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٧٤؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٢٨- ٥٢٩؛ أبا الخيل، محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين، **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين(٤٨٣هـ/١٠٩٠م - ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)**، ط١، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، بريدة، القصيم، السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٣١.

٢. الناصري، المصدر السابق، ص٨؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤-ص٨- ٩.

٣. ابن الأثير، المصدر السابق، ج٨، ص٧٥؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٤، ص٢٥٦- ٢٥٧؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥٣٠- ٥٣١.

وأخذ ياسين والجدالي واللمتوني بعد أن ازدادت قوتهم بمن انضم إليهم يقاتلون المخالفين من قبائل البربر، وخاصة قبيلة جدالة، وما لبثوا أن أخضعوا لسلطانهم جميع قبائل صنهاجة، وبذلك بدأت الخطوة الأولى على طريق إقامة دولة المرابطين.(١)

وتوفي يحيى بن إبراهيم الجدالي فتولى قيادة المرابطين بعده: يحيى بن عمر اللمتوني الذي ترسخت أقدامهم في عهده، وخاصة بعد تحقيقه انتصارا مشهودا على بربر سجلماسة، إحدى مدن المغرب، وطهرها مما هي فيه من المنكرات، وذلك سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٥٥م.(٢) وظل يحيى اللمتوني يقود الغزوات، ويحقق الإنتصارات، ويعزز قوة الدولة حتى استشهاده في بعض غزواته سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م، فتولى قيادة المرابطين أخوه أبو بكر بن عمر اللمتوني الذي استقامت له معظم البلاد.(٣)

وقد أعد أبو بكر اللمتوني جيشا كبيرا بقيادة ابن عمه يوسف بن تاشفين، ووجهه سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م إلى المغرب لقتال بعض القبائل المارقة، وخاصة قبيلة بني يفرن، بينما توجه أبو بكر إلى الصحراء لتسوية بعض الخلافات بين القبائل هناك.(٤) وقد استولى ابن تاشفين على معظم أنحاء المغرب، وتعززت مكانته، وعندما اطلع أبو بكر على ما وصل إليه من سلطان سلم الأمور كلها له، وذلك سنة ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م.(٥)

---

١. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٩ت ١٠؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص٩- ١٠؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٣١.
٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٣- ١٤؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥٣١.
٣. الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص١٣؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٤، ص٢٥٧.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٨- ١٩، ٢١؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥٣٢- ٥٣٣.
٥. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص٢٦- ٢٧.

وقد اتخذ يوسف بن تاشفين لقب أمير المسلمين، [١] وركز جهوده العسكرية في بداية عهده الجديد على فتح ما تبقى من بلاد المغرب، حتى دانت له البلاد من البحر المتوسط شمالا حتى السودان جنوبا، بما في ذلك شواطيء المحيط الأطلسي المغربية. كما أنه قام في سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م ب" تجديد العساكر ووفورها"[٢] وبذلك أصبحت الدولة المرابطية قوة مرهوبة الجانب، إليها تشخص أبصار الضعفاء المهددين من المسلمين بانتزاع ملكهم، واقتلاع الإسلام من بلادهم التي حاولوا تجذيره فيها على مدى قرون، وهم المسلمون وملوكهم في العدوة الأندلسية.

ولم يبدأ مد أنظار الأندلسيين إلى المغرب بعد سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، ولا كانت بدايته ذلك التهديد الذي وجهه المعتمد بن عباد لالفونسو السادس، ملك قشتالة، بإحضار " الجلود اللمطية"، وإنما كان قبل ذلك، ففي سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م وفد على يوسف بن تاشفين جماعة من أهل الأندلس، وشكوا إليه ما حل بهم من أعدائهم، و كتب إليه بذلك المتوكل على الله ابن الأفطس "يستصرخه حين كلب العدو على بلاده"[٣] وقد أسفرت جهود الأندلسيين، وخاصة الفقهاء، وملوك الطوائف مثل ابن الأفطس وابن عباد وغيرهما عن اقتناع يوسف بن تاشفين بضرورة العبور إلى الأندلس لنجدة أهلها.[٤]

وبينما كان يوسف بن تاشفين يتلقى رسائل الأندلسيين ووفودهم، كان في الوقت نفسه يعد

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص٢٧- ٢٨؛ النويري، **نهاية الأرب**، ح٢٤، ص٢٦٢؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين**، ص٣٩.
٢. مجهول، **الحلل الموشية**، ص٣٣؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص٢٨- ٣٠؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٢٧- ٣٢؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٣٤.
٣. مجهول، المصدر السابق، ص٣٣- ٣٤.
٤. المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٣٩٥- ٣٦٠؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٣٤؛ ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص١٨٦؛ دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج٣، ص١٣٠؛ عبدالحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية**، ص٣٨٢- ٣٨٣.

الجيوش، ويستنفرها للجهاد. وبعد استكمال استعداده عبر إلى الأندلس يوم الخميس في منتصف ربيع الأول سنة ٤٧٩هـ/ ٢٠ حزيران ١٠٨٦م، وحل بالجزيرة الخضراء (Algeciras)[١] متأهبا لنصرة من استغاثوا به[٢]. وفي المقابل أخذ الفونسو السادس الذي " أسقط في يده وانحلت عزائمه"[٣] عندما علم بالتحركات المرابطية، أخذ يستنفر النصارى، ويحشد الجيوش الصليبية من فرنسا وإيطاليا، إضافة إلى جيوش جليقية والنافار وجيشه القشتالي.[٤]

معركة الزلاقة(Sagragas)[٥]

تحرك يوسف بن تاشفين على رأس جيشه إلى إشبيلية، وأمضى فيها أياما يحث ملوك الطوائف على الجهاد، ثم استأنف سيره إلى بطليوس حيث عسكرت جيوشه ومن انضم إليها من أنحاء الأندلس في سهل الزلاقة استعدادا للمعركة.[٦]

---

١. الجزيرة الخضراء: تقع في أقصى جنوبي الأندلس بجوار جبل طارق، مقابل مدينة سبتة المغربية التي تبعد عنها نحو ثمانية عشر ميلا. ياقوت الحموي، **معجم البلدان،** ج٢، ص١٣٦؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية،** ج١، ص٣٩١.

٢. ابن ابي زرع، **الأنيس المطرب،** ص١٤٥؛ ابن عذاري، **البيان المغرب،** ج٤، ص١١٥؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٣٩- ٤٠؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**،ج١، ص٨٢-٨٣؛ العبادي، **في التاريخ العباسي والأندلسي،** ص٥١٨- ٥١٩.

٣. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص٩٤.

٤. ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص١٤٥- ١٤٦؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١١٥؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام،** ص٢٤٢؛ المراكشي، **المعجب،** ص٧١؛ حتامله، **الأندلس،** ص٥٣٨؛ أشباخ، المرجع السابق، ص٨٢.

٥. الزلاقة : تعني: الموضع الذي يصعب الثبوت عليه لشدة زلقه، والزلاقة أرض سهلية تقع شمال شرق بطليوس على بعد اثني عشر كيلومترا منها. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص١٤٦؛ المقري، **نفح الطيب،** ج٢، ص١١١؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية،** ج١، ص٤٨٢- ٤٨٣.

٦. مجهول، **الحلل الموشية،** ص٥٢؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ،** ج٨، ص٤٧٩؛ دوزي، **المسلمون في الأندلس،** ج٣، ص١٣١- ١٣٢.

وقد ضرب يوسف بن تاشفين معسكره وراء ربوة عالية منفصلا عن محلة الأندلسيين، بينما عسكر الأندلسيون أمام النصارى الذين وصلت جيوشهم، وعسكرت على بعد ثمانية عشر ميلا من الزلاقة.[١]

ولم يكد الفونسو السادس يضرب معسكره حتى جاءته رسالة من يوسف بن تاشفين يدعوه فيها إلى الإسلام أو دفع الجزية، وهو عرض جعل الفونسو يستشيط غضبا، فهو لم يتوقع مثل هذا العرض من المسلمين الذين دأبوا على دفع الجزية له، وقد رد بذلك على ابن تاشفبن.[٢]

ونشبت المعركة بين جيش المسلمين المكون من عشرين ألفا، وجيش النصارى الصليبي المكون من خمسين الفا في يوم اختلفت المصادر في تحديده، والأرجح أنه يوم الإثنين١٤ رجب ٤٧٩هـ/٢٦ تشرين الأول ١٠٨٦م، [٣] وقد بدأت المعركة بقيام فرسان من جيش النصارى بمداهمة القوات الأندلسية بقيادة المعتمد بن عباد، وكادوا أن يقضوا عليها لولا أن يوسف بن تاشفين تدارك الأمر، حيث أمر بعض قواته بالإغارة على معسكر الفونسو وإحراقه، ثم ألقى جيش

---

١. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٤٣- ٤٤؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص١١٥؛أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج١، ص٨٥.
٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١١٥؛ دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج٣، ص١٣٢؛ **حتامله، الأندلس**، ص٥٣٩.
٣. المراكشي، **المعجب**، ص٧١- ٧٢؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٤٤- ٤٦؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٤٢؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٤٦- ١٤٧؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥٣٨- ٥٣٩؛ العبادي، **في التاريخ العباسي والأندلسي**، ص٥١٩؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٣٢٣- ٣٢٤.

المرابطين نفسه في أتون المعركة نجدة لابن عباد، واستحر القتل في الصليبيين، وما لبث من بقي للمسلمين.[١]

وعاد يوسف بن تاشفين بعد انتصار المسلمين في معركة الزلاقة إلى إشبيلية ثم إلى عاصمته مراكش في المغرب. أما الفونسو السادس فقد رجع يلعق جراحه إلى طليطلة،[٢] وما إن أفاق من صدمة هزيمته حتى بدأ يستعد لاستئناف غزواته للأراضي الإسلامية.

وكان أول ما فعله الفونسو السادس في إطار استعداده لاستئناف غزو الأراضي الإسلامية، هو شحن حصن لييط (Aledo)[٣] الذي كان قد ابتناه في مواجهة أراضي المعتمد بن عباد، بالمقاتلين من فرسان ورجالة ورماة، وأمرهم أن يغيروا على أراضي إشبيلية. فكانوا يغيرون عليها كل يوم.[٤] وقد عجز ابن عباد عن مواجهة قوات الحصن، وضاق المسلمون في المدن التي كانت تتعرض لغاراتها، ومنها بلنسية ومرسية وغيرهما، مما اضطرهم إلى طلب النجدة من المرابطين، حيث وفد أعيانها على يوسف بن تاشفين في مراكش، كما وفد عليه المعتمد بن

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص١١٧؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٤٦؛ دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج٣، ص١٢٤- ١٣٣؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**،ج١، ص٨٨- ٩٠؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٣٩- ٥٤٠.

٢. المراكشي، **المعجب**، ص٧٠- ٧٣؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١١٨، ١٤١؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٤٢؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٤٩- ٥١.

٣. حصن لييط: حصن مربع الشكل، يقع على قمة جبل شاهق بين مدينتي مرسية ولورقة التي تقع على نهر شقورة، وتبعد عن مرسية نحو ستين كيلومترا، ويتحكم الحصن بالطرق المؤدية إلى المدينتين، وكذلك المؤدية إلى مدينة ألمرية. ويبدو أن الفونسو اختار هذا الموقع نكاية بابن عباد لاستدعائه المرابطين. مجهول، **الحلل الموشية**، ص٦٦- ٦٧؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٩٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٩٦٠، ٩٧٩؛ نصرالله، سعدون عباس، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١٠٤؛ سحرسالم، السيد عبدالعزيز، **تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩١م، ج٢، ص١٢٢.

٤. الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٥١؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤١؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٤١.

عباد نفســه، فوعـد بنجدتهم.[١] وقد عبر إلى الأندلس فعلا سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، وذلك للمرة الثانية، وكتب إلى أمراء الأندلس أن يوافوه بقواتهم عند الحصن. فوفدت إلى الحصن قوات من إشبيلية، وغرناطة، وألمرية وغيرها. [٢]

وضرب المسلمون على حصن لييط حصارا مشددا، غير أنهم لم يتمكنوا منه، مع أن معظم من كانوا في الحصن قد ماتوا جوعا وعطشا، وقد استنجد من ظلوا فيه بالفونسو السادس، فقدم على رأس جيش كبير لتخليصهم، وعندما وصل كان المسلمون قد انسحبوا من مواقعهم، وعاد ابن تاشفين إلى المغرب. وقد تفقد الفونسو الحصن فلم يجد من حاميته التي كانت تبلغ نحو ثلاثة عشر ألفا سوى مائة هدهم الجوع والإرهاق، ولذلك آثر إخلاء الحصن، ثم هدمه حتى لا يقع في أيدي المسلمين.[٣]

وعبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس للمرة الثالثة سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م دون طلب من أهلها، وكان يبيت أمرا تجاه ملوك الطوائف الذين نقل إليه كلام عنهم " أحفظه، وأوغر صدره"[٤] فقد استولى على غرناطة من صاحبها عبدالله بن بلقين، ثم استولى على مالقة (Malaga)[٥] من صاحبها تميم بن بلقين، وعاد إلى المغرب بعد أن ولى قائده سير بن أبي بكر اللمتوني على

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص١٤١؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص٦٧؛ سالم، **تاريخ بطليوس الإسلامية**، ص١٢١- ١٢٢؛ حتامله، ، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٩٨٠.
٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٢؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٤٣؛الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٥٢؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٢٨٩، ٣٩٩؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٤٢.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٢- ١٤٣؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٢؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥٤٣.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٣.
٥. مالقة: يلفظ اسمها بفتح اللام والقاف، وهي مدينة قديمة تقع على شاطيء البحر المتوسط، ويفصلها عن البحر سور قوي من الحجارة. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٤٣؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٥١٧- ٥١٨؛ الزهري، **الجعرافية**، ص٩٣؛ البكري، **جغرافية الأندلس وأوروبا**، ص١٢٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٩٩٦- ٩٩٨.

الأندلس، وأمره بالاستيلاء على بقية ممالك الطوائف. [١] ولكي يتمكن اللمتوني من القيام بالمهمة الموكولة إليه أرسل له ابن تاشفين مددا من المغرب[٢] وقد بدأت سيطرة المرابطين على ممالك الطوائف سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، واستمرت حتى سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م، حيث استولى المرابطون على آخر ممالكهم، وهي مملكة سرقسطة من بني هود.[٣]

وأصبح على المرابطين حماية الأندلس من هجمات النصارى المتلاحقة، وتحرير ما اغتصبوه من مدنها وأراضيها، وخاصة مدينة بلنسية التي احتلها السيد القنبيطور[٤] سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، وأحرق قاضيها ابن جحاف الذي بدأ حكمه لها بعد انتزاعها من القادر ابن ذي النون.[٥] وقد تمكن المرابطون من استعادتها فعلا في رجب من سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م على يد القائد أبي محمد مزدلي، ابن عم يوسف بن تاشفين.[٦]

---

١. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٥٢- ٥٣؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص١٤٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٤٤.

٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٤؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٣- ٥٤؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥٤٤ - ٥٤٥.

٣. المراكشي، **المعجب**، ص٧٦؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص١٦٣؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٥٤، ١٥٧؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٣- ٥٥؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥٤٥.

٤. هو القائد القشتالي الكونت رود ريجود يازدي بيقاد، وهو قائد مغامر تجمع حوله جنود مرتزقة، واستغل تدهور الأوضاع في الأندلس في عهد ملوك الطوائف، وتنازعهم، حيث أخذ يبيع خدماته العسكرية لهذا الطرف أو ذاك، من المسلمين ومن النصارى أيضا، وخاصة أن عملياته العسكرية كانت تدر عليه وعلى أتباعه الأموال والأسلاب. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٢٣٢ - ٢٣٣.

٥. ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص١٦٢؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٨؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٦- ٦٠.

٦. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص٤١- ٤٢؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١٠٩- ١١٠؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥٤٧- ٥٤٨.

وعبر يوسف بن تاشفين على رأس جيش قوي إلى الأندلس سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م لجهاد النصارى، وقام خلال هذه الحملة باختراق أراضي قشتالة، والتقى مع الفونسو السادس في معركة قرب طليطلة نجم عنها إلحاق هزيمة فادحة بقوات الفونسو.[١]

وعاد يوسف بن تاشفين إلى المغرب سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م نفسها بعد أن ضبط أحوال الأندلس، وأصدر أوامره للقادة العسكريين فيها بالإستمرار في محاربة النصارى.[٢] وما لبث أن توفي سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، فولي بعده ابنه علي.[٣]

استعادة مدينة قونكة بعد معركة أقليش

ذكرت سابقا أن المعتمد بن عباد تنازل لالفونسو السادس، ملك قشتالة، عن مدينة قونكة وغيرها ثمنا لحمايته له، ودعمه ضد ملوك الطوائف الآخرين الذين كان يتنازع معهم باستمرار، وخاصة بني ذي النون، أصحاب طليطلة.

ويذكر عنان أن بعض الروايات النصرانية تشير إلى أن المعتمد بن عباد إنما قدم مدينة قونكة وكذلك وبذة وإقليش وغيرها من أماكن كان قد استولى عليها من مملكة طليطلة أيام بني ذي النون، مهرا لابنته(زائدة) التي تزوجها الفونسو، وليس ثمنا للتحالف معه.[٤] ويفند عنان بطلان تلك الروايات مؤكدا أن زائدة إنما هي زوج الفتح بن المعتمد بن عباد الملقب بالمأمون الذي كان عندما قرر المرابطون الاستيلاء على الأندلس حاكما لقرطبة، وأنها، أي زائدة، لاذت بالفرار من قرطبة بعد أن اقتحمها المرابطون سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م وقتلوا زوجها، وقد فرت من قرطبة

---

١. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١١٢؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص٤٢- ٤٤؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٤٩.

٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص٤٤.

٣. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص١١٣ .

٤. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ص٣٤٥- ٣٤٧.

ولجأت في البداية إلى حصن المدور (Almodavar) الواقع على بعد ستة وثلاثين ميلا منها [١]، ثم التجأت إلى ملك قشتالة طلبا لحمايته، وخاصة بعد أن اشتد خطر المرابطين على سائر أنحاء الأندلس. ولم تلبث زائدة أن تنصرت، وغيرت اسمها إلى إيسابيل أو إيزابيل، ولما كانت على جانب كبير من الجمال، فقد تزوجها الفونسو بعيد سقوط قرطبة في أيدي المرابطين أوائل سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩٢م، وأنجب منها ابنه الوحيد سانشو الذي قاد معركة أقليش ضد المرابطين.[٢]

وكانت إرهاصات معركة إقليش قد بدأت بعد وفاة يوسف بن تاشفين، فقد ظن الفونسو السادس أن الفرصة أصبحت مواتية لاستئناف غزو الأراضي الأندلسية، ولذلك وجه حملة نحو أراضي إشبيلية، وعاثت فيها، فتصدى لها القائد المرابطي سير بن أبي بكر، والي إشبيلية، وأبو عبدالله بن الحاج، والي غرناطة، وتمكنا من صدها، وقتل نحو ألف وخمسمائة من أفرادها.[٣] وقد أدرك الأمير المرابطي الجديد علي بن يوسف بن تاشفين(٥٠٠- ٥٣٧هـ/ ١١٠٦- ١١٤٢م) ضرورة تلقين النصارى درسا قويا يؤكد هيبته، وإصراره على رد كيدهم، ودحرهم عن أراضي المسلمين، ولذلك كتب إلى أخيه تميم، والي غرناطة حينئذ، يأمره باستئناف الجهاد، فجهز جيشا اتجه مباشرة إلى أقليش التي كانت من أمنع معاقل كورة شنتبرية، وطوقها وهاجمها بعنف، وتمكن من تحريرها في اليوم التالي (الخميس ١٥ شوال ٥٠١هـ/ ٢٨أيار ١١٠٨م).[٤]

وكان النصارى المدافعون عن إقليش قد لجأوا إلى قصبة المدينة المحصنة بانتظار من يغيثهم،

---

١. حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية،** ج٢، ص١٠١٩.
٢. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،** ص٣٤٧.
٣. ابن عذاري، **البيان المغرب،** ج٤، ص٤٤-٤٥؛ عنان، **المرجع السابق،** ص٦٠.
٤. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب،** ص١٧٠- ١٧١؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص٥٠؛ حتامله، المرجع السابق، ج١، ص١٠٦.

فأمدهم الفونسو السادس بقوة عسكرية كبيرة بقيادة كبير قادته: البرهانس، ومعه ستة آخرون من كبار القادة القشتاليين، وكان على رأس هذه الحملة سانشو، ابن الفونسو السادس من زوجه زائدة المتنصرة، وهو ابنه الوحيد، وولي عهده، وكان يومئذ صبيا في الحادية عشرة من عمره، ودارت بين الطرفين معركة كبيرة في ١٦ شوال ٥٠١هـ/ ٢٩ أيار١١٠٨م هزمت خلالها القوات القشتالية هزيمة ساحقة، وقتل سانشو، وأحدث مقتله غصة في حلق الفونسو مالبث أن شرق بها ومات وذلك سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٩م، بعد أن حكم نحو نصف قرن.[١]

ولم يكتف المسلمون بانتصارهم في معركة أقليش، فقد استغلوا هزيمة النصارى، وهاجموا البلاد والحصون المجاورة، وتمكنوا من تحرير مدينة قونكة، ومواقع ومدنا أخرى منها مدينة وبذة أيضا.[٢]

ويذكر هنا أن النصارى بقيادة البرهانس تمكنوا من انتزاع مدينة قونكة من المرابطين سنة ٥٠٤هـ/ ١١١١م، إلا أنها لم تلبث في أيديهم سوى فترة يسيرة، حيث تمكن المرابطون من تحريرها مرة أخرى.[٣]

والجدير بالذكر أن انتصار المسلمين في معركة أقليش كان فاتحة لتنفيذ خطة استراتيجية منظمة أعدها المرابطون لقتال النصارى، فبعد نحو عام من تلك المعركة، عبر أمير المسلمين علي بن

---

١. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص١٧٠ـ ١٧١؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص٥٠؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١١٤؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٦٥؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين**، ٦٣ـ ٦٤؛ حتامله، الأندلس، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٠٦؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٥١.
٢. عنان، المرجع السابق، ص٦٦.
٣. المرجع نفسه، ص٧١.

يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، وذلك في الخامس عشر من المحرم ٥٠٣هـ/ آب ١١٠٩م، " برسم الجهاد، ونصر الملة، وإعزاز الكلمة"[١]. وقد بلغ عدد جيوشه في تلك الحملة نحو مائة ألف فارس، قادها باتجاه طليطلة، وفتح في طريقه إليها حصونا ومدنا كثيرة من أعمال طليطلة منها وادي الحجارة وطلبيرة، ولما انتهى إلى طليطلة حاصرها شهرا" وانتسف ما حولها، وبالغ في النكاية، ثم قفل إلى قرطبة بعد أن دوخ البلاد"[٢]

سقوط سرقسطة وبداية نهاية عهد المرابطين في الأندلس

أشرت سابقا إلى أن المرابطين استولوا على سرقسطة من أيدي أصحابها بني هود سنة ٥٠٣هـ/ ١١١٠م، وكان يحكمها حينئذ أبو مروان عبدالملك(عماد الدولة) ابن المستعين بالله ابن هود الذي استشهد في معركة كبيرة خاضها ضد ملك أرغون الفونسو المحارب.[٣] وقد ظلت سرقسطة في أيدي المرابطين حتى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م، ففي تلك السنة تمكن النصارى من احتلالها بعد حصار شديد أنهكها. وخارت قواها عن المقاومة.[٤]

وكان أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين قد عبر إلى الأندلس في السنة السابقة، وتوجه غربا، حيث حقق انتصارات، وفتح مناطق ومدنا في أقصى غرب الأندلس منها مدينة قلمرية (Coimbra)[٥] وفي الوقت نفسه كان ملك أرغون الفونسو المحارب يحشد حملة صليبية

---

١. مجهول، **الحلل الموشية**، ص٨٥.
٢. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٦٥؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص٥٢.
٣. ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٤٨؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٣١٧؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١١٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٥١٠.
٤. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص١١٧- ١٢٠؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٦٦- ٦٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٥٢.
٥. قلمرية: أوردتها المصادر الإسلامية بأكثر من لفظ: قلنيمرة، وقلنبرية، وقلمرية، وهي مدينة تقع في البرتغال على راس جبل مستدير، وتبعد عن المحيط الأطلسي نحو اثني عشر ميلا. وقد كانت في أيام الطوائف إحدى مدن مملكة بطليوس لأصحابها بني الأفطس. واحتلها النصارى بقيادة فرناندو الأول ملك قشتالة وليون سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٩١؛ البكري، **جغرافية الأندلس وأوروبا**، ص٦٣؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٨٢-٨٨٣.

لاحتلال سرقسطة، وقد شاركت في هذه الحملة قوات نصرانية من الدول النصرانية في شمالي شبه الجزيرة الأيبيرية، ومن فرنسا وغيرها، وبعد اكتمال الحشود التي بلغت نحو خمسين ألفا حاصروا سرقسطة، وأضاقوا أهلها الويلات، فاضطرت إلى الإستسلام. ودخلها المحتلون النصارى في رمضان ٥١٢هـ/ كانون الأول ١١١٨م.(١)

وتعرضت جيوش المرابطين بعد سقوط سرقسطة لهزائم متلاحقة، وفسد عمالهم في الأندلس، حيث انصرفوا إلى اللهو والملذات، ليس في الأندلس وحسب، وإنما في بلاد المغرب أيضا، وقد إختلت أحوال الأندلس بشكل عام في أواخر عهد علي بن يوسف بن تاشفين اختلالا مفرطا، وأخرج الأندلسيون من كان عندهم من الولاة المرابطين " واستبد كل منهم بضبط بلده، وكادت الأندلس تعود إلى سيرتها الأولى بعد انقطاع دولة بني أمية"(٢)

وكان علي بن يوسف بن تاشفين قد توفي سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م، وولي بعده ابنه تاشفين،(٣) وفي عهده انحدرت دولة المرابطين بسرعة نحو هاوية النهاية، وقد توفي بعد نحو سنتين، أي في سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م، وولي بعده ابنه أبو إسحاق إبراهيم الذي حكم نحو عامين أيضا، حيث قتل سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٧م (٤)، وبمقتله انتهى حكم المرابطين، وقامت على أنقاض دولتهم دولة الموحدين الذين مرت مدينة قونكة في عهدهم بأحداث كثيرة سأعرضها أثناء تناول ما يتعلق من تلك الأحداث بدولتهم.

مدينة قونكة في عهد الموحدين

وقعت في أواخر سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م في مدينة مراكش بالمغرب أول بادرة مؤذنة ببداية

---

١. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١١٧- ١٢٠؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٩٧- ٩٨؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٦٦- ٦٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٥٢.

٢. المراكشي، **المعجب**، ص٢٧٧.

٣. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص١٠٠- ١٠١؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٦٩.

٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٠٤؛ ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص١٩٨؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص١٢٤؛ المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٤٦٠- ٤٦١؛ أبا الخيل، **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى**، ص٤٠- ٤١.

ثورة دينية اضطلع بها محمد بن تومرت ضد دولة المرابطين.[١] وينتسب ابن تومرت الذي تلقب بالمهدي إلى الحسن بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه،[٢] ويرى بعض المؤرخين أنه إنما ادعى هذا النسب، وأظهر ذلك تدريجيا حتى يضمن قبول الناس له،[٣] وهو من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب، من قبيلة تسمى (هرغة).[٤] وهي إحدى قبائل مصمودة من البربر.[٥]

وقد درس المهدي في المغرب والأندلس، ثم رحل طلبا للعلم في المشرق الإسلامي سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٧م، ثم عاد إلى بلاده سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م حيث أخذ يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك عندما وجد فساد المرابطين، وابتعادهم عن الدين. وقد آمن بدعوته إلى التوحيد عدد من الأشخاص، وبايعوه على أنه المهدي المنتظر، والإمام المعصوم، وكان ألصقهم به عبد المؤمن بن علي، وسمى المهدي أصحابه: الموحدين.[٦]

وكثر أتباع المهدي بمرور الزمن، وكان المرابطون حينئذ قد بلغوا مبلغا عظيما من الفساد، ومع ذلك حاولوا القضاء على الموحدين حتى لا تقوم لهم دولة تهدد وجودهم، وقد اشتبكوا فعلا مع الموحدين في معركة البحيرة قرب مراكش في أوائل سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م وهزموهم.[٧]

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين**، ص١٥٧.

٢. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٥، ص٤٥؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص١٠٣؛ المراكشي، **المعجب**، ص٢٤٥؛ ابن القطان، **نظم الجمان**، ص٨٧ وما بعدها.

٣. الصلابي، علي محمد محمد، **دولة الموحدين**، دار البيارق للنشر، عمان، ١٩٩٨م، ص٧.

٤. ابن خلكان، المصدر السابق، ج٥، ص٤٦؛ المراكشي، المرجع السابق، ص٢٤٥؛ الفقي، **تاريخ المغرب والأندل**س، ص٢٦٤.

٥. ابن خلكان، المصدر السابق، ج٥، ص٥٥؛ أبا الخيل، **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى**، ص٤٢.

٦. مجهول، المصدر السابق، ص١٠٣- ١٠٤؛ المراكشي، المصدر السابق ، ص٢٤٥- ٢٤٧؛ الفقي، المرجع السابق، ص٢٦٤- ٢٦٥؛ أبا الخيل، المرجع السابق، ص٤٢؛ النجار، عبد المجيد، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، ط٢، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٥٨- ٦٥.

٧. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ص٣٥٠٣- ٣٥٠٥؛ الفق أبا الخيل، **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى** ، ص٤٣ ؛ النجار، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، ص٦٥- ٦٦.

وقد توفي المهدي بن تومرت في أواخر سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م، وتمكن تلميذه عبد المؤمن بن علي، الذي ينتمي إلى قبيلة كومية من البربر أن يجمع فلول الموحدين، وينظم شؤونهم، ويستأنف قتال المرابطين، وقد استمرت تلك الحرب نحو ثماني سنوات، وكانت حربا استنزافية اعتمدت الغارات الخاطفة، وانتهت بالقضاء على دولة المرابطين.[١].

ويعتبر عبد المؤمن بن علي الكومي المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين في المغرب، فقد " بايعه المصامدة، واتفقت على تقديمه الجماعة"[٢]. وتمكن من تأسيس دولة الموحدين في بلاد المغرب، تلك الدولة التي ما إن استقرت أوضاعها حتى امتدت إليها أنظار أهل الأندلس.

وكانت الأندلس في أواخر عهد المرابطين قد عمت أنحاءها الإضطرابات، وأعلن بعض الثوار ضدهم الولاء والطاعة للموحدين حتى قبل عبور جيوشهم إليها، وقد طلب هؤلاء عون الموحدين في قتال المرابطين، وتكللت جهودهم بموافقة عبد المؤمن بن علي على تجهيز ثلاثة جيوش عبرت إلى الأندلس أوائل سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، وسيطرت على ما كان في أيدي المرابطين منها. وقد استغرقت عملياتهم لتحقيق هذه الغاية نحو عشر سنوات، أي حتى سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٦م حيث استسلمت للموحدين مدينة غرناطة التي اضطر قائد حاميتها ميمون بن بدر اللمتوني إلى التنازل عنها لهم.[٣]

وقد تمكن الموحدون في عهد عبد المؤمن بن علي من استعادة مدن وحصون من أيدي النصارى، منها مدينة ألمرية التي كان النصارى بقيادة الفونسو السابع، ملك قشتالة، قد احتلـوها

---

١. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٢٣٧- ٢٣٨؛ المراكشي، **المعجب**، ص٢٦٢؛ أبا الخيل، المرجع السابق، ص٤٣- ٤٤؛ الفقي، المرجع السابق، ص٢٦٦- ٢٦٧؛ وات، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ص١١٦- ١١٧.
٢. المراكشي، المصدر السابق، ص٢٦٢.
٣. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٠٤- ١٠٦؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص٨٥؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٩٢- ١٠١.

سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م في عهد المرابطين.[١] فقد حاصرتها جيوش الموحدين، وتمكنت من تحريرها أواخر سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م.[٢]

وقد جاز عبد المؤمن بن علي نفسه إلى الأندلس سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م حيث أمضى نحو شهرين في ترتيب أحوال الأندلس، وعاد إلى مراكش.[٣] واستعد للجواز إلى الأندلس مرة أخرى في ربيع الأول من سنة ٥٥٨هـ/ شباط ١١٦٣م، حيث انتقل إلى رباط الفتح تتقدمه جيوش موحدية جرارة، وذلك لقتال ملوك النصارى الذين كانوا حينئذ يهددون معظم أنحاء الأندلس، وهم: الفونسو هنريكيز، ملك البرتغال، وفرناندو الثاني ، ملك ليون، والفونسو الثامن، ملك قشتالة، والفونسو الثاني، ملك أرغون وبرشلونة.[٤] غير أن عبد المؤمن ما لبث أن مرض مرض الموت، وتوفي في جمادى الآخرة ٥٥٨هـ/ أيار ١١٦٣م.[٥]

وكان عبد المؤمن قد عهد بالخلافة من بعده إلى أكبر أبنائه: محمد بن عبد المؤمن، وقد بايعه الناس، وكتب ببيعته إلى أنحاء البلاد، غير أنه سرعان ما تم خلعه بسبب " ماكان عليه من أمور لا تصلح معها الخلافة، من إدمان شرب خمر، واختلال الرأي، وكثرة الطيش، وجبن النفس".[٦]

---

١. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص١٧؛ المراكشي، **المعجب**، ص٢١٠- ٢١١؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص١٠٢؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٣٣. O'catlaghan.F. J: A History of medieval Spain, . Copyright 1975, Cornell University, Ithacam, Newyork. P 231.

٢. المقري، **نفح الطيب**، ج٦، ص٢٠٧؛ ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج١، ص٢٧١؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٢٢؛ أبو رميلة، المرجع السابق، ص١٠٢- ١٠٣.

٣. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين**، ص٣٨٥- ٣٨٦؛ الصلابي، **دولة الموحدين**، ص١١٥- ١١٦.

٤. عنان، المرجع السابق، ص٣٩٣- ٣٩٤.

٥. المراكشي، المصدر السابق، ص٣٠٦؛ عنان، المرجع السابق، ص٣٩٤- ٣٩٥.

٦. المراكشي، المصدر السابق، ص٣٠٦.

وتم بعد خلع محمد بن عبد المؤمن الذي لم تدم خلافته سوى خمسة وأربعين يوما مبايعة أخيه أبي يعقوب يوسف ليتولى خلافة الموحدين. وقد أصدر الخليفة الجديد أوامره إلى الجيوش الموحدية في رباط الفتح التي كانت تتأهب للجواز إلى الأندلس بالعودة إلى بلادها بانتظار أوامر جديدة.[١]

وأمضى يوسف بن عبد المؤمن بضع سنوات في ترسيخ ملكه، وتثبيت قواعده، وعندما تم له ذلك أخذ يستعد للجواز إلى الأندلس" مظهرا قصد غزو الروم، ومبطنا إتمام تملك الجزيرة والتغلب على ما في يد محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش"[٢]

ويذكر المراكشي أن ابن مردنيش كان ـ في أواخر عصر المرابطين ـ قد تملك شرقي الأندلس حيث تقع عدة مدن منها مدينة مرسية، ومدينة قونكة، ومدينة وبذة وغيرها.[٣] وقد جمع يوسف لحربه وحرب النصارى نحو مائة ألف من الموحدين والعرب بينهم عشرون الف فارس.[٤] وتحرك على راس هذه القوات إلى الأندلس سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧١م، ونزل في إشبيلية، وأمضى فيها نحو عام كان خلاله يجهز لحرب ابن مردنيش،[٥] وصادف أن مرض ابن مردنيش ذلك العام مرضا شديدا، وما لبث أن مات في رجب من السنة التالية، " ولما مات محمد بن سعد (ابن مردنيش) جاء أولاده، وقيل إخوته، إلى الأمير يوسف بن عبد المؤمن وهو بإشبيلية فسلموا إليه

---

١. المراكشي، **المعجب**، ص٢٠٧؛ ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص١٥١ـ ١٥٤؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين** ، ص٣٩٤ـ ٣٩٥.
٢. المراكشي، المصدر السابق، ص٣٢١.
٣. المصدر نفسه، ص٣٢١؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٧، ص١٣١.
٤. ابن خلكان، المصدر السابق، ج٧، ص١٣١؛ المراكشي، المصدر السابق ، ص٣٢١؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**؛ ص٢٤٤.
٥. المراكشي، المصدر السابق ، ص٣٢١؛ ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٠٩ وما بعدها؛ أبو رميلة، المرجع السابق، ص٢٤٤.

جميع يلاد شرق الأندلس".[١]

محاولة تحرير مدينة وبذة

حقق الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن باستيلائه على شرقي الأندلس الهدف الحقيقي لجوازه إلى هناك، وكان لا بد من تأمين الحماية لهذه المنطقة من اعتداءات النصارى وأطماعهم فيها، وكانت حرب النصارى هي الهدف المعلن لجوازه إلى الأندلس، وقد عزز في نفسه هذا الهدف ما أشار به عليه أعيان شرقي الأندلس، وهو أن يعمل على كسر شوكة النصارى بغزو مدينة وبذة.[٢] ويرى بعض المؤرخين أن سبب اختيار مدينة وبذة لتحريرها من النصارى، وفرض هيبة الموحدين تجاههم، هو أن تلك المدينة كانت صيدا سهلا، كما يقال، فتحصيناتها وأسوارها ضعيفة، وعمرانها حديث لم يتأثل بعد، وبالتالي يسهل اختراقها.[٣] بينما يذكر المراكشي أن سبب اختيارها هو من كان يحتشد فيها من" أعيان دولة الأدفنش(الفونسو الثامن) ووجوه أجناده".[٤] وهو السبب الأرجح، إذ ربما أراد أعيان شرقي الأندلس أن توجه ضربة قاصمة لأعيان النصارى وقادتهم المحتشدين في وبذة. وكان النصارى قد استولوا عليها سنة ٤٧٢هـ/ ١٠٨٠م في عهد ملك قشتالة الفونسو السادس الذي احتلها قهرا، وسماها(مدينة الفونسو).[٥]

وقد خرج الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن على رأس قواته من إشبيلية متجها إلى وبذة فجر الإثنين ١١ شوال ٥٦٧هـ/ ٦ حزيران ١١٧٢م،[٦] ومر في طريقه بقرطبة حيث أقام

---

١. ابن خلكان، **وفيات الأعيان،** ج٧، ص١٣١؛ أبو الفضل، محمد أحمد، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي (٥١٥- ٦٨٦هـ/ ١١٢١- ١٢٨٧م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري،** دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م، ص١٦٥.
٢. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة،** ص٣٧٣؛ المراكشي، **المعجب،** ص٣٢٣؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين،** ص٧٤.
٣. عنان، المرجع السابق، ص٧٤؛ أبو الفضل، المرجع السابق، ص١٦٥.
٤. المراكشي، المصدر السابق، ص٣٢٣.
٥. حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية،** ج٢، ص١١٤٣.
٦. ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ، ص٣٩٨- ٣٩٩.

بضعة أيام، ثم استأنف سيره سالكا الطـريق إلى القصير (Al-Kosair) [١] ثم أندوخـر أو أندوجر (Andujar) [٢]، ثم اتجه شرقا إلى مدينة بياسة (Baesa)[٣] ومنها إلى حصن بلج (Vilches) الواقع قرب بياسة، وهو من أمنع حصون المنطقة، حيث حاصر الحصن، وعاين ضخامته ومنعته، ولما رأت حاميته النصرانية ضخامة الجيش الموحدي، آثرت الإستسلام، بعد منحها الأمان. [٤]

واستأنف الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن حملته في الطريق إلى وبذة، حيث هاجمت قواته حصن الكـرس (Alcaraz)، وهو حصن مرتفع، كثيـر الميـاه، فتنازلت عنه حاميته النصرانية مقابل الأمان أيضا.[٥] ووصلت القوات إلى مقربة من نهر وادي شقر حيث ارتوى الناس والدواب من ماء النهر، وقضوا فيه يومهم للراحة .[٦] وفي اليوم التالي، وكان الخميس ١٢ ذو القعدة ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م وجه الخليفة قوة من اثني عشر ألف فارس ومعها الرجالة والرمـاة

---

١. القصير: حصن من أعمال قرطبة، يقع إلى الشرق منها. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٦٥؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٥٦.

٢. أندوخر أو أندوجر: ورد اسمه في معجم البلدان(أندوشر)، وضبطه ياقوت بالضم ثم السكون، والشين المعجمة. وهو حصن يقع إلى الشمال الشرقي من قرطبة. وقد كان شديد المنعة كثير الأبراج. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٦٤؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٥١١؛ ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج١، ص٤١٤؛ حتامله، المرجع السابق، ج١، ص١٦٩.

٣. بياسة: تلفظ بياء مشددة، وهي مدينة من أعمال جيان تقع على نهر الوادي الكبير، وتبعد عن جيان التي تقع بدورها على بعد خمسة أيام إلى الشرق من قرطبة، عشرين ميلا. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٥١٨ ،ج٢، ص١٩٥؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٥٧؛ البكري، **جغرافية الأندلس وأوروبا**، ٦٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٣٢٨- ٣٣١، ٤٠٨.

٤. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٠٠ -٤٠١؛ أبو الفضل، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي**، ص١٦٥.

٥. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص٤٠١.

٦. المصدر نفسه، ص٤٠٢؛ **عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين** ، ص٧٦.

بقيادة أخيه أبي سعيد للإغارة على أول بلاد النصارى بجهات وبذة، وقد تمكنت هذه القوة في طريقها إلى وبذة من تحرير بعض الحصون، وإفناء حامياتها النصرانية. وعند وصول هذه القوة إلى مقربة من وبذة نزلت على جبل مطل عليها، وانتظرت إلى أن وصلها الخليفة على رأس بقية الجيش وذلك يوم ١٧ ذي القعدة ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م " فعبى عسكره تعبئة خامرت نفوس الكفار رعبا"[١]

وبدأت معركة وبذة بمهاجمة أحياء المدينة الملاصقة لأسوارها، وتغلب الموحدون على هذه الأحياء، ودمروها، فارتد النصارى القشتاليون إلى الداخل، وعندئذ نزل الموحدون بخيولهم في الجنات والكروم المتصلة بالمدينة، وقطعوا عنها ماء النهر، ثم توزعوا على جهاتها الأربع، وكان النصارى قد حفروا على عجل خندقا خارج المدينة، " وصنعوا عليه زربا من الخشب أضافوا إليه أبواب ديارهم وبيوتهم"[٢] وذلك لإعاقة اقتحام المدينة.

وركب الخليفة في صباح اليوم التالي فرسه ومن حوله الكتائب الجرارة مستعدة للقتال، وما لبثت أن احتدمت مع النصارى معركة عنيفة اضطرت القشتاليين إلى اللجوء إلى الأسوار، وإلى داخل المدينة، واعتصم معظمهم بقصبتها، و" دام القتال على انحلال وضعف إلى بعد أذان الظهر..وما نفع الجيش الكثير عدده، ولا الجمع".[٣]

ويفهم من نقل ابن صاحب الصلاة الذي كان شاهد عيان مرافقا للجيش أن حملة وبذة فشلت فشلا ذريعا في تحقيق هدفها في اقتحام المدينة، ولذلك قرر الخليفة الموحدي فرض الحصار عليها، واستعدادا لذلك أمر بتوفير المؤن للجيش، كما أمر بصنع السلالم والأبراج الخشبية لقتال النصارى في جوانب المدينة. وفي أثناء تلك الاستعدادات جاء رسول من النصارى يعرض تسليم

---

١. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٠٢- ٤٠٣.
٢. المصدر نفسه، ص٤٠٤.
٣. المصدر نفسه، ص٤٠٨.

المدينة بالأمان، فرفض طلبه، وكرر الرسول الطلب في اليوم التالي فرفض أيضا.[١]

" وبات الموحدون تلك الليلة على حذر وترتيب في منع الكفرة من الماء"[٢] وفي صباح اليوم التالي، وكان الجمعة ٢٠ ذو القعدة ٥٦٧هـ/ ١٤ تموز ١١٧٢م هبت ريح عاصفة، فأوقعت بمعسكر الموحدين اضطرابا شديدا، واقتلعت أخبيتهم. وفي مساء اليوم نفسه هبت ريح مماثلة بل أشد، ثم تلاها وابل من المطر، وكان ذلك نجدة للنصارى، حيث ارتووا من مياه الأمطار، وتقووا بذلك فهاجموا بعض أجنحة الجيش الموحدي وهزموها.[٣]

وحاول الموحدون وقد يئسوا من فتح مدينة وبذة حربا أن يستدرجوا النصارى إلى تقديم عرضهم السابق بتسليم المدينة، فخاطبوا قائدها، وهو أحد أبناء مانريكي دي لارا الذي يسميه ابن صاحب الصلاة (أدفونش الصغير)[٤] وقد كان والده مربيا لملك قشتالة، الفونسو الثامن، غير أن هذا القائد رفض ذلك عندما رأى اختلال أمر الموحدين واضطراب معسكرهم، وعندما علم أن الفونسو الثامن قادم لنجدته.[٥]

وهكذا فشلت حملة الموحدين في تحرير وبذة حربا أو صلحا، وعندما يئسوا من ذلك عقد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن مجلسا حربيا حضره الأعيان من الموحدين والعرب والأندلسيين، وتداولوا الأمر، وقرروا الإنسحاب تحت وطأة نفاد الأقوات، والعواصف والأمطار الشديدة. [٦]

---

١. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة** ، ص٤٠٨- ٤٠٩.
٢. المصدر نفسه، ص٤٠٩.
٣. المصدر نفسه، ص٤٠٩- ٤١١؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٧، ص١٣٥؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٧٨- ٧٩.
٤. ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص٤١٢.
٥. عنان، ، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٧٩.
٦. ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ، ص٤١٢- ٤١٣؛ عنان، المرجع السابق، ص٧٩؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٤٦.

وتمهيدا لتنفيذ القرار بالإنسحاب أمر الخليفة بفك الحصار وحرق آلاته، وفي صباح اليوم التالي بدأ الرحيل مع ما خالطه من اضطراب استغله النصارى في مهاجمة الجيش المنسحب، وأوقع فيه بعض الخسائر، وكاد يتعرض لمذبحة لولا أن فرقة كبيرة من الجيش الموحدي تصدت للمهاجمين، وحالت دون تماديهم.[١]

تفقد أحوال مدينة قونكة

سار الجيش الموحدي المنسحب باتجاه مدينة قونكة، وعندما وصل إلى وادي شقر على بعد ميلين منها، عسكر الجيش بعد أن تزود وهو في طريقه إلى المكان بما وجد من زروع وغلات.[٢] وبعد يومين، أي في يوم الثلاثاء أول ذي الحجة دخل الخليفة ومعه الأعيان والشيوخ والفقهاء والقضاة مدينة قونكة لتفقد أحوالها.[٣]

وكانت مدينة قونكة قبل زيارة الخليفة قد تعرضت لحصار شديد استمر نحو خمسة أشهر، ولم يقلع النصارى عنها إلا عندما علموا بزحف الجيوش الموحدية نحو شرقي الأندلس، وقد أذهب طول الحصار الأخضر واليابس في المدينة، وترك النصارى أهلها " كأنهم قد نشروا من كفن، وخرجوا من جدث"[٤] ولذلك فإنهم ما إن وصل الخليفة إلى مدينتهم حتى هرعوا إليه مسلمين، وأبصارهم شاخصة تترقب ما قد يفعله لإنقاذهم مما هم فيه من جوع وحرمان، وسوء أحوال. ولم يطل انتظارهم، فقد بادر الخليفة فأصدر أمرا بأن تكتب أسماء جميع من في المدينة من الرجال

---

١. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤١٣- ٤١٤؛ أبو الفضل، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي**، ص١٦٦؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** ، ص٢٤٧.
٢. ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ، ص٤١٤؛ الغناي، مراجع عقيلة، **سقوط دولة الموحدين**، ط١، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، ١٩٧٥م، ص١١٨.
٣. ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ، ص٤١٥.
٤. المصدر نفسه، ص٤١٦.

والنساء والصبيان والأطفال، وقد كتبت، وأحصي عددهم، فكان سبعمائة، " فأمر للفارس منهم باثني عشـر مثقـالا، وللراجل بثمانية مثاقيل، وللمرأة بأربعة مثاقيل، وللطفل بأربعة مثاقيل، وأعطاهم سبعين بقرة لم يكن عنده في المحلة سواها، وكثيرا من الرماح والقسي والسهام". وتصدق بعض أفراد الجيش على أهل مدينـة قـونكة بما تيسر من قمـح وشـعير، وبذلك اجتمع لهم زرع وضرع، وارتدت غائلة الجوع عنهم.[١]

وترك الخليفة مدينة قونكة بعد تأمين أهلها بالأرزاق وحسب، فهو لم يترك فيها حامية قوية تدفع النصارى عنها، متناسيا أن مآلها إلى الجوع والفقر إنما كان بسبب حصارها من قبلهم، وعدم قدرتهم وحدهم على فك الحصار.

ولم يكن النصارى بعيدين عن مدينة قونكة، فقد وجدهم الموحدون عندما تركوها قريبين منها، وكان عددهم كبيرا، وقد سرت شائعة بأنهم طلائع جيش الفونسو الثامن، وقد تجنب الخليفة خوض معركة معهم، فعندما علم بوجودهم أمر جيشه بالرحيل عن الموقع، والسير إلى نهر وادي شقر. وكان رحيلا غير منظم، فقد حدث خلاله اضطراب وفزع مثلما كان الحال عند الرحيل عن وبذة، وعبر الجيش نهر شقر، ونزل بجبل حصين يتصل بمدينة قونكة.[٢]

وأما النصارى فقد تركوا بدورهم مواقعهم القريبة من مدينة قونكة، وتبعوا جيش الموحدين، وعسكروا مقابله، وأمضى الجميع ليلتهم على حذر دون أن يحدث أي اشتباك بين الطرفين، وفي صباح اليوم التالي عقد الخليفة مجلسا حربيا قرر المبادرة إلى قتال النصارى، غير أن القرار لم يكن بالإجماع، فقد اعترض عليه العرب محتجين بضيق ساحة القتال. بينما قرر الأندلسيون خوض المعركة إلى جانب الموحدين، وخرج بعضهم لاختبار قوة النصارى، واشتبكوا معهم في مناوشـات محـدودة، وعندما عـادوا أخـذوا يتأهبـون مـع الموحـدين للقتال في اليـوم التـالي، وفيـه استطلعوا أمر النصارى، فلم يجدوا منهم أحدا، إذ يبدو أنهم انسحبوا عندما أجنهم الليل.[٣]

---

١. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤١٦.

٢. المصدر نفسه ، ص٤١٧.

٣. المصدر نفسه، ص٤١٦- ٤١٩.

وانسحب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بدوره من المنطقة، حيث أمر باستئناف الرحيل، باتجاه مرسية التي وصلها في الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م ، وقد عانى الجيش الموحدي كثيرا خلال هذه الرحلة التي استغرقت من مدينة قونكة حتى مرسية نحو عشرين يوما ، حيث قلت الأقوات، ، وغلت الأسعار، ونفق كثير من الدواب، ومات كثيرون من الناس جوعا وتعبا. ولم يكن ما قدمه أهل مرسية الذين لم يتوانوا عن تقديم ما يستطيعون كافيا لتخفيف أعباء الجيش الموحدي، يضاف إلى ذلك أن مرسية ضاقت بالأعداد الكبيرة لضيوفها الذين أدركوا ذلك، فاستأذنوا بالعودة إلى أوطانهم.(١)

أما الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فقد غادر مرسية في أول ربيع الأول من سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م عائدا إلى إشبيلية، وظل فيها حتى شعبان سنة ٥٧١هـ/ شباط ١١٧٦م حيث غادرها إلى المغرب.(٢)

وكان الخليفة الموحدي أثناء إقامته في إشبيلية قد وجه حملتين لحرب النصارى في قشتالة، توجهت إحداهما إلى طلبيرة، والأخرى إلى طليطلة، وقد عادت الحملتان بالغنائم والسبي والأسرى، مما دفع ملك قشتالة إلى طلب عقد هدنة مع الموحدين، فوافق الخليفة. ولم يكن التهادن والصلح قد عقد مع ملك قشتالة وحسب، وإنما عقد أيضا مع صاحب طليطلة: الكونت نونيو دي لارا، والفونسو هنريكيز، ملك البرتغال؛ وقد عقد الخليفة هذه المهادنات رغبة في التفرغ لإصلاح البلاد، وخاصة الثغور.(٣)

---

١. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤١٩- ٤٢٤؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ، ص٨٢- ٨٣.
٢. ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص٤٢٤-٤٢٧؛ المراكشي، **المعجب**، ص٣٢٤؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٤٩.
٣. أبو رميلة، المرجع السابق، ص ٢٤٨- ٢٤٩.

سقوط مدينة قونكة

لم يكن سقوط مدينة قونكة في أيدي النصارى ـ كما سيأتي تفصيله ـ أمرا مفاجئا، وإنما كان متوقعا منذ عجز الموحدين عن اقتحام مدينة وبذة على صغرها وافتقارها حتى إلى أبواب تغلق لحمايتها،(١) وضخامة الجيش الموحدي، فقد كان ذلك الجيش يضم نحو عشرين ألفا من الفرسان نصفهم من الموحدين، والنصف الآخر من العرب، وقد قدم هؤلاء جميعا من المغرب، وانضم إليهم عدة آلاف من جند الأندلس. وهذا الجيش الكبير لم يكن يواجهه من القشتاليين سوى حامية نصرانية صغيرة من سكان المدينة.(٢)

ولم تكن العوامل الطبيعية التي تعرضت لها منطقة وبذة أثناء الحصار سببا مقبولا لرفعه ، فقد هدأت العاصفة بعد يومين، وكان يمكن للموحدين أن يستغلوا هدوءها لتشديد الحصار، وليس للرحيل، بل كان يمكن اقتحام المدينة أثناء تلك العاصفة عندما انشغل النصارى بالمياه المتدفقة يشربون ويرتوون ويملأون صهاريجهم بعد العطش الشديد الذي أودى بكثيرين منهم.(٣)

ويذكر هنا أن المراكشي اعتبر العواصف التي ضربت وبذة أثناء حصارها فضلا من الله على النصارى، استجابة لدعواتهم وصلواتهم، يقول " وأطمعه (أي الخليفة الموحدي) فيهم ما نقل إليه من شدة عطشهم وكثرة من يموت منهم، فلما يئسوا مما عنده سمع لهم في بعض الليالي لغط عظيم وجلبة أصوات؛ وذلك أنهم أخرجوا أناجيلهم، واجتمع قسيسيهم ورهبانهم يدعون ويؤمن باقيهم، فجاء مطر عظيم كأفواه القرب ملأ ما كان عندهم من الصهاريج، وشربوا وارتووا وتقووا على المسلمين، فانصرف عنهم أمير المؤمنين راجعا إلى إشبيلية**!!**"(٤)

ويمكن استنتاج حقيقة السبب الذي كان وراء انسحاب الجيش الموحدي، وهو افتقاره في تلك الحملة إلى القيادة العسكرية القادرة على إدارة المعركة، فقد سبقت الإشارة إلى أن الخليفة كان

---

١. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٠٦.
٢. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٨٤.
٣. المراكشي، **المعجب**، ص٣٢٤.
٤. المصدر نفسه، ص٣٢٤.

عندما يعزم على أمر يعقد مجلسا أشبه بالمجلس الحربي للتشاور، غير أن ذلك المجلس كان يقتصر على أخوة الخليفة وأشياخ الموحدين وأعيانهم، فهو أشبه بالمجلس العائلي الذي يرتجل قراراته، وينفذها دونما تفكير بالعواقب.[١]

يضاف إلى ذلك أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لم يكن ذلك القائد العسكري المحنك الجاد القادر على إدارة المعركة، فعندما ألجأ أحد قادته، وهو أبو العلاء بن عزون، النصارى إلى داخل وبذة، هرع إلى الخليفة طالبا العون لاقتحامها، فلم يجبه " لانشغاله مع الطلبة في المذاكرة" [٢] ويروي ابن صاحب الصلاة أن أبا العلاء بن عزون حدثه قائلا:" لما قاتلت النصارى في البرج الذي كان عمدة امتناعهم فيه بمدينة وبذة، وأشرفت على الفتح والغلبة لهم، ولم أر أحدا من أهل الأجناد الأنجاد، ولا من الشيوخ والقواد من يعينني، مشيت بنفسي إلى امير المؤمنين، وهو جالس مع أخيه السيد الأعلى أبي حفص ومعه طلبة الحضر يتكلم معهم في المسائل، فقلت: يا سيدنا أمير المؤمنين، عسى عون فقد أشرفت على الفتح؛ وإنما كنت طامعا أن يركب، فيراه وجميع العساكر، فيدخلون المدينة في حينهم فلم يجاوبني، واشتغل عني بما كان فيه"[٣] والسؤال الذي يطرح نفسه في ضوء هذه الحقائق هو: كيف يمكن لجيش ينصرف قائده الأعلى إلى مثل ما انصرف إليه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أثناء المعركة أن يحرر مدينة محتلة مثل وبذة، أو يحمي مدينة من الإحتلال مثل قونكة؟

وقد سبق القول أن الخليفة الموحدي غادر مدينة قونكة بعد أيام من تفقد أحوالها، دون أن يترك فيها حامية من جيشه، وكان ذلك خطأ استراتيجيا، وخاصة أن النصارى كانوا يتربصون بها، ويتحينون الفرصة للإنقضاض عليها، وقد حانت تلك الفرصة عندما وقع الخليفة تلك المعاهدة مع النصارى، وغادر الأندلس عائدا إلى المغرب، إذ استغل النصارى عودته، ونقضوا الهدنة

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٨٥.
٢. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٠٦.
٣. المصدر نفسه، ص٤٠٧- ٤٠٨.

قبل انتهاء مدتها بنحو ثلاث سنوات،[١] ففي شعبان ٥٧٢هـ/ كانون الثاني ١١٧٧م أقدم الفونسو الثامن ملك قشتالة والكونت نونيو دي لارا على حصار المدينة ، وشاركهما في الحصار ملك أرغون، وعدد كبير من القادة ومشاهير الفرسان.[٢]

لقد كانت حشود النصارى المتكاتفة لحصار مدينة قونكة بهدف احتلالها تمثل حملة صليبية واسعة النطاق، ولم تكن المدينة لتحتاج إلى هذه الحشود الكبيرة لولا حصانتها وموقعها الحصين الذي سبقت الإشارة إليه، فلولا هذه الميزة لتمكنت قوة صغيرة من احتلالها، فعدد سكانها حسب الإحصاء الذي قام به مرافقو الخليفة لم يتجاوز السبعمائة، ويشمل هذا العدد النساء والأطفال، يضاف إلى ذلك أن هؤلاء السكان كانوا يعانون من الضعف بسبب مرض الطاعون الذي انتشر بينهم حتى أنهم أصبحوا غير قادرين على الحركة.[٣]

لقد استغاث أهل قونكة عندما ضرب عليها الحصار بالموحدين، فحاول هؤلاء جذب القوات النصرانية إلى أماكن أخرى بعيدا عن المدينة، حيث أرسلوا عددا من السرايا لمهاجمة أراضي قشتالة، غير أن هذه الخطة فشلت في فك الحصار. وعندئذ أرسل الموحدون قوة عسكرية صوب

---

١. تم عقد الهدنة بين الخليفة الموحدي يوسف بن عبدالمؤمن وملك قشتالة الفونسو الثامن في ذي الحجة ٥٦٨هـ/ تموز ١١٧٣م لمدة سبع سنوات. المراكشي، **المعجب**، ص٣٢٤؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٩٠؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٥٠.
٢. عنان، المرجع السابق، ص٩٦؛ أبو رميلة، المرجع السابق، ص٢٥٠.
٣. أبو رميلة، المرجع السابق، ص٢٥٠؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٩١١.

مـدينـة قونكـة مباشـرة، إلا أنها لم تتمكن مـن الوصول، فقد اعترضها مـلك أرغـون، وردها على

أعقابها.(١)

واستمر تضييق الخناق على مدينة قونكة، وطال حصارها نحو تسعة أشهر، ولم تفت في عضد النصارى قسوة الشتاء، أو مناعة المدينة، فقد ظلوا يرهقون أهلها حتى اضطروا إلى تسليمها، وذلك في ربيع الثاني ٥٧٣هـ/ أيلول ١١٧٧م.(٢)

وكان أول ما قام به النصارى بعد احتلالهم مدينة قونكة تحويل مسجدها الجامع إلى كنيسة، ثم أخذت ملامح المدينة تتبدل من الطابع الإسلامي إلى الطابع النصراني، وأصبحت بمرور الزمن مركزا لأسقفية.(٣)

وترتب على سقوط قونكة في أيدي ملك قشتالة أن فتحت ثغرة خطيرة في خط الدفاع الشمالي الشرقي للأندلس، وقد ارتكب الموحدون خطأ عسكريا خطيرا في التهاون بالدفاع عنها، ثم في تركها بيد الأعداء، وكان لسقوطها أثر بالغ في مجرى الأحداث التالية التي أدت إلى هزيمة الموحدين في موقعة العقاب، وهو ما سأتناوله في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين** ، ص٩٦- ٩٧؛ أبو رميلة، ، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٥٠؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية،** ج٢، ص٩١١؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،** ج٢، ص٧٠- ٧١.
٢. عنان، المرجع السابق ، ص٩٧؛ أبو رميلة، المرجع السابق، ص٢٥٠.
٣. عنان، المرجع السابق، ص٩٧.

الفصل الرابـــع

أثر سقوط مدينة قونكة في أيدي النصارى على المسلمين في الأندلس

ازداد طمع النصارى بعد سقوط مدينة قونكة في أيديهم باحتلال الأندلس، وسعوا إلى نبذ خلافاتهم، والتكاتف فيما بينهم، من أجل تحقيق هذه المطامع، فقد عقد ملك قشتالة الفونسو الثامن، وملك أرغون الفونسو الثاني في شوال ٥٧٤هـ/ آذار ١١٧٩م معاهدة فيما بينهما اقتسما بموجبها مناطق النفوذ في الأندلس، حيث نصت على أن من حق ملك أرغون الإستيلاء على الأراضي الإسلامية الواقعة في شرقي الأندلس بدءا بمدينة بلنسية شمالا حتى بلدة بيرة(Vera)[١] جنوبا، بينما يكون الإستيلاء على ما وراء هذه البلاد من حق ملك قشتالة. كما نصت المعاهدة على ضرورة تعاون الملكين ضد أعدائهما.[٢]

وقد نشط ملك قشتالة في شن الهجمات العسكرية المتلاحقة على الأندلس، بهدف الإستيلاء على مدينتي قرطبة وإشبيلية، ففي سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م هاجم مدينة قرطبة ونزل بظاهرها، ولكنه لم يتمكن من اقتحامها، فعدل عنها إلى غرناطة، حيث هاجمها، ثم أوقع فرسانه بالموحدين في حصن قرمونة (Carmona)،[٣] وعاثوا فسادا في المنطقة إذ راحوا يقتلون ويأسرون وينهبون كل ما يصادفهم.[٤] واستغرقت هجمة ملك قشتالة هذه خمسة وأربعين يوما دمر خلالها

---

١. بيرة: ورد لفظ اسمها بفتح الباء وكسرها، وهي بلدة تقع على ربوة عالية في الشمال الشرقي من ولاية ألمرية على مقربة من البحر الأبيض المتوسط، وهذه البلدة حصينة ولها مرسى لرسو السفن.ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٥٢٦؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص٣، ١٠؛ ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج١، ص١٠٩؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٣٣٤.
٢. ابو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٥٢- ٢٥٣؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٥٨٥- ٥٨٦.
٣. قرمونة: يلفظ اسمها بالفتح ثم السكون، وضم الميم وسكون الواو، وهي مدينة قديمة، تقع غرب قرطبة، وتبعد خمسة وثلاثين كيلومترا إلى الشمال الشرقي من إشبيلية . ياقوت، المصدر السابق، ج٤، ص٣٣٠؛ حتامله، المرجع السابق، ج٢، ص٨٢٥.
٤. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص٣٣٠؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١٣٨، ١٧١؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٥٧؛ حتامله، المرجع السابق، ج٢، ص٨٢٥، ٨٢٩.

الأراضي وأحرق المزروعات، واستولى على كثير من الغنائم، كما استولى على بعض الحصون منها حصن شذفيلة (Siete Filla) [1] الذي أسر جميع سكانه وعددهم سبعمائة، واستبشر حين استولى عليه بالإستيلاء على قرطبة وإشبيلية.[2]

وقد شحن ملك قشتالة حصن شذفيلة بالمؤن والرجال، حيث ترك فيه حامية من خمسمائة فارس وألف راجل، أخذوا يغيرون على ما جاور الحصن من أراض إسلامية، وهو الأمر الذي دفع أبا إسحاق، صاحب إشبيلية إلى استنفار المسلمين لاستعادته، وقد حاصره، وضيق الخناق على حاميته، فهب ملك قشتالة لنجدته، وعندما علم أبو إسحاق بذلك آثر أن ينسحب. ووصل الفونسو الثامن، وعندما تفقد الحصن لم يجد فيه سوى خمسين فارسا وستمائة راجل، حيث قتل الباقون أثناء الحصار، ولذلك تخلى عن الحصن، وعاد بمن بقي من حاميته إلى قشتالة.[3]

وظلت الحرب سجالا بين النصارى وولاة الموحدين في الأندلس طوال عامي ٥٧٨ و٥٧٩هـ/ ١١٨٢و ١١٨٣م، فقد غزا الوالي أبو عبدالله بن وانودين في جمادى الآخرة ٥٧٨هـ/ أيلول ١١٨٢م أراضي مملكة قشتالة، واشتبكوا مع قواتها في أراضي طلبيرة، وألحقوا بها خسائر فادحة، حيث قتلوا من النصارى نحو عشرة آلاف، واستولوا على أسلحتهم ودوابهم.[4]

وإضافة إلى الحرب مع نصارى قشتالة كانت الحرب مستعرة أيضا مع نصارى البرتغال، فقد

---

١. ورد هذا الحصن في بعض المصادر باسم: شنت فيلة، وورد في بعضها الآخر باسم: شقيلة، والصحيح في اسمه هو (شذفيلة)، وهو حصن يقع بالقرب من قرطبة . ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٣٦٧؛ ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص٤٩٩؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٣٧؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص١٠٢؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٥٣٠.

٢. الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٧؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٥٣.

٣. الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٧؛ أبو رميلة، المرجع السابق، ص٢٥٤.

٤. الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٧؛ أبو رميلة، المرجع السابق، ص٢٥٥.

شنوا هجمات عديدة برية وبحرية، وحاولوا تدمير القوة البحرية الإسلامية ليس في الأندلس وحسب، وإنما في المغرب أيضا، حيث قاموا بحملة بحرية استهدفت تدمير البحرية الإسلامية في سبتة، وقد اتخذت غاراتهم شكل موجات متتابعة استمرت خمس سنوات (٥٧٣- ٥٧٨هـ/ ١١٧٨- ١١٨٢م)، ولكي يضع حدا لهذه الهجمات قرر الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن الجواز إلى الأندلس عاقدا العزم على قتال ملك البرتغال الفونسو هنريكيز، ووضع حد لهجمات النصارى ضد أراضي الأندلس، وكان ذلك بداية لعدد من المعارك الفاصلة في تاريخ الأندلس. (١)

معركة شنترين (Santarem)(٢)

بدأ الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن استعداداته من أجل الجواز إلى الأندلس سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م

---

١. سحر سالم، **تاريخ بطليوس الإسلامية**، ج٢، ٢٣٠- ٢٣١؛ أبا الخيل، **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى**، ص٥٥.

٢. شنترين: تقع شنترين على جبل شاهق الإرتفاع على نهر تاجه قرب مصبه في المحيط الأطلسي، وهي مدينة من أعمال لشبونة، ويتكون اسمها من مقطعين: شنت، بالفتح فالسكون، وتعني بلدة أو ناحية، ورين، بكسر الراء، وياء مثناة من تحت، وهي الإسم. وكانت شنترين إحدى ثلاثة أقضية تألفت منها البرتغال في العصر الروماني، وقد فتحها عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٤هـ/ ٧١٣م، وشهدت في عهد الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر ثورة قام بها ضد الخليفة أمية بن إسحاق القرشي بمعاونة ملك ليون النصراني ردمير الثاني(٣٢٠- ٣٣٩هـ/ ٩٣٢- ٩٥٠م، غير أن الخليفة تمكن من إخضاعه. وأصبحت شنترين في عهد ملوك الطوائف إحدى مدن مملكة بطليوس لأصحابها بني الأفطس،وقد تنازل عنها أحد ملوكهم وهو المتوكل على الله أبو محمد عمر بن محمد المظفر(٤٦٠- ٤٨٧هـ/ ١٠٦٧- ١٠٩٤م) لملك قشتالة الفونسو السادس مقابل إعانته له ضد المرابطين الذين تمكنوا من استعادتها من أيدي النصارى سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م، ثم استولى عليها النصارى بقيادة ملك البرتغال الفونسو هنريكيز سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م. الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١١٣؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج٥، ص٥٥٠؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٣٦٦؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٦٦٤؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص٤١٧؛ مجهول، **أخبار مجموعة**، ص١٨؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١٤٦؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص١٩٨، ج٣، ص٢٣٥- ٢٣٦؛ السامرائي، خليل ابراهيم صالح، **علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات(٣٧٧)، ١٩٨٥م، ص١٧٥؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٦٠٣- ٦٠٧.

وبعد استكمال هذه الإستعدادات أمر جيوشه بالجواز، ثم لحق بها، ووصل إلى إشبيلية في الثالث عشر من صفر ٥٨٠هـ/ ٢٥أيار ١١٨٤م،[١] وبعد نحو أسبوعين تحرك باتجاه شنترين، ووصلها في السابع من ربيع الأول،[٢] وكان في نيته أن يستولي عليها ثم يحرر مملكة البرتغال بكاملها، ثم يسير باتجاه طليطلة عاصمة مملكة قشتالة.[٣] ويبدو أنه أعد لهذا المشروع الضخم إعدادا جيدا، فقد بلغ جيشه لهذه الحملة نحو مائة وأربعين ألفا منهم أربعون ألفا من العرب الفرسان. ويفوق هذا الجيش عددا ذلك الجيش الذي قاده في جوازه الأول لحصار مدينة وبذة.[٤]

وحالما وصل الخليفة بجيوشه إلى ظاهر شنترين أمر بفرض الحصار عليها، وكان الملك الفونسو هنريكيز قد أمر قواته بالتحصن داخل المدينة وقصبتها، فجدوا في تحصينها، واتخذوا أهبتهم للدفاع عنها. وقد هاجم الموحدون في صباح يوم الجمعة ١٩ ربيع الأول ٥٨٠هـ/ ٢٩حزيران ١١٨٤م أسوار المدينة، واشتبكوا مع قوة من النصارى خرجت لقتالهم، فردوها على أعقابها. وتجدد القتال لتحرير شنترين في اليوم التالي، واستمر حتى ٢١ربيع الأول ٥٨٠هـ/ ٢تموز ١١٨٤م، ونشبت بين الموحدين والنصارى معارك عنيفة، تم خلالها تحطيم بعض الحواجز والتحصينات التي تحمي حي المدينة الممتد على نهر التاجه مما اضطر النصارى للجوء إلى القصبة.[٥]

وبعد أن تمكن الجيش الموحدي من التضييق على شنترين، و" انتساف معايشها وقطع المواد والمدد عنها "[٦] أصدر الخليفة ـ أثناء احتدام المعارك بين الطرفين ـ أمرا مفاجئا بالكف عن

---

١. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢١٣ـ ٢١٤؛ المراكشي، **المعجب**، ص٣٣٠؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٣٧ـ ١٣٨؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص١١٣ـ ١١٤؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس الإسلامية**، ج٢، ص٢٣١؛ الصلابي، **دولة الموحدين**، ص١٤٩.
٢. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص٢١٤؛ المراكشي، المصدر السابق، ص٢٣١؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٨.
٣. عنان، المرجع السابق، ص١١٨ـ ١١٩.
٤. الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١١٤؛ عنان، المرجع السابق، ص١١٩.
٥. عنان، المرجع السابق، ص١٢٢.
٦. المراكشي، **المعجب**، ص٣٣١؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص٢١٤.

القتال، والتحرك من جنوب شنترين إلى غربها وشمالها " فأنكر المسلمون ذلك ولم يعلموا له سببا"[١] وكان السبب ـ كما يذكر المراكشي ـ هو أن هجمات الموحدين على شنترين لم يزد أهلها إلا " صرامة وشدة وجلدا، فخاف المسلمون هجوم البرد، وكان في آخر فصل الخريف، وخافوا أن يعظم النهر فلا يستطيعوا عبوره، وينقطع عنهم المدد"[٢] ولهذه الأسباب، أصدر الخليفة أمره بالتوقف عن القتال وتغيير الموقع.

ويروي ابن أبي زرع تفاصيل الحدث بما يفيد أمرا آخر غير الذي فهمه المسلمون من أوامر الخليفة، وأنكروه، فهو ، أي الخليفة، عندما وجد أن حصار شنترين غير مجد، بل إضاعة للوقت إنتقل من جنوب شنترين إلى غربها، وكان هذا الإنتقال هو ما أنكره المسلمون لأنهم لم يعرفوا سببه الذي يتضح من أوامر تالية أصدرها الخليفة، فقد بعث إلى ولده السيد أبي إسحاق " فأمره بالرحيل من غد تلك الليلة إلى غزومدينة لشبونة (Lisbona)[٣] ، وشن الغارات على أنحائها، وأن يسير إليها بجيوش الأندلس خاصة، ويكون رحيله نهارا".[٤]

وكان الخليفة عندما أصدر هذا الأمر لابنه أبي إسحاق، إنما أراد أن يشتت جيش النصارى المدافع عن شنترين، حيث سيخرج بعضه للدفاع عن لشبونة أمام جيوش الأندلس التي أمر الخليفة أن تتوجه إلى لشبونة في وضح النهار لكي يراها النصارى، بينما يبقى جيش الموحدين محاصرا شنترين، وقد يتمكن من اقتحامها بعد أن يقل عدد المدافعين عنها، غير أن أبا إسحاق أساء فهم أوامر الخليفة، " وظن أنه أمره بالرحيل في جوف الليل، وصرخ الشيطان في محلات المسلمين أن أمير المؤمنين قد عزم على الرحيل في هذه الليلة، فتحدث الناس بذلك وتأهبوا له".[٥]

---

١. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢١٤؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصرالموحدين**، ص١٢٣.
٢. المراكشي، **المعجب**، ص٣٣١.
٣. لشبونة: يرد اسمها في بعض المصادر: أشبونة، ويلفظ اسمها لشبونة بالفتح ثم السكون، وباء موحدة، وواو ساكنة، ونون وهاء، وهي مدينة قديمة تقع على ربوة عالية على نهر تاجه عند مصبه في المحيط الأطلسي، ويتصل عملها بعمل شنترين. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص١٦؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص٤١١؛ ابن الكردبوس، حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٩٤٦ـ ٩٤٧.
٤. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢١٤.
٥. المصدر نفسه، ص٢١٤.

وبدأت جيوش المسلمين بالرحيل قرب الفجر، حيث " أقلع السيد ابو إسحاق، وأقلع من كان يليهن وتتابع الناس بالرحيل"[١] وعندما طلعت الشمس لم يجد الخليفة حوله أحدا إلا حاشيته والمقربين إليه، وقد لاحظ النصارى ذلك، وعلموا من جواسيسهم ما كان من أمر المسلمين، فانقضوا على من بقي منهم، واقتحموا أخبية الخليفة ومزقوها، فقاتلهم، " وطعنوه طعنات نافذات".[٢]

وقد صاحب اقتحام النصارى أخبية الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ضجيج وصياح، سمعه المسلمون الراحلون، فعادوا أدراجهم، واشتبكوا مع النصارى في معركة حامية، " ثم انهزم أعداء الله، ومنح الله عز وجل أكتافهم، فركبوهم بالسيف حتى أدخلوهم المدينة عنوة، وقتل منهم خلق كثير يزيدون على العشرة آلاف، واستشهد من المسلمين جماعة".[٣]

وأمر الخليفة الجريح بعد انتهاء المعركة بتدمير كل ما تصله الأيدي من زروع وأشجار وضياع، ثم غادر موقعه محمولا في محفة، وما لبث أن فارق الحياة متأثرا بجراحه، وذلك في اليوم الثامن عشر من ربيع الآخر ٥٨٠هـ/ ٢٩ تموز ١١٨٤م.[٤]

---

١. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢١٤.
٢. المصدر نفسه ، ص٢١٤- ٢١٥.
٣. المصدر نفسه ، ص٢١٥.
٤. المصدر نفسه، ص٢١٥؛ المراكشي، **المعجب**، ص١٤٧- ١٥٠؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٥٠- ١٥٦؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص١٢٧- ١٢٨.

معركة الأرك وحصار مدينة قونكة

أ. تطور الأحداث حتى معركة الأرك

خلف يوسف بن عبد المؤمن ابنه يعقوب بن يوسف الذي تكنى بأبي يوسف، وتلقب ب (المنصور)، وكان المنصور مع أبيه في المعركة التي جرح فيها على أبواب مدينة شنترين، وقد رجع بالجيش الموحدي إلى إشبيلية، ثم عاد إلى المغرب حيث استكمل البيعة له في جمادى الأولى ٥٨٠هـ/ أيلول ١١٨٤م.(١)

وقد انشغل المنصور في بداية عهده عن الجهاد في الأندلس بقمع الثورات التي قامت ضد الموحدين في إفريقية، كما أنه لم يتمكن حينئذ من قيادة الجيش بنفسه لحرب النصارى، وهو ما كان يرغب فيه، بسبب مرض ألم به. يضاف إلى ذلك أن الفونسو الثامن، ملك قشتالة حرص على عدم إثارة المسلمين لكي يتفرغ لحل الخلافات التي قامت بين ملوك النصارى، ولأنه لا يستطيع وحده شن حرب ضد المسلمين.(٢)

ولتوضيح ما كانت عليه حال ممالك النصارى خلال الفترة التي تولى فيها المنصور الخلافة، تذكر الدراسة أن ملك البرتغال الفونسو هنريكيز توفي سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م، وخلفه ابنه سانشو، وتوفي ملك ليون فرناندو الثاني سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م فخلفه ابنه الفونسو التاسع، وقد حاول ملك

---

١. المراكشي، **المعجب** ، ص٣٣٦؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢١٦؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ص٤٢٤٧- ٤٢٤٨؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، **كتاب الوافي بالوفيات**(تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى)، ط١، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج٢٩، ص٥- ٦؛ الأشتر، صالح، **معركة الأرك٥٩١هـ/ ١١٩٥م**، بيروت، دار الشروق العربي، ص٢٨، الصلابي، **دولة الموحدين**، ص١٥٨؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٥٦؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين** ، ص١٤١؛ أبا الخيل، **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى**، ص٥٥.

٢. الصلابي، **دولة الموحدين**، ص١٧١، أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص٨١.

قشتالة الفونسو الثامن أن يضم ملكي البرتغال وليون تحت جناحه لكنهما قاوما أطماعه بالقوة، حيث وقعت حروب بينه وبينهما[١].

وساءت العلاقات أيضا بين ملوك قشتالة وأرغون والنافار، وقد غزا ملكا قشتالة وأرغون مملكة النافار لاقتسامها بينهما، وفي الوقت الذي نجح ملك قشتالة في غزوها فشل ملك أرغون، وهو الأمر الذي دفعه إلى التحالف مع ملك النافار سانشو السادس سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م للحد من أطماع ملك قشتالة.[٢] ثم انضم ملك البرتغال سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م إلى الملكين في الإتحاد ضد ملك قشتالة، وتعاهدوا على الوقوف معا ضده، وعندما علم البابا كاليستين الثالث بهذه الخلافات أرسل مبعوثيه لتسويتها، وقد استجابوا لذلك، وخاصة ملكا ليون وقشتالة حيث قام السلام بينهما سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م. غير أن هذا السلام كان هشا بسبب عمق الخلافات بيت هذه الممالك، إذ بقيت العلاقات بينها سيئة. [٣] وفي ظل هذه الخلافات أصبح بعضهم يستعين بقوى خارجية لحرب المسلمين. وتتمثل هذه القوى بفرق صليبية كانت متوجهة إلى المشرق الإسلامي.[٤]

وقد سبقت الإشارة إلى أن الموحدين في بداية عهد الخليفة المنصور انشغلوا عن حرب النصارى في الأندلس بالثورات الداخلية ضدهم، وبمرض الخليفة نفسه، وبعد أن هدأت بلاد المغرب بالقضاء على تلك الثورات، وشفي الخليفة من مرضه[٥] بدأ الإستعداد سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م لإنقاذ الأندلس وخاصة المنطقة الغربية منها من أطماع النصارى.[٦]

---

١. أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٥٦؛ عنان، المرجع السابق، ص١٧٠؛ الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، ص٢٧٣.

٢. أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** ، ص٢٥٦.

٣. المرجع نفسه، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧.

٤. أبا الخيل، **جهود علماء المسلمين في الصراع مع النصارى**، ص٥٧

٥. ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ قسم الموحدين** (تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبدالقادر زمامة)، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص١٧٠ـ ١٨٣.

٦. ابن عذاري، المصدر السابق، ص٢٠٣ـ ٢٠٤؛ الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، ص٢٧٣، عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص١٧٠.

وكان ملك البرتغال الجديد سانشو الأول شديد الطمع مثل والده باحتلال بلاد المسلمين، وقد نهض لتحقيق ذلك بعد نحو عام من توليه الحكم، حيث استعاض عن مساعدة مجاوريه من ملوك النصارى الذين كان على خلاف معهم بقوى صليبية كانت متجهة إلى المشرق لنجدة الصليبيين هناك، بعد أن ألحق بهم صلاح الدين الأيوبي هزائم ساحقة، وأسقط مملكتهم اللاتينية بتحريره بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م.(١)

فقد استقبل الملك سانشو الأول قادة تلك الحملة الصليبية واتفق معهم على غزو القواعد الإسلامية الجنوبية، وخاصة مدينة شلب(Silves)(٢) لانتزاعها من المسلمين، وقد دفعهم إلى هذه الموافقة أن مدينة شلب الحصينة كانت قاعدة المسلمين في غرب الأندلس، ومنها ينطلقون في غاراتهم البحرية، وبذلك اتفقت الرغبات البرتغالية والأوروبية على محاربة مدينة «شلب» التي كانت أيضا تمثل آخر معاقل المسلمين في غربي الأندلس.(٣)

وكانت القوى الصليبية تنتمي إلى أكثر من جنسية أوروبية، غير أن أكثرهم كانوا من الألمان والإنجليز، إضافة إلى الجليقيين.(٤) وقد ضربت هذه القوات الصليبية الهائلة الحصارعلى مدينة شلب في ربيع الآخر ٥٨٥هـ/ تموز ١١٨٩م، وتمكنت من احتلالها بعد نحو ثلاثة أشهر، حيث دخلت المدينة في اليوم الثاني والعشرين من رجب ٥٨٥هـ/ الثالث من أيلول ١١٨٩م.(٥)

---

١. الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس** ، ص٢٧٣.
٢. شلب: يلفظ اسمها بكسر أوله وسكون ثانيه، وآخره باء موحدة، وهي مدينة تقع في غربي الأندلس على بعد ثلاثة أميال من المحيط الأطلسي، وبينها وبين مدينة بطليوس ثلاث مراحل، ولها مرسى تصنع فيه السفن. ياقوت الحموي، **معجم البلدان،** ج٣، ص٣٥٧؛المقري، **نفح الطيب،** ج١، ص١٨٤؛ ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس،** ص٣٦؛ السامرائي، **علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية،** ص١٧٦، ٢٣١، ٢٧٣؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس الإسلامية،** ج٢، ص٢٣٨.
٣. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين،** ص١٧١- ١٧٢.
٤. المرجع نفسه، ص١٧٠- ١٧١.
٥. ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين،** ص٢٠١؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس،** ص١٠٦؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٨٤؛ عنان، المرجع السابق، ص١٧٣- ١٧٤؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس الإسلامية،** ج٢، ص٢٤٠؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي** ، ص٤٦٢.

وبالإضافة إلى احتلال شلب، أخذ القشتاليون يهددون وسط الأندلس، وخاصة منطقة إشبيلية، ففي الوقت الذي حاصر الصليبيون مدينة شلب توجه الفونسو الثامن بقواته نحو قرطبة، ثم نحو إشبيلية، واكتسح أمامه المزروعات، واحتل بعض الحصون، وقتل وأسر أعدادا كبيرة من المسلمين.[١]

وقد انتهت أنباء سقوط مدينة شلب، وما فعله النصارى بالمسلمين إلى الخليفة المنصور، فهاله الأمر، وكان له وقع شديد عليه، ولذلك أخذ يحشد الجيوش للجواز إلى الأندلس، وبعد أن أكمل استعداده عبر إلى جزيرة طريف في الثالث والعشرين من ربيع الأول ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م، ثم تحرك إلى قرطبة، وقبل مغادرتها أرسل إليه الفونسو الثامن ملك قشتالة وفدا يلتمس عقد هدنة معه، وكذلك فعل ملك ليون، وقد هادنهما لمدة خمس سنوات[٢] لكي يتفرغ لحرب نصارى البرتغال. ثم تحرك إلى شلب، حيث انتظر إلى أن وصل الأسطول الموحدي إلى مياه البرتغال الجنوبية، والتقت القوات الموحدية قرب شلب، والتفت حول أسوارها يوم الخميس ٢جمادى الآخرة٥٨٧هـ/٢٧حزيران ١١٩١م، ونصبت عليها المجانيق وآلات الرمي، وضربت عليها حصارا صارما.[٣] وبعد نحو أسبوعين من الحصار اقتحم الموحدون المدينة، وسيطروا عليها، وبذلك عادت شلب إلى قبضة الإسلام.[٤]

وعاد المنصور إلى بلاد المغرب في رمضان سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م، وأمضى فيها نحو أربع

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين** ، ص١٧٤.
٢. المرجع نفسه، ص١٧٤؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين مع الممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٨٥؛ وات، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ص١١٣.
٣. ابن عذاري، الب**يان المغرب، قسم الموحدين**، ص٢١٠؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢١٩؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٠٨؛ عنان، المرجع السابق ، ص١٨٧ـ ١٨٨.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ص٢١٠ـ ٢١١؛ ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص٢١٩.

سنوات انشغل خلالها بإخماد ثورات قامت ضده، كما أن المرض عاوده واشتد به[١] وقد استغل ملك قشتالة هذه الظروف، كما استغل انقضاء مدة الهدنة بينه وبين المنصور، وأخذ يرسل قواته إلى أنحاء الأندلس للإغارة عليها، والإثخان فيها. ويذكر بعض المؤرخين أنه وصل في إحدى غاراته إلى ظاهر الجزيرة الخضراء في جنوبي الأندلس، وأرسل منها رسالة إلى المنصور تحمل تهديدا ووعيدا، وطلبا بالتنازل للنصارى عن بعض الحصون الأندلسية المتاخمة لمملكة قشتالة. [٢] وقد اغتاظ المنصور لذلك، وبدأ يعد العدة من أجل الجواز إلى الأندلس للمرة الثانية. وفي هذه المرة وقعت بين المسلمين والنصارى معركة الأرك الفاصلة، وقام المنصور بعدها بحصار مدينة قونكة بهدف تحريرها، وفيما يلي تفاصيل ذلك.

ب. معركة الأرك

لقد أرسل الفونسو الثامن إلى الخليفة الموحدي يعقوب المنصور من ظاهر الجزيرة الخضراء رسالة كتبها له كاتب يدعى ابن الفخار، تفيض غطرسة وغرورا، فقد جاء فيها: " باسمك اللهم فاطر السموات والأرض، وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح، أما بعد فإنه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب، ولا ذي عقل لازب، أنك امير الملة الحنيفية، كما أني أمير الملة النصرانية، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال الرعية، وإخلادهم إلى الراحة، وأنا أسومهم بحكم القهر وجلاء الديار، وأسبي الذراري، وأمثل بالرجال، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم إذا أمكنتك يد القدرة...ثم قيل لي إنك لا تجد إلى جواز البحر سبيلا لعلة لا يسوغ لك التقحم معها، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك، على أن تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان، وترسل إلي جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات، وأجوز بحملتي إليك، وأقاتلك في أعز الأماكن لديك... "[٣]

---

١. أبو رميلة، **علاقات الموحدين مع الممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** ، ص٢٥٨.
٢. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب** ، ص٢٢٠؛أبو رميلة، المرجع السابق، ص٢٥٩.
٣. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٧، ص٦- ٧؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٢٠- ٢٢١؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص٨٢.

وما إن قرأ المنصور رسالة الفونسو الثامن حتى أخذته غيرة الإسلام، فقد استشاط غضبا، وكتب على قطعة من تلك الرسالة جوابا مختصرا ولكنه معبر، وقد بدأ جوابه بالآية الكريمة:{ ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون }[١]. وأردف: **" الجواب ما ترى لا ما تسمع"**[٢]

ولكي يبث الحماس للجهاد وزع المنصور مضمون رسالة الفونسو الثامن في الآفاق، وأخذ يحشد الجيوش من بلاد المغرب، وعبر إلى الأندلس يوم الخميس ٢٠ جمادى الآخرة ٥٩١هـ/ أول حزيران ١١٩٥م،[٣] وبعد أن أمضى نحو أسبوعين في إشبيلية وضع خلالهما خططه، واستكمل أهبته غادرها متوجها إلى قرطبة وذلك يوم الخميس ١١رجب ٥٩١هـ/ ٢٢حزيران ١١٩٥م، ثم سار على رأس قواته شمالا صوب سهول شلبطرة (Salvatierra)[٤] وقلعة رباح.[٥]

ويبدو أن خطة المنصور كانت ترمي إلى تحرير طليطلة، والقضاء على مملكة قشتالة، ومن

---

١. سورة النمل، الآية ٣٧.
٢. ابن ابي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٢١؛ الصلابي، **دولة الموحدين**، ص١٧٣؛ اشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص٨٢؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين مع الممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٥٩.
٣. المراكشي، **المعجب**، ص٢٥٨؛ ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين**، ص٢١٨- ٢١٩؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٢٩، ص٨؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص٨٢- ٨٣؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص١٩٨.
٤. شلبطرة: يلفظ بفتح أوله وسكون ثانيه، وبتشديد الراء، قبلها طاء، وورد اسمه في بعض المصادر بالتاء بدل الطاء(شلبترة)، وفي بعضها الآخر بالسين المهملة بدل الشين(سلبترة)، وهو حصن أو قلعة عظيمة تقع على قمة جبل قرب قلعة رباح، وكان هذا الحصن الواقع في أقصى الحدود الجنوبية لمملكة قشتالة، يشكل خطرا على المسلمين، حيث كان النصارى ينطلقون منه للإغارة على أراضيهم. الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٠٨؛ المراكشي، المصدر السابق، ص٢٢٩؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٢٢١؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٥٧١.
٥. المراكشي، المصدر السابق، ص٣٥٨؛ أشباخ، المرجع السابق، ج٢، ص٨٣؛ عنان، المرجع السابق، ص١٩٩.

ثم التفرغ لقتال ممالك النصارى الأخرى مثل مملكة ليون، ومملكة النافار حيث سيصبح القضاء عليها سهلا.[١]

ويبدو أيضا أن ملك قشتالة الفونسو الثامن عندما أرسل تلك الرسالة التي تفيض تحديا وغطرسة إلى الخليفة الموحدي المنصور، لم يكن يتوقع ـ وقد أعياه المرض وشغله الثائرون ـ أنه سيتمكن من حشد الجيوش الجرارة وعبور البحر لقتاله بمثل تلك السرعة.[٢] وعندما ترامت إليه أنباء المنصور، وعبوره إلى الأندلس أخذ يستعد للمواجهة، فقد حشد كل ما استطاع من الجند، وطلب العون من ملكي ليون والنافار فوعداه بذلك خوفا من غضب شعبيهما، وكانا في قرارة نفسيهما يتمنيان له الهزيمة.[٣]

لقد حشد ملك قشتالة الفونسو الثامن لقتال المسلمين أعدادا هائلة[٤]، تقدرها بعض المصادر الإسلامية بنحو ثلاثمائة ألف ما بين فارس وراجل، بينما تقدرها المصادر الغربية بنحو مائة ألف.[٥] وسار على رأس هذه القوات إلى حصن الأرك (Alarcos) [٦] الذي كان قد بناه حديثا. أما الخليفة المنصور فقد اخترق أراضي قلعة رباح، وعسكر على بعد مرحلتين من الأرك، وذلك يوم الخميس ٣ شعبان ٥٩١هـ/ ١٣ تموز ١١٩٥م.[٧]

---

١. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، ج٢، ص٨٣؛ الصلابي، **دولة الموحدين**، ص١٧٤؛ البستاني، بطرس، **معارك العرب في الأندلس**، دار مارون عبود، بيروت، ١٩٨٧م، ص٨٩.

٢. الأشتر، صالح، **معركة الأرك (٥٩١هـ/١١٩٥م)**، دار الشرق العربي، بيروت، ص٤٦.

٣. الأشتر، المرجع السابق، ص٤٧؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص١٩٩.

٤. المراكشي، **المعجب**، ص٣٥٨ـ ٣٥٩.

٥. ابن ابي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٢٧؛ الأشتر، المرجع السابق، ص٤٨.

٦. الأرك : يقع إلى الشمال من قرطبة، وإلى الشرق من سهل الزلاقة الذي وقعت فيه معركة الزلاقة بين المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين، وملك قشتالة الفونسو السادس، وانتصر فيها المرابطون. ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج١، ص٣٨٣؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص٢٣٣؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٢٧؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٤٢.

٧. ابن ابي زرع، **روض القرطاس**، ص٢٢٣؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص٨٣؛ الصلابي، **دولة الموحدين**، ص١٧٤.

وبدأ الخليفة المنصور بوضع الخطط العسكرية لضمان النصر في المعركة، بناء على استشارة القادة العسكريين الأندلسيين، لأنهم الأكثر خبرة في قتال النصارى، ومعرفة بطبيعة البلاد.[١]

وقد أشار عليه كبير هؤلاء القادة وهو أبو عبدالله بن صناديد بأن يقسم الجيش قسمين: يشمل أولهما الحشود والعساكر من العرب الأندلسيين والمتطوعين وقبائل البربر، وتبدأ المعركة بزج هؤلاء فيها تحت راية الخلافة، ليظن النصارى أنهم يواجهون جيش الخليفة. أما القسم الثاني فيشمل جيش الموحدين والعبيد والحشم تحت قيادة الخليفة نفسه، ويتوارى هذا القسم في مكان قريب مستور، ويدخل المعركة في الوقت المناسب. وقد أعجب المنصور بهذه الخطة، وقرر تنفيذها.[٢]

ووفقا لخطة عبدالله بن صناديد قدم المنصور كبير وزرائه الشيخ أبا يحيى بن أبي حفص قائدا عاما للجيش ، وقد تم توزيع الجيش بحيث يحتل الموحدون أو القوات النظامية القلب، ويحتل الجند العرب، وهم أعقاب فاتحي المغرب والأندلس، ومعهم زناتة وبعض قبائل البربر الأخرى، الجناح الأيسر، أما الجناح الأيمن فتحتله القوى الأندلسية بقيادة عبدالله بن صناديد.[٣] ووفقا لهذه الخطة الحربية تولى الخليفة المنصور قيادة القوة الإحتياطية، وهي مكونة من صفوة الجند، وحرس الخليفة. [٤]

ويذكر بعض المؤرخين أن ملك قشتالة ـ إضافة إلى طلبه العون من ملكي ليون والنافار

---

١. الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦٧ـ ١٦٨.
٢. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٢٣ـ ٢٢٤؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٦١؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**،ص٨٣ـ ٨٤؛ الصلابي، المرجع السابق، ص١٧٥ـ ١٧٦.
٣. الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص١٨٩؛ اشباخ، المرجع السابق، ج٢، ص٨٥.
٤. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٢٥ـ ٢٢٦؛ أشباخ، المرجع السابق، ج٢، ص٨٥.

وغيرهما من ملوك إسبانيا النصرانية ـ استصرخ البابا في روما، وقدمت لدعمه جيوش من فرنسا وألمانيا وهولندا وغيرها من دول أوروبا، وقد بلغت هذه القوات الأوروبية وحدها نحو مائة وخمسين ألف جندي،[١] وليس من شك في أن هذه القوى إنما تمثل قوة صليبية أكبر من تلك التي ساهمت في احتلال مدينة شلب.

ونظم ملك قشتالة جيشه الذي كانت تحميه قلعة الأرك من جانب، وتحميه بعض التلال من الجانب الآخر، وكان الوصول إلى هذا الجيش الذي تمركز في موقع عال يقتضي عبور طرق ضيقة وعرة، وهي ميزة لم تكن متيسرة لجيش المنصور، وخاصة عند بدء القتال.[٢]

وبدأت معركة الأرك ضحى التاسع من شعبان ٥٩١هـ/ ١٩ تموز ١١٩٥م [٣] بهجوم كاسح شنته على المسلمين قوة النصرانية، يقدرها ابن أبي زرع بما يتراوح بين سبعة آلاف وثمانية آلاف فارس" كلهم قد احتجب بالحديد والبيضات والزرد النظيف النضيد"[٤] وقد أدى هذا الهجوم إلى استشهاد القائد أبي يحيى، وعندئذ شن العرب والمتطوعة هجوما كاسحا على القوة النصرانية، وأعملوا في فرسانها سيوفهم، فتقهقرت، وطاردها المسلمون إلى قمة الربوة، وقتلوا معظم فرسانها، وبهلاك هذه القوة انكسرت شوكة الفونسو الثامن.[٥]

ويصف ابن عذاري وقائع معركة الأرك بعد القضاء على تلك القوة القشتالية التي ربما خرجت لاختبار قوة المسلمين، حيث يقول: " ولما رأى الكفار ما دهمهم من جنود الله تعالى لم يكن لهم بد من الإبلاء والمدافعة، فهبطوا من مركزهم كالليل الدامس والبحر الزاخر أسرابا تتلو

---

١. الصلابي، **دولة الموحدين**، ص١٧٤ـ ١٧٥.
٢. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، ج٢، ص٨٥ـ ٨٦.
٣. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٢٦.
٤. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص٢٢٦؛ المراكشي، **المعجب**، ص٣٥٩؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ٢٠٤؛ الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، ص٢٧٤؛ أشباخ، المرجع السابق، ص٨٥.
٥. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص٢٢٦ـ ٢٢٧؛ ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين**، ص٢١٩؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٠٦ـ ٢٠٨.

أسرابا، وأمواجا تعقب أمواجا..فقال المنصور لخاصته ومن طاف به: جددوا نياتكم، وأحضروا قلوبكم، ثم تحرك وحده...ومر على الصفوف والقبائل..ولما وقعت أعين الناس عليه، ورأوا عظيم ما وصل إليه، حميت نفوسهم، وتحركت هممهم، فحمل كل قبيل على من يليه.."[١]

وما لبث من ظلوا من النصارى أحياء أن ولوا الأدبار، فلحق بهم فرسان الموحدين تحصدهم قتلا وأسرا، ثم أحاط المسلمون بحصن الأرك معتقدين أن الفونسو الثامن معتصم به، غير أنه كان ـ عندما أدرك حقيقة ما آلت إليه المعركة ـ قد لاذ بالفرار من باب خلفي للحصن الذي دخله المسلمون عنوة بعد إضرام النار في أبوابه، واستولوا على ما فيه، وما في معسكر النصارى من ذخائر وأسلاب وسلاح ومتاع.[٢]

لقد عاد الفونسو الثامن يجر أذيال الهزيمة إلى طليطلة وبرفقته نحو عشرين فارسا، فقد خسر من جيشه في المعركة نحو ثلاثين ألفا حسب رواية ابن عذاري الأقرب إلى الدقة، وأكثر من ذلك بكثير حسب روايات أخرى، إضافة إلى أعداد كبيرة من الأسرى، بينما استشهد من المسلمين نحو الخمسمائة.[٣]

واستأنف الخليفة المنصور جهاده ضد النصارى، فبعيد انتهاء معركة الأرك أرسل بعض قواته إلى أراضي قلعة رباح، فاستولت على عدد من الحصون، ثم حررت مدينة قلعة رباح نفسها

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين** ، ص٢١٩ـ ٢٢٠.
٢. المصدر نفسه، ص٢٢٠ـ ٢٢١؛ ابن ابي زرع، **الأنيس المطرب،** ص٢٢٧ـ ٢٢٨؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين** ، ص٢٠٨ـ ٢٠٩.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ص٢٢٠؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق ، ص٢٢٨؛ الناصري، **الاستقصا،** ج٢، ص١٩١ـ ١٩٢؛ عنان، المرجع السابق، ص٢١٠؛ حتامله، **الأندلس،** ص٥٥٦.

Meakin, B: The Moorish empire, London, Newyork 1954 p. 80.

بعد قتال عنيف مع فرسان جمعية قلعة رباح (The Military Order of Calatrav) [١] التي كانت تتولى الدفاع عنها، وقد أمر الخليفة المنصور بتطهير جامع قلعة رباح الذي كان النصارى قد حولوه إلى كنيسة، وترك فيها حامية بقيادة القائد الأندلسي يوسف بن قادس.[٢]

وعاد المنصور إلى إشبيلية حيث أمضى فصل الشتاء، وعندما حل الربيع اتجه على رأس قواته شمالا إلى حيث حرر بعض الحصون، ثم تقدم إلى مدينة ترجالة (Trujillo)[٣] التي أخلاها معظم سكانها عندما شعروا باقتراب الموحدين، فدخلها هؤلاء، وطاردوا من بقي من السكان داخلها وقتلوا كثيرين منهم.[٤] ثم اتجه الموحدون شرقا " إلى مدينة طلبيرة أكبر قواعد طليطلة وأسراها، وأعظمها منعة وأعلاها، فأمر المنصور باستيصالها، ولحقت من التخريب والانتهاب بأمثالها"[٥] . والجدير بالذكر أن المنصور لم يقتحم مدينة طلبيرة، لأنه لم يكن يملك في هذه الحملة

---

١. جمعية قلعة رباح: جمعية عسكرية دينية أسسها راهبان من طليطلة هما: ريموندو دي فتيرو أو رامون، و ديغو بلاسكيث، وكان فارسا مقداما، فقد طلبا من ملك قشتالة سانشو الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه الفونسو السابع(السليطين) سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م أن يعهد إليهما بمهمة الدفاع عن قلعة رباح، فوافق بعد أن دعم طلبهما مطران طليطلة ، ووعد بالغفران كل من يهب للدفاع عن القلعة، فكثر المتقدمون للدفاع عنها، وعندئذ ألف الراهب رامون منهم (جمعية فرسان قلعة رباح) التي تعهدت بالإلتزام بمساعدة القوات النصرانية فى حروبها ضد المسلمين فى الأندلس. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين**، ص ٥١٩.
٢. الحميري، **الروض المعطار**، ص٤٦٩؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٩٢؛ عنان، المرجع السابق، ص٢١٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٧٧؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص٤٩٣.
٣. ترجالة: يلفظ اسمها بالضم ثم السكون ، وقد أوردها ياقوت بياء مثناة بعد الجيم (ترجيلة)، وهي مدينة كبيرة تقع غرب طليطلة إلى الشمال الشرقي من بطليوس. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص٢٢؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص٣٧٧؛ حتامله، المرجع السابق، ج١، ص٣٤٧.
٤. ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين**، ص٢٢٣؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٦، ص٢٤٥؛ عنان، المرجع السابق، ص٢١٧ـ ٢١٨؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس الإسلامية**، ج٢، ص٢٤٨ـ ٢٥٠.
٥. ابن عذاري، المصدر السابق، ص٢٢٣.

آلات للحصار، ولذلك اكتفى بتخريب ما حولها من زروع وأشجار، واستمر في سيره قاصدا مدينة طليطلة.[١]

وقد حاصر جيش الموحدين خلال هذه الحملة التي بدأت في منتصف جمادى الأولى ٥٩٢هـ/ نيسان ١١٩٦م طليطلة من جهتها الشمالية، وضيق الخناق على الفونسو الثامن "وقطع ثمارها وأحرق أرباضها، وهتكها، ونصب عليها المجانيق، ثم ارتحل عنها"[٢] وتعلل بعض المصادر سبب رحيل الخليفة المنصور عن طليطلة دون محاولة تحريرها بأن والدة الفونسو وبناته خرجن إليه، وبكين بين يديه، وسألنه إبقاء البلد عليهن، فرق لهن، وعفا عن المدينة.[٣] ويذكر المقري أن المنصور لم يكتف بالعفو عن المدينة، وإنما وهب والدة الفونسو وبناته " من الأموال والجواهر ما جل، وردهن مكرمات"[٤]، وليس من شك في أن نكوص المنصور عن تحرير مدينة طليطلة مع قدرته على ذلك أثناء تلك الحملة كان خطأ كبيرا دفع الموحدون ثمنه غاليا فيما بعد، وهو ما سياتي تفصيله.

والجدير بالذكر أن ملوك النصارى أثناء حملة المنصور التي سماها ابن عذاري: (سنة طليطلة)[٥] كان يعادي بعضهم بعضا، فملك ليون الفونسو التاسع كان يستعد لغزو مملكة قشتالة، وقد طلب عون الموحدين فأعانوه بقوة ساهمت في تدمير بعض الكنائس والأديرة القشتالية،[٦]

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين** ، ص٢١٩.
٢. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٢٩؛ ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين** ، ص٢٢٣-٢٢٤؛ عنان، المرجع السابق، ص٢١٩.
٣. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٤٣- ٤٤٤؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص١٥٩؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٨٥- ١٩٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٥٧؛ عنان، المرجع السابق، ص٢١٩.
٤. المقري، المصدر السابق، ج١، ص٤٤٤.
٥. ابن عذاري، المصدر السابق ، ص٢٢٣.
٦. عنان، المرجع السابق، ص٢١٩- ٢٢٠.

ويبدو أن ذلك كان انتقاما مما فعله القشتاليون بمساجد المدن التي احتلوها، حيث حولوها إلى كنائس. ومن جهته غزا ملك النافار أراضي مملكة قشتالة المتاخمة له، وعاث فيها تخريبا ونهبا.(١)

وعاد المنصور بعد حملته التي استمرت نحو ثلاثة أشهر إلى إشبيلية، حيث وصلها في أوائل رمضان ٥٩٢هـ/ آب ١١٩٦م، وهي حملة يمكن اعتبارها فاشلة، إذ لم تحقق أي هدف عسكري كبير، مثل تحرير مدينة كبرى، أو القضاء على القوة الرئيسية لمملكة قشتالة وهي القوة التي حاصرها في طليطلة. وذلك على الرغم من أن ملك قشتالة لم يكن قد التقط أنفاسه بعد هزيمته في معركة الأرك، وبعد أن تم تحطيم قواته في تلك المعركة، والدليل على ذلك هو بقاؤه خانعا في طليطلة عندما حاصرها الموحدون، وإرساله النساء إلى المنصور لاستجداء رفع الحصار عنها، وتركها.

ج. **حصار قونكة**

أخذ المنصور بعد عودته إلى إشبيلية يستعد لاستئناف الجهاد ضد مملكة قشتالة، حيث أمضى فصل الشتاء في الحشد والتعبئة، ثم خرج على رأس قواته في ٢٤ جمادى الأولى ٥٩٣هـ/ ١٤ نيسان ١١٩٦م متوجها إلى طلبيرة، وعندما اقترب من حدود مملكة قشتالة أرسل إليه الفونسو الثامن طالبا المهادنة، فرفض، حيث " نظر المنصور بنور التوفيق والرشاد ألا يحل ما انعقد عليه العزم من صريمة الغزو والجهاد "(٢) واستمر في زحفه إلى أن وصل مكادة (Maccada)(٣)

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين** ، ص٢٢٠.

٢. ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين**، ص٢٢٦؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٧٢.

٣. مكادة: يلفظ اسمها بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وبعد الألف دال مهملة، وهي مدينة تقع في نواحي طليطلة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص١٧٩؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص١٠٥٤.

فحاصرها بعد أن انتسف ما حولها، إلا أنه ما لبث أن فك الحصار، وانعطف جنوبا باتجاه طليطلة، وضرب عليها الحصار، وفي أثناء ذلك علم أن ملك قشتالة الفونسو الثامن ومعه ملك أرغون قد استعدا للقائه عند قلعة مجريط ، ففك الحصار عن طليطلة، وانطلق للقائهما، غير أنه لم يجدهما حيث كانا قد انسحبا وتركا حامية في القلعة دافعت عنها باستماتة، فتركها المنصور وتوجه إلى وادي الحجارة عازما على تحريرها، غير أنه لم يتمكن من ذلك بسبب منعتها.(١)

وقد أقام المنصور بظاهر وادي الحجارة عرضا عسكريا ضخما إرهابا للأعداء، وأرسل إلى أنحاء الأندلس بتفاصيل هذه الحملة، مع أنها لم تسفر عن نتيجة ملموسة باستثناء ما قام به من انتساف للزروع، وتدمير للضياع والقرى التي مر بها.(٢)

وأمر المنصور بعد استعراض قوته بظاهر وادي الحجارة بالعودة إلى إشبيلية، حيث سار بطريق وبذة، وعرج منها شرقا إلى مدينة قونكة، وحاصرها، إلا أنه ـ كما يبدو ـ لم يكن جادا في ذلك، حيث لم تشر المصادر إلى تشديد الحصار، أو محاولة الإقتحام، فقد تركها مثلما سبق أن ترك مدنا أخرى مع قدرته على تحريرها في تلك الظروف الصعبة التي كانت تمر بها ممالك النصارى، وخاصة مملكة قشتالة.(٣)

لقد توجه المنصور بعد تركه حصار قونكة إلى أقليش، ثم سار جنوبا إلى إشبيلية، ووصلها

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين** ، ص٢٢٦ـ ٢٢٧؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين** ، ص٢٢٩؛ ابو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** ، ص٢٧٢.
٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ص٢٢٦.
٣. عنان، المرجع السابق، ص٢٣٠؛ ابو رميلة، المرجع السابق ، ص٢٧٣.

يوم عيد الفطر ٥٩٣هـ/ آب ١١٩٧م[١] مختتما بذلك هذه الحملة التي استغرقت نحو أربعة أشهر،وانتهت دون أن تقع خلالها معركة حاسمة، أو تسفر عن تحرير مدينة مهمة، أو تضع حدا نهائيا لتهديد النصارى.

ولعل أبرز ما أسفرت عنه هذه الحملة هو تلك الرهبة التي أوقعتها في نفوس النصارى، مما دفعهم إلى الإلحاح على المنصور في طلب عقد هدنة بين الطرفين، وقد استجاب هذه المرة، يقول ابن خلدون:" ثم رغب إليه ملوك النصرانية في السلم فبذله لهم"[٢] وقد كانت مدة هذه الهدنة عشر سنين،[٣] ويوضح الناصري سبب موافقة المنصور عليها، وهو أن ابن غانية دخل إفريقية بهدف الإستيلاء عليها، ولا بد من التفرغ لحربه.[٤]

وقد غادر المنصور إشبيلية عائدا إلى مراكش، ووصلها في شعبان ٥٩٤هـ/أيار ١١٩٨،[٥] وظل فيها إلى أن توفي ليلة الجمعة ٢٢ ربيع الأول ٥٩٥هـ/ ٢٢كانون الثاني ١١٩٩م.[٦]

والجدير بالذكر أن مدينة قونكة التي حاصرها المنصور ورفع الحصار عنها دون أن يقتحمها

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين،** ص٢٢٧؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين،** ص٢٣٠.
٢. ابن خلدون، **تاريخ،** ج٦، ص٣٣٠؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٣٤؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** ، ص٢٧٣.
٣. المراكشي، **المعجب،** ص٣٦٠.
٤. الناصري، **الاستقصا،** ج٢، ص١٧٢؛ أبو رميلة، المرجع السابق، ص٢٧٤.
٥. المراكشي، المصدر السابق، ص٣٦٠؛ حتامله، **الأندلس،** ص٥٥٧.
٦. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب،** ص٢٣٠؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ص٢٣٤؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٣٧.

ويحاول تحريرها على الرغم من قدرته على ذلك شهدت مؤتمرا صليبيا كبيرا، كان من نتائجه تكثيف الحشود الصليبية من أجل حرب المسلمين في الأندلس، وسيأتي تفصيل ذلك.

هذا وقد ولي الخلافة بعد يعقوب بن بوسف (المنصور) ابنه: أبوعبدالله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي الكومي، الذي أخذت له البيعة في حياة أبيه، وجددت بعد وفاته وذلك صباح يوم الجمعة ٢٢ ربيع الأول ٥٩٥هـ/ ٢٢كانون الثاني ١١٩٩م، واتخذ لقبا سلطانيا هو (الناصر لدين الله).[١]

وقد انشغل الناصر في بداية عهده بالحوادث التي وقعت في إفريقية، وأبرزها استيلاء بني غانية على بعض القواعد والثغور، حيث أمضى أكثر من عشر سنوات في العمل على تحريرها وإعادتها إلى سيادة الموحدين.[٢] وقد استغلت الممالك النصرانية، وخاصة مملكة قشتالة، هذه الفترة الطويلة من الإنقطاع عن الإندلس في التأهب لغزوها حالما ينتهي أجل الهدنة التي وقعتها مع الموحدين، وكان الفونسو الثامن تواقا للإنتقام منهم بسبب هزيمته في معركة الأرك، تلك الهزيمة التي ألحقت به وبجيوشه وصمة عار أخذ يعمل على محوها. [٣]

لقد استأنف ملك قشتالة حربه ضد المسلمين في الأندلس خلال عامي (٦٠٥ ـ٦٠٧هـ/١٢٠٩ـ ١٢١٠م)، حيث خرج في قواته المدعومة بفرسان قلعة رباح الذين احتشدوا ـ بعد تحريرها على

---

١. المراكشي، **المعجب،** ص٢٨٦ـ ٢٨٧؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب،** ص٢٣١ـ ٢٣٢؛ ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين،** ص٢٣٦؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين،** ص٢٣٧ـ ٢٣٨.

٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ص٢٣٧ـ ٢٦٠؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٨٣.

٣. عنان، المرجع السابق، ص٢٨٣ـ ٢٨٤.

يد الخليفة يعقوب المنصور- في قلعة شلبطرة القريبة منها، قاصدا مدينتي جيان(Jaen)[١] وبياسة، وانتسف ما حولهما من زروع وثمار، واستولى على بعض الحصون، وعاد إلى طليطلة.[٢]

وقام ملك أرغون بيدرو الثاني باعتداءات مماثلة في شرقي الآندلس، حيث هاجم في صيف سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م أراضي بلنسية الشمالية، واستولى على عدد من الحصون، ودمر الزراعات المختلفة.[٣]

ولم يكن في الأندلس عدد كاف من الوحدات العسكرية الموحدية لرد اعتداءات النصارى، ولذلك هرع جماعة من وجوه شرقي الأندلس إلى المغرب طالبين عون الخليفة الناصر، "فقوي عزم الناصر على نصرهم والحركة إليهم".[٤]

وبدأ الخليفة الناصر استعداده لحرب النصارى ، إذ استنفر الناس للجهاد، وحشد الجيوش، وعبر بها إلى الأندلس حيث استقرت في إشبيلية في أواخر سنة ٦٠٧هـ/ منتصف حزيران ١٢١١م.[٥]

---

١. جيان: تسمى أيضا جيان الحرير لكثرته فيها، وهي مدينة يلفظ اسمها بالفتح ثم التشديد، وآخره نون. وتقع إلى الشرق من قرطبة، وتبعد عن غرناطة شمالا سبعة وتسعين كيلومترا، بينما تبعد عن بياسة نحو عشرين ميلا. ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص٥١؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص١٩٥؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٤٠٨- ٤١٥.
٢. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٢٨٤.
٣. ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين**، ص٢٥٧؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٨٤.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ص٢٥٨.
٥. المراكشي، **المعجب**، ص٣٩٨؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٣٤؛ أبا الخيل، **جهاد علماء الأندلس في الصراع مع النصارى**، ص٥٩؛ أشباخ، تاريخ **الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص١٠٧- ١٠٨؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٧٧.

حصار قلعة شلبطرة

كانت جيوش الخليفة الناصر في الأندلس تتألف من خمسة أقسام، هي: البربر، والمغاربة، والموحدون النظاميون، والمتطوعة من بلاد المغرب، وجند الأندلس.[١] وقد تحرك على رأس هذه الجيوش في أول سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م إلى أرض قشتالة، " فنزل على قلعة عظيمة لهم في غاية المنعة تدعى شلبترة(شلبطرة)". [٢] وقد جاء توجهه إلى هذه القلعة بناء على رأي وزيره أبي سعيد بن جامع[٣] ومشورته، وهو حاجب الخليفة الذي كان الناصر يثق به ثقة كاملة، بينما يشك الموحدون في صدق نواياه. [٤] وقد ذكر ابن أبي زرع أن ابن جامع " لم يكن شريف النسب في الموحدين، فلما ولي حجابة الناصر ووزارته أخذ يقهر أعيان الموحدين، ويهين أهل الشرف منهم حتى فر من بساط محمد الناصر أكثر الأشياخ الذين قام الأمر بهم"[٥]

---

١. الصلابي، **دولة الموحدين**، ص٢٠٣؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** ، ص٢٨٩.

٢. المراكشي، **المعجب**، ص٣٩٩؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ص٢٦٠؛ أبو رميلة، المرجع السابق، ص٢٧٨ـ ٢٧٩.

٣. أبو سعيد بن جامع: هو أبو سعيد عثمان بن عبدالله بن إبراهيم بن جامع، كان جده(إبراهيم) من أصحاب ابن تومرت، وقد صحبه من مدينة مراكش، وأصله من الأندلس، من أهل مدينة طليطلة. وقد نشأ إبراهيم بساحل مدينة شريش الواقعة إلى الجنوب الشرقي من بطليوس قرب ساحل المحيط الأطلسي الشمالي، ثم انتقل إلى المغرب محاولا أن يتعلم صناعة النحاس، وتعرف هناك بابن تومرت وأصبح من المعدودين في أصحابه. أما والد أبي سعيد عثمان بن جامع: عبدالله فكان يتولى للموحدين إمارة مدينة سبتة ونواحيها،وكذلك ولاية الأسطول الموحدي، ويلفت الإنتباه في سيرة عبدالله هذا قول المراكشي، صاحب المعجب، المعاصر للأحداث، أن الخليفة الموحدي أبا يعقوب يوسف ربما قتل عبدالله والد الوزير ابن جامع، وليس من شك في أنه قتله بسبب خيانة ما، وهو الأمر الذي يؤكد أن الوزير ابن جامع كان له ثأر عند الموحدين، وهو الأمر الذي تشير إليه بعض الأحداث في هذه الدراسة. المراكشي، **المعجب**، ص٣٨٩ـ ٣٩٠.

٤. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص١٠٨؛ الصلابي، **دولة الموحدين**، ص٢٠٤؛ أبو رميلة، علاقات المرجع السابق ، ص٢٧٨؛ عنان؛ **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين** ، ص٢٩١.

٥. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٣٦ـ ٢٣٧.

وبينما كان الناصر يحشد جيوشه وينصب المجانيق حول قلعة شلبطرة، كان الفونسو الثامن، ملك قشتالة يحشد النصارى من داخل شبه الجزيرة الأيبيرية وخارجها، ويعمل على تنظيم حملة صليبية قوية من أنحاء أوروبا منتهزا انشغال المسلمين بحصار شلبطرة التي اعتبر أسقف طليطلة حصارها نعمة من الله، حيث قال: " إن الله أنقذ بهذه القلعة أرض قشتالة الواسعة".[١] وقد كان لاحتلال النصارى مدينة قونكة أثر مباشر في هذا الحدث، والأحداث المتلاحقة التالية التي تم التخطيط لها في تلك المدينة.

حشد الصليبيين والمؤتمر الصليبي في مدينة قونكة

لقد خرج الفونسو الثامن أثناء حصار قلعة شلبطرة " إلى قاصية بلاد الروم مستنفرا من أجابه من عظماء الروم وفرسانهم وذوي النجدة منهم، فاجتمعت له جموع عظيمة ...حتى بلغ نفيره إلى القسطنطينية"[٢]

لقد وصل النفير الذي أشار إليه المراكشي إلى البابا إنوسنت الثالث، الذي اعتلى كرسي البابوية سنة ١١٩٨م (٥٩٤هـ)، وكان يضطرم بروح صليبية عميقة، كما كان يتمتع بمكانة راسخة ونفوذ قوي لدى ممالك النصارى في إسبانيا. وقد أفاد ملك قشتالة كثيرا من الروح العدائية لدى البابا تجاه الإسلام والمسلمين، حيث بعث إليه أحد الأساقفة ليطلب منه دعوة أمم أوروبا لمؤازرته، بتنظيم حملة صليبية ضد المسلمين. وبعث أيضا عددا من رجال الدين إلى فرنسا وغيرها من الأقطار الأوروبية للوعظ واستثارة الحماس والحث على مؤازرة ملك قشتالة بالأنفس والأموال.[٣]

---

١. ابو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** ، ص٢٨٢.
٢. المصدر نفسه، ص٣٩٩.
٣. المصدر نفسه ، ص٣٩٩؛ زغروت، فتحي، **النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي**، ط١، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٤٥٥؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٢٨٨- ٢٨٩.

وقد أسفرت الجهود التي قام بها ملك قشتالة في حشد الصليبيين عن" جمع أهل قشتالة أجمعين وغيرهم من سائر جموع ملوك النصرانية الذين هم للجزيرة مكتنفون"[١] فقد وفدت على قشتالة جموع المحاربين من جميع البلدان الأوروبية متقلدين الصلبان، وكان الفرنسيون أكثرهم عددا، حيث وصل بعض الأحبار الفرنسيين في جماعة كبيرة من الفرسان، وجيش كبير من المشاة، وقد انضم هؤلاء إلى المحاربين الصليبيين الذين هرعوا من أنحاء أوروبا، وكانوا ألفين من البارونات مع حاشياتهم، وعشرة آلاف من الفرسان وحملة الحراب، وخمسين ألفا من المشاة.[٢]

ثم قدمت قوات أخرى، وذلك إضافة إلى جيش ضخم بقيادة ملك أراغون، بيدرو الثاني، وجيوش من ليون وجليقية والبرتغال. وكانت القوات البرتغالية تتألف من عدد كبير من الفرسان والمشاة المدربين البارعين في فنون القتال.[٣]

وقد أرسلت فرنسا وإيطاليا ـ إضافة إلى القوات العسكرية ـ مقاديرة كبيرة من الأموال والأسلحة والمؤن، وأمر البابا إنوسنت الثالث بالصوم ثلاثة أيام التماسا لانتصار الجيوش النصرانية، كما أقيمت الصلوات العامة، وارتدى الرهبان والراهبات السواد، وساروا حفاة في مواكب من كنيسة إلى أخرى، وألقى البابا موعظة صليبية... كل ذلك التماسا للنصر.[٤]

وبينما كانت الجيوش الصليبية تحتشد في طليطلة، وتتأهب للمعركة مع المسلمبن،[٥] كان ملوك وأمراء الدول النصرانية لتي أرسلت قواتها للمشاركة في القتال يعقدون مؤتمرا صليبيا في مدينة قونكة، من أجل توحيد الجهود ضد المسلمبن، ووضع الخطط العسكرية لحربهم. وقد حضر المؤتمر إلى جانب الفونسو الثامن، ملك قشتالة، بيدرو الثاني، وملك أرغون، أما الملوك

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين**، ص٢٦٣.
٢. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص١١٠ـ ١١١. Altamira.R: A History of Spain from the beginnings to the present day. Translated by: Muna Lee. Copyright 1949. By D.Van Nostrand Company. Canada. Ltd. P 145
٣. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص١١٠ـ ١١١.
٤. أشباخ، المرجع نفسه، ج٢، ص١١٢.
٥. المرجع نفسه ، ج٢، ص١١٢.

الآخرون فقد شارك في المؤتمر مندوبون عنهم، ويبدو أن من بين الأمور التي ناقشها المؤتمر بث الروح الصليبية في أنحاء أسبانيا لترتقي إلى مثيلتها في أنحاء أوروبا الأخرى، فما أن انتهى هذا المؤتمر حتى أعلن ملك قشتالة الحرب الصليبية في إسبانيا، ثم أطلق صرخته المدوية:" كلنا صليبيون".[١]

ويذكر الحميري أن الفونسو الثامن " استغاث بأهل ملته، وكاتب من قرب وبعد منهم، وشكا إليهم ما دهاه من المسلمين، وحثهم على حماية دينهم، ونصرة ملتهم، فاستجابوا له".[٢]وأخذ المتطوعون، بعد المؤتمر الصليبي في مدينة قونكة واستغاثة الفونسو، يفدون تباعا على طليطلة من مختلف المدن الإسبانية بقيادة رجال الدين. كما قامت المجالس البلدية لتلك المدن بتوفير الخيل والسلاح والمؤن، ثم وفد فرسان الجمعيات العسكرية الدينية، وفي مقدمتهم فرسان قلعة رباح.[٣] وقد لخص ابن عذاري ما نجم عن استغاثات الفونسو الثامن، وما قام به من تحشيد للقوى النصرانية، حيث قال" فجاءه عباد الصليب من كل فج عميق، ومكان سحيق، وأقبلوا إليه إقبال الليل والنهار، من رؤوس الجبال وأسياف البحار، وكان أولهم سبقا الإفرنج المتوغلون في الشرق والشمال...كل ينادي الصليب.."[٤]

---

١. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، ج٢، ص١٠٩؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٨٢؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٩١١. Scott. S. P: A history of Moorish empire in Europe .v.II,III Philadelphia, London 1904. V. II p. 325.
٢. الحميري، **الروض المعطار**، ص٣٤٤.
٣. ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين**، ص٢٦٣؛ الحميري، المصدر السابق، ص٣٤٤؛ أبو رميلة، علاقات المرجع السابق ، ص٢٨٢ـ ٢٨٣؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٢٩٣ـ ٢٩٤.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ص٢٦٣ـ ٢٦٤.

أثر حصار شلبطرة على الموحدين

استمر الموحدون بقيادة الناصر في حصار قلعة شلبطرة، في الوقت الذي كان الصليبيون يتدفقون لحربهم، وقد اختلفت الروايات في طول مدة الحصار الذي بدأ في أول سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م، إذ ذكر بعضها أنها كانت إحدى وخمسين ليلة [١] وذكر بعضها الآخر أنها كانت ثمانية أشهر، معبرا عن طول المدة بقوله عن الناصر:" إنه أقام على ذلك الحصن حتى عشش الخطاف في خبائه، وباض وأفرخ وأطار أفراخه من طول مقامه"[٢] حيث استمر الحصار طوال فصلي الخريف والشتاء .

وقد كانت لحصار شلبطرة آثار سيئة على الموحدين، فمع دخول الشتاء، واشتداد البرد " قلت العلوفات، وفنيت أزواد الناس، ونفدت أقواتهم، وكلت عزائمهم، وفسدت نياتهم التي قصدوا بها للجهاد، وقنط الناس من المقام، وانقطعت المواد من المحلة وغلت بها الأسعار".[٣] وهكذا فقد استهلك الموحدون أثناء حصار شلبطرة معظم ما لديهم من مؤن، كما أنهم عانوا كثيرا من قسوة الطقس، وفقدوا الآلاف بسبب المرض، وانهارت معنوياتهم.[٤] وكاد الناصر أن ينثني عن حصار حصن شلبطرة، عندما أعياه أمر فتحه، " فأشار عليه ابن جامع بأن لا يتجاوزه حتى يفتحه"[٥]

وبينما كان الناصر محاصرا لقلعة شلبطرة سقطت قلعة رباح المجاورة في أيدي النصارى، فقد استغل الفونسو الثامن انشغال الناصر بالحصار، ونازل القلعة بقوات كبيرة " وبها يومئذ أبو الحجاج يوسف بن قادس من قواد الأندلس وزعمائها"[٦] وقد حاول ابن قادس الذي لم تزد حامية

---

١. الحميري، **الروض المعطار**، ص٣٤٤ .
٢. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٣٧؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٩٨.
٣. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٣٧.
٤. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص١٠٨؛ الصلابي، **دولة الموحدين**، ص٢٠٤.
٥. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٩٨؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٨١.
٦. الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٨.

القلعة تحت إمرته عن سبعين فارسا حمايتها من السقوط في أيدي النصارى، حيث كتب للخليفة الناصر أكثر من مرة بأن الفونسو يضيق الخناق عليه، وأنه يحتاج إلى مدد " فكان الوزير ابن جامع إذا وصلت إليه كتب ابن قادس أخفاها عن الناصر لئلا يرحل عن الحصن (شلبطرة) قبل فتحه"[١] " وكان ذلك غشا منه لأمير المؤمنين محمد الناصر ولجميع المسلمين، فإنه لم يكن يخبره بشيء من أخبار بلاده ولا من أمور رعيته، ويخفي عنه مهمات الأمور التي لا ينبغي أن يغفل عنها ولا يتهاون بها"[٢]

والجدير بالذكر أن ابن قادس اضطر إلى تسليم قلعة رباح للنصارى، بعد أن فني ما عنده من تموين وسلاح، و يئس من إمداد الناصر إياه، وخشي على من في الحصن من النساء والذرية، فقد فاوض الفونسو على تسليمه القلعة مقابل خروج من فيها من المسلمين آمنين، فوافق واستولى عليها.[٣]

وهكذا ظل الناصر محاصرا قلعة شلبطرة وهو مغيب عما يجري في أنحاء بلاده، وعن استعدادات النصارى الهائلة لقتاله، وقد ضرب القلعة بحجارة صم كبار بوساطة المجانيق، وحرق ما حولها، وأنهك من فيها حيث بلغوا مبلغا عظيما من الشدة والجهد والمشقة، مما دفعهم إلى إرسال وفد لالفونسو يعلمه بحالهم، وحمل الوفد معه بعض حجارة المجانيق التي يرمون بها.[٤]

وقد حاول الفونسو الثامن إنقاذ شلبطرة، حيث أرسل جيشا بقيادة ابنه فرناندو ليرغم الموحدين على فك الحصار، غير أن المحاولة فشلت، وتوفي فرناندو، فقد أودت بحياته مشاق الحرب، وقيل بل توفي مسموما بيد يهود مجريط.[٥]

---

١. الناصري، **الاستقصا** ، ج٢، ص١٩٨؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب** ، ص٢٣٧؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين،** ص٢٩٦؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية،** ج٢، ص٨٧٨.
٢. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص٢٣٧.
٣. الناصري، المصدر السابق ، ج٢، ص١٩٨.
٤. الحميري، **الروض المعطار،** ص٣٤٤.
٥. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،** ج٢، ص١٠٨؛ الصلابي، **دولة الموحدين،** ص٢٠٤.

واستمر الناصر في حصار شلبطرة إلى أن اضطرها إلى الإستسلام في أول ربيع الأول سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م[١] وكان سقوطها كما يذكر أشباخ " سببا في إنقاذ إسبانيا النصرانية"[٢] ذلك أن طول حصارها أنهك جيش الموحدين، وفي الوقت نفسه منح الفونسو الثامن الزمن الكافي لاستقدام الصليبيين من أنحاء أوروبا، وعقد المؤتمرات الصليبية كذلك الذي تم عقده في مدينة قونكة لتنظيم الجيوش، ورسم الخطط العسكرية الكفيلة بهزيمة الموحدين. وقد نجح الفونسو الثامن من خلال مؤتمر قونكة في تأمين الجند والمال، وحشد القوى الصليبية للقاء المسلمين بقيادة الخليفة الموحدي الناصر لدين الله في معركة فاصلة، عرفت في التاريخ باسم (معركة العقاب)، حيث سميت باسم حصن العقاب الواقع بين جيان وقلعة رباح.[٣]

موقعة العقاب وهزيمة الموحدين

عاد الخليفة الناصر بعد تسلمه قلعة شلبطرة على رأس جيشه الذي أنهكه طول حصارها إلى إشبيلية، قبل أن يستأنف قتال النصارى، ذلك أن هذا الجيش كان بحاجة إلى تعويض ما فقده أثناء الحصار من تموين وأسلحة، كما كان بحاجة إلى تعزيزه بقوات جديدة.[٤] وكان أول ما فعله في إشبيلية هو استنفار الناس من أقاصي البلاد ليضاعف حشوده، وليدعم جيوشه، " فاجتمعت له جموع كثيفة".[٥]

وخـرج الخليفة الناصر على رأس جيوشه من إشبيلية في ٢٠ محرم ٦٠٩هـ/ ٢٣حزيران

---

١. الحميري، **الروض المعطار**، ص٣٤٤؛ المراكشي، **المعجب**، ص٣٩٩؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٥٧٤ .
٢. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، ج٢، ص١٠٨- ١٠٩.
٣. حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص٧٠٩ . Painter, S: A history of the middle-ages, 284- 1500, Newyork 1954. p 195.
٤. الحميري، **الروض المعطار**، ص٤١٦؛ المراكشي، **المعجب**، ص٤٠١؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٢٩٥؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٨١.
٥. المراكشي، المصدر السابق، ص٤٠١؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٩٥.

١٢١٢م للقاء النصارى، وخرج الفونسو الثامن في مقدمة الجيوش النصرانية من طليطلة للغرض نفسه. [١]

وقد تم تنظيم الجيوش النصرانية في ثلاثة هي[٢]:

١. جيش الوافدين، ويتراوح عدده بين ستين ألفا ومائة ألف محارب حسب اختلاف الروايات، وكان يقود هذا الجيش القائد القشتالي: ديغو لوبيث دي هارو، ويعاونه عدد من رجال الدين.
٢. جيش الأرغونيين والقطلونيين وفرسان الداوية[٣]، ويقوده ملك أراغون بيدرو الثاني.
٣. أما الجيش الثالث فيتألف من قوات أراغون وليون والبرتغال وفرسان قلعة رباح، ويقوده ملك قشتالة الفونسو الثامن.

وقد سارت جيوش النصارى نحو شلبطرة لاستعادتها، غير أنهم سرعان ما أدركوا ما يمكن أن يجره عليهم حصارها بعد أن حصنها الموحدون، فعدلوا عن ذلك واستأنفوا سيرهم لملاقاة الموحدين.[٤] وعبرت الجيوش منطقة وعرة واستولت على حصن العقبان(العقاب) الواقع في قمة

---

١. الحميري، **الروض المعطار**، ص٤١٦؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص١١٢؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** ، ص٢٨٦.
٢. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، ص١١٢؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين** ، ص٣١٠.
٣. فرسان الداوية أو فرسان المعبد: جماعة عسكرية دينية، ظهرت خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد أنشأها الفونسو المحارب سنة ٥١٣هـ/١١٢٠م، وقبيل وفاته سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م أوصى بثلث مملكته لهذه الجمعية، ونظرا لاستحالة تنفيذ هذه الوصية، منح أمير أراغون الكونت رامون برنجير الرابع فرسان الداوية بدلا منها عدة حصون مع ما يلزمها من مرافق وغلات لمساعدتهم على العيش، كما حصل فرسان الداوية على حق الإعفاء من الخضوع للقضاء، وعلى نصيب من المدن الإسلامية التي احتلها النصارى في الأندلس مثل سرقسطة ووشقة وقلعة أيوب وغيرها. و مقابل ذلك كرس فرسان الداوية حياتهم لحماية النصرانية. وقد استقر فرسان الداوية في أرغون وغيرها، وسرعان ما قويت واشتد ساعدها، وظهرت أهميتها في محاربة المسلمين. عنان، المرجع السابق، ص٥١٨- ٥١٩.
٤. ابو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٨٨.

جبل، وبعد قتل حاميته الإسلامية، تركت في الحصن حامية من الجند،[١] واستمرت في سيرها بعد أن عبرت ممرات تكتنفها قمم جبلية عالية، منها ممر يفضي إلى سهل تولوزا (العقاب)، وكان هذا الممر مشحونا بالرجال من جند المسلمين، ويستحيل اختراقه لو دافع عنه ألف مقاتل فقط، وقد يتعرض من يسلكه للهلاك جوعا وعطشا لأنه سيكون محصورا في ممر ضيق لا حياة فيما حوله. ولذلك أدركت جيوش النصارى أن عليها الإرتداد ومحاولة البحث عن مسلك آخر.[٢]

وقد رفض الفونسو الثامن فكرة ارتداد الجيش، وأصر على عبوره من ذلك الممر الخطر، حتى لا ينسب النصر إلى أعدائه المسلمين مع أنه لم يحاربهم، ثم ما لبث أن أنقذهم من هذا الإشكال راع كان في المنطقة، حيث دلهم على مرتفع آمن، يمكن عن طريقه الإنحدار إلى سهل تولوزا (العقاب)، فاحتلوا المرتفع، وكان به بسيط شاسع يصلح لنزول الجيش، وحصنوا المكان، إخفاء لحركة الجيوش عن الموحدين.[٣] غير أن الموحدين كشفوا مكان عدوهم، وحاولت قوة عسكرية موحدية انتزاع المكان من أيدي النصارى غير أنها لم تفلح.[٤]

وكان الخليفة الناصر أثناء استعداده لقتال جيوش النصارى قد تغير باطنه على أهل الأندلس، وقتل أبا الحجاج يوسف بن قادس الذي قدم إليه ليخبره بأسباب تسليمه قلعة رباح للنصارى، غير أن الوزير ابن جامع حبسه قبل الوصول إلى الخليفة، وأوغر صدره ضده فأمر بقتله. وكان ذلك سببا مباشرا لحقد الأندلسيين على ابن جامع وعلى الناصر أيضا. ومن نتائج مسلكهما تجاه أهل الأندلس فساد نياتهم تجاه الموحدين، ومن ثم التهاون في المعركة، وتراجع روحهم القتالية خلالها، على اعتبار أنها معركة الناصر وابن جامع. [٥]

---

١. الصلابي، **دولة الموحدين**، ص٢٠٨؛ ابو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** ، ص٢٨٨؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، ج٢، ص١١٦.
٢. أشباخ، **المرجع السابق** ، ج٢، ص١١٦.
٣. أشباخ، المرجع السابق، ج٢، ص١١٦؛ ابو رميلة، **المرجع السابق** ، ص٢٨٨.
٤. المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٣٨٣.
٥. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٩٨- ١٩٩.

ولا بد ـ قبل تناول تفاصيل موقعة العقاب ـ من الإشارة إلى أن بعض التفكك وقع في جيوش النصارى، حيث انسحبت فرق صليبية قبل بدء الموقعة احتجاجا على السماح لأبي الحجاج يوسف بن قادس ومن معه من المسلمين بالخروج سالمين من قلعة رباح، فقد رأت القوات الأرغونية، والقوات الصليبية الوافدة أن أي تسوية تحقن بها دماء المسلمين تخالف أغراض الحرب الصليبية، ومن أهمها قتل المسلمين، يضاف إلى ذلك أن إشاعة سرت بين الصليبيين الوافدين بأن الفونسو الثامن عثر في قلعة رباح على تحف وذخائر استأثر بها دونهم. وقد احتج هؤلاء بأن طقس إسبانيا حار ولا يحتملونه، وعادوا إلى بلادهم، وكان عددهم نحو خمسين ألفا.(١)

وبدأ النصارى والمسلمون التحضير لخوض موقعة العقاب التي تسميها المصادر الإسبانية نافاس دي تولوزا (Navas de Tolosa) ليلة الأثنين ١٥صفر ٦٠٩هـ/ ١٦تموز ١٢١٢م، حيث هبطت طلائع الجيش النصراني إلى البسيط أو السهل الذي يرابط فيه الجيش الموحدي، واشتبكت تلك الطلائع مع المتطوعة الذين تصدوا للنصارى بقوة وثبات، وكادوا أن يلحقوا بهم الهزيمة لولا أن مددا أدركهم فعادوا إلى الثبات. وفي الوقت نفسه هاجم النصارى جناحي الجيش الموحدي، ونشبت بين الطرفين معركة هائلة سرعان ما أسفرت عن هزيمة المتطوعة المسلمين الذين استحر بهم القتل، حتى استشهدوا جميعا، وكان عددهم كما يذكر ابن ابي زرع نحو مائة وستين ألفا (٢)

وبعد الإيقاع بالمتطوعة، وإبادتهم شن الجيش الموحدي على النصارى هجوما عنيفا اضطرهم إلى الإرتداد والفرار، وبدا للموحدين أن المعركة أصبحت لصالحهم، غير أن الفونسو الثامن، ملك

---

١. المراكشي، **المعجب**، ص٤٠١؛ أشباخ، ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص١١٣ـ ١١٤؛ عنان، ، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين** ، ص٢٩٦ـ٢٩٧.
٢. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٣٩؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٩٩؛ أشباخ، المرجع السابق، ج٢، ص١١٨ـ ١٢٠؛ عنان، المرجع السابق، ص٣١٠ـ ٣١١؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٩٠.

قشتالة الذي كان يرقب سير المعركة من فوق المرتفع شن هجوما كاسحا على قلب الجيش الموحدي، وقاتل قتال اليائس، وفي الوقت نفسه شن ملكا أراغون والنافار هجوما مماثلا على الجناحين، فتراجعا أمام ضغط النصارى الهائل، وعندما لاحظ الأندلسيون والعرب تراجعهم فروا من ساحة المعركة، وتركوا الموحدين وحدهم يواجهون النصارى الذين ارتفعت معنوياتهم عندما بدأ النصر يلوح في أفقهم.(١)

وقد حاول الموحدون الصمود أمام جيوش النصارى، حيث تصدى من بقي منهم على قيد الحياة، وخاصة حرس الخليفة الناصر الذين تحلقوا حوله مدافعين بعنف وشدة، إلا أن فرسان النصارى تمكنوا من اختراقهم، وقتلوا كثيرين منهم، وكادوا أن يصلوا إلى الخليفة نفسه، لولا أنه ـ عندما أدرك حقيقة ما جرى ـ بادر إلى الفرار، ونجا بنفسه.(٢)

وهكذا انتهت معركة العقاب التي تم رسم خططها العسكرية في مدينة قونكة، وذلك في مساء اليوم نفسه الذي بدأت فيه، أي: الإثنين ١٥ صفر ٦٠٩هـ/ ١٦ تموز ١٢١٢م، (٣) وكانت خسائر المسلمين فيها هائلة، وهو الأمر الذي يمكن استنتاجه مما أوردته المصادر دون أن تذكر رقما محددا لهذه الخسائر، فقد وصفها ابن أبي زرع، وابن عذاري بالرزية العظيمة، وأن المسلمين لم

---

١. الحميري، **الروض المعطار**، ص٤١٦؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٣٩؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٩٩؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** ص٢٩٠ـ ٢٩١؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، ج٢، ص١١٩؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين** ، ص٣١٢؛ الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، ص٢٧٦.
٢. ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص٢٣٩؛ ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين**، ص٢٦٣؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٩ـ ٢٠٠؛ عنان، المرجع السابق، ص٣١٣.
٣. مجهول، **الحلل الموشية**، ص١٦١؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ص٢٦٣؛ المراكشي، **المعجب**، ص٤٠٣ ؛ الحميري، المصدر السابق ، ص٤١٦؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٠؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص٢٤٠؛ الصلابي، **دولة الموحدين**، ص٢٠٩ـ ٢١٠؛ عنان، المرجع السابق، ص٣١٣.

ينج منهم سوى واحد بالألف، وسبب كثرة القتلى من المسلمين هو أن الفونسو الثامن منع الأسر، بل هدد بقتل من يأتي بأسير مسلم.[١]

وذكر الحميري أن القتل في موقعة العقاب أتى على خلق كثير من المسلمين.[٢] وعرف صاحب الحلل المشية موقعة العقاب بالكائنة التي فني فيها أهل المغرب والأندلس،[٣] وأشار المراكشي إلى أن خلقا كثيرا من الموحدين قتلوا في المعركة.[٤] أما المقري فيذكر أن الستمائة ألف مقاتل الذين تم حشدهم لخوض الموقعة لم ينج منهم غير عدد يسير جدا.[٥]

وتذكر المراجع التاريخية أن المسلمين خسروا في موقعة العقاب ألوفا عديدة، من جيش يزيد عدده على نصف مليون من الفرسان والمشاة. أما النصارى فيذ كر بعض المؤرخين الذين عاشوا في عصر قريب من عصر المعركة أنهم خسروا اثناء الإلتحام مع المسلمين عددا كبيرا، ولكنهم لم يخسروا سوى ثلاثين خلال مطاردتهم.[٦]

ويقارن أشباخ الروايات العربية والنصرانية المتعلقة بعدد قتلى المسلمين فيذكر أن المؤرخين المسلمين يصورون هزيمتهم بأعظم مما يصورها النصارى، ثم يورد روايات ثلاثة من شهود العيان هم الملك الفونسو الثامن نفسه الذي يذكر أن عدد قتلى المسلمين كان مائة وخمسة وثمانين

---

١. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٣٩- ٢٤٠؛ ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين**، ص٢٠٠.
٢. الحميري، **الروض المعطار**، ص٤١٦.
٣. مجهول، **الحلل الموشية** ، ص١٦١
٤. المراكشي، **المعجب**، ص٤٠١.
٥. المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٣٨٣.
٦. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٣٠٠، ٣١٥- ٣١٦؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص١٢١.

ألف فارس، وعددا لا يحصى من المشاة، ويذكر مطران طليطلة أن المسلمين خسروا في المعركة مائتي ألف، بينما يقدرهم المطران آرنولد بستين ألفا، إضافة إلى عدد كبير قتلوا أثناء الفرار.[١]

أسباب هزيمة الموحدين في موقعة العقاب

كان لسقوط مدينة قونكة في أيدي النصارى في ربيع الثاني ٥٧٣هـ/ أيلول ١١٧٧م أثر بالغ في هزيمة الموحدين في موقعة العقاب، فمن جهة فقدوا بسقوطها ثغرا مهما من ثغور الأندلس، ومن جهة أخرى أصبحت هذه المدينة بعد سقوطها مقرا لتآمر الأعداء النصارى ضد المسلمين، فقد استضافت ـ كما ذكرت سابقا ـ مؤتمرا صليبيا حضره الملوك والأمراء من أنحاء أوروبا، من أجل التخطيط لمعركة فاصلة ضد المسلمين، وكانت تلك المعركة هي معركة العقاب، وإضافة إلى التخطيط المحكم الذي تم في مدينة قونكة أدت إلى هزيمة الموحدين في موقعة العقاب أسباب أخرى كثيرة يمكن تلخيصها فيما يلي:

١. اختلال نظام الجيوش الموحدية الكثيرة العدد، وعدم اتساق تنظيماتها، وتنافر العناصر المكونة منها، وعدم توحيد قيادتها بأيدي قادة بارعين عسكريا، واختلال نظام التموين بسبب بعد جيوشهم مسافة شاسعة عن قواعدها.[٢]
٢. حقد الأندلسيين المشاركين في المعركة على الوزير ابن جامع، وقيام ابن جامع عندما أحس بذلك بإحضار قادتهم، وإبلاغهم بأن عليهم اعتزال جيش الموحدين الذي لم يعد بحاجة إليهم، " فلما انتشب القتال بين الفريقين فرت قواد الأندلس وجيوشها لما كانوا قد حقدوه على ابن جامع في قتل ابن قادس أولا، وتهديدهم وطرده لهم ثانيا".[٣] ويذكر المقري أن رجال الأندلس " استخف بهم الناصر ووزيره، فشنق بعضهم، ففسدت النيات، فكان ذلك من بخت الإفرنج".[٤]

---

١. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، ج٢، ص١٢١ـ ١٢٢.
٢. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص ٣١٧.
٣. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٩٩.
٤. المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٣٨٣؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٤١٦.

٣. إعجاب الموحدين بكثرتهم، وكأن معركة حنين التي ورد فيها قول الله تعالى{ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين}(١) تكررت في موقعة العقاب، وقد أدرك الناصر عندما داهمه النصارى أمام خبائه أن الكثرة لا تغني فقال " صدق الرحمن، وكذب الشيطان" مشيرا إلى ما ورد في تلك الآية الكريمة.(٢)

٤. يذكر المراكشي أن " أكبر أسباب هذه الهزيمة اختلاف قلوب الموحدين، وذلك أنهم كانوا على عهد أبي يوسف يعقوب(المنصور) يأخذون العطاء في كل أربعة أشهر، لا يخل ذلك من أمرهم، فأبطأ في مدة عبدالله (الناصر) هذا عنهم العطاء، وخصوصا في هذه السفرة، فنسبوا ذلك إلى الوزراء، وخرجوا وهم كارهون، فبلغني عن جماعة منهم أنهم لم يسلوا سيفا، ولا شرعوا رمحا، ولا أخذوا في شيء من أهبة القتال، بل انهزموا لأول حملة الإفرنج عليهم قاصدين لذلك" (٣)

٥. ويعد حصار شلبطرة، الذي تم بناء على رأي ابن جامع وإصراره، من أبرز أسباب الهزيمة التي مني بها الموحدون في موقعة العقاب، فقد استغرق حصارها زمنا طويلا، وهو الأمر الذي أدى إلى إرهاق الجبش الموحدي، ونفاد مؤنه وجزءا ليس يسيرا من عتاده. وأدى من جهة أخرى إلى منح ملوك النصارى وخاصة ملك قشتالة الوقت الكافي لحشد الجيوش والإستعداد للموقعة.

نتائج موقعة العقاب

١. ترتب على هزيمة المسلمين في المغرب والأندلس في موقعة العقاب المشؤومة أنهم لم تقم لهم بعدها قائمة تحمد؛ لكثرة ما خسروا في تلك الموقعة، ولانفضاض الناس،

---

١. سورة **التوبة**، الآية ٢٥.

٢. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٣٩؛ الصلابي، **دولة الموحدين**، ص٢١٥.

٣. المراكشي، **المعجب**، ص٤٠٢؛ زغروت، **النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي**، ص٤٥٦.

وخاصة أهل الأندلس، من حولهم.[١]

٢. وكانت العقاب ايضا سبب ضعف المغرب والأندلس، " أما المغرب فبخلاء كثير من قراه وأقطاره، وأما الأندلس فبطلب العدو لها.[٢]

٣. استغل النصارى هزيمة الموحدين فهاجموا مدينتي بياسة وأبدة (Ubeda)[٣] " فأما بياسة فوجدها (الفونسو الثامن) أو أكثرها خالية، فحرق أدؤرها وخرب مسجدها الأعظم، ونزل على أبذة وقد اجتمع فيها من المسلمين عدد كثير من المنهزمة وأهل بياسة وأهل البلد نفسه، فأقام عليها ثلاثة عشر يوما، ثم دخلها عنوة فقتل وسبى وغنم"[٤] " ومن بعدها لم يزل يملك بلاد الأندلس بلدا بعد بلد حتى استولى على جميع قواعدها، ولم يبق بأيدي المسلمين منها إلا النزر اليسير"[٥]. ويذكر المراكشي أن الفونسو الثامن سبى من النساء والصبيان من أبدة "ما ملئت به بلاد الروم قاطبة، فكانت هذه أشد على المسلمين من الهزيمة"[٦] وإضافة إلى مدينتي بياسة وأبدة سيطر النصارى بعد موقعة العقاب مباشرة على عدد كبير من القلاع والحصون.[٧]

٤. غنم النصارى من معسكرالموحدين بعد هزيمتهم غنائم لا تقدر من الذهب والفضة وثمين الثياب والأقمشة الحريرية والبسط والآنية الثمينة والنقود، كما غنموا مقادير عظيمة من المؤن، وألوفا مؤلفة من دواب الحمل التي كانت من أعظم غنائمهم[٨]

---

١. المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٣٨٣.
٢. المصدر نفسه، ج١، ص٤٤٦؛ الفقي، تا**ريخ المغرب والأندلس**، ص٢٧٦.
٣. أبدة: مدينة صغيرة تبعد عن بياسة سبعة أميال إلى الشمال الشرقي منها، ويلفظ اسمها بالضم ثم الفتح والتشديد، كما تلفظ بالذال المعجمة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٦٤؛ الزهري، **الجعرافية**، ص١٠٠؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص٧٥؛ المقري، **نفح الطيب**، ج٣، ص٢١٧؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٦؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٣- ١٥.
٤. المراكشي، **المعجب**، ص٤٠٢.
٥. ابن أبي زرع، الأ**نيس المطرب**، ص٢٤٠؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، **عصرالموحدين**، ص٣٢٠.
٦. المراكشي، المصدر السابق ص٤٠٢- ٤٠٣؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص ١٥؛ الصلابي، **دولة الموحدين**، ص٢١٦.
٧. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص١٢٢- ١٢٣
٨. عنان، المرجع السابق، ص٣١٦.

٥. وفاة الخليفة الموحدي الناصر، إذ يعتبر كثيرون من المؤرخين أن وفاته بعد عودته إلى مراكش إثر هزيمته، والتي كانت مساء الأربعاء ١٠ شعبان ٦١٠هـ/ ٢٢ كانون الأول ١٢١٣م[١] إنما كانت نتيجة لتلك الهزيمة، إذ يذكر صاحب الحلل الموشية، أن الناصر اغتم بسبب الموقعة غما كبيرا " كان السبب في وفاته"[٢] وقيل بل مات مسموما حيث أغرى بعض وزرائه به من سمه لأنهم خافوا منه أن يقتلهم.[٣] وقد تكون وفاته بعد الهزيمة مجرد صدفة.[٤]

والجدير بالذكر أن الفونسو الثامن ملك قشتالة الذي عقد ذلك المؤتمر الصليبي في مدينة قونكة، وأحسن التخطيط العسكري فيه مما أدى إلى هزيمة الموحدين، قد توفي في السنة التالية لوفاة الناصر، وذلك في ربيع الثاني ٦١١هـ/ تشرين الأول ١٢١٤م.[٥]

---

١. ابن أبي زرع الفاسي، علي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، ص٤٩؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٦، ٣٣٦؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٢٠٠؛ المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٣٨٣؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٤١٦؛ عنان، المرجع السابق، ص٣٢٤؛ أبا الخيل، **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى**، ص٦٠؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ص٢٩٨.
٢. مجهول، **الحلل الموشية**، ص١٦١.
٣. ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين**، ص٢٦٥؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢٤١؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٠.
٤. وات، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ص١١٩.
٥. ابو رميلة، المرجع السابق، ص٢٩٩.

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد، فقد هدفت من اختيار (مدينة قونكة وأثر احتلالها في هزيمة الموحدين بموقعة العقاب) موضوعا لهذه الرسالة العلمية إلى التعريف بهذه المدينة، وبيان أثر وقوعها في أيدي النصارى على الموحدين، حيث كان ذلك من الأسباب المهمة التي أدت إلى هزيمتهم في موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ،/ ١٢١٢م.

وقد بينت هذه الدراسة أن مدينة قونكة كانت تشكل بموقعها الحصين في شمال شرقي الأندلس ثغرا مهما من الثغور الأندلسية، وذلك على الرغم من أنها لم تكن مدينة كبيرة أو حاضرة من الحواضر المشهورة، فقد كانت عند بداية الفتح الإسلامي للأندلس سنة ٩٢هـ/ ٧١١م عبارة عن قرية صغيرة تتكون من عدد من المباني التي كان معظما خربا متهدما، وكانت تلك المباني تحيط بقلعة قونكة القديمة التي ربما بنيت في عهد الرومان أو القوط.غير أن العمار طال هذه القرية في العهد الإسلامي ، وأخذت تنمو بالتدريج حتى أصبحت في عهد الموحدين مدينة صغيرة يسكنها المئات.

وقد شهدت قونكة طفرة سكانية وعمرانية في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عندما خرب البربر مدينة قرطبة، حاضرة الدولة الأموية في الأندلس، فعندما اقتحم البربر قرطبة سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م اضطر كثيرون من أهلها إلى هجرها، ولجأ بعضهم إلى مدينة قونكة حيث استأنفوا حياتهم، وكان بعض هؤلاء من الصناع والحرفيين الذين باشروا الإنتاج، وبذلك ساهموا في تطوير المدينة، وتقدمها.

وقد برزت أهمية مدينة قونكة، وأهمية موقعها الإستراتيجي بعد سقوط طليطلة في أيدي النصارى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، حيث أصبحت تشكل خطا دفاعيا مهما عن بلاد المسلمين في شرقي الأندلس. إلا أنهم فقدوا هذا الخط الدفاعي بتنازل المعتمد بن عباد عنها وعن مواقع أخرى لالفونسو السادس، ملك قشتالة، ثمنا لحمايته له، ودعمه ضد ملوك الطوائف الآخرين الذين كان يتنازع معهم باستمرار. وقد حفز الموقع الإستراتيجي لمدينة قونكة المرابطين على بذل الجهد لاستعادتها، وتحقيقا لهذه الغاية اشتبكوا مع النصارى في كثير من المعارك قرب قونكة وعلى أبوابها، منها معركة وقعت في سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م انتصر فيها المسلمون،

وأخرى وقعت سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٨م انتصر فيها المسلمون أيضا، وعلى أثر هذه المعركة تمكنوا من تحرير مدينة قونكة.

وأصبحت مدينة قونكة بعد استعادتها شوكة دامية في خاصرة النصارى، ولذلك أولوا احتلالها من أيدي المسلمين مرة أخرى اهتماما بالغا، وخاصة أن الموحدين الذين انتقل إليهم حكم الأندلس بعد المرابطين أدركوا أهميتها الإستراتيجية، فحصنوها، ودعموا أهلها من أجل الصمود في وجه النصارى الذين لم يزدهم ذلك إلا إصرارا على احتلالها، وظلوا يتحينون الفرصة المناسبة لذلك، وقد واتتهم الفرصة عندما رجع الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بمعظم جيشه إلى المغرب سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٦م. فقد استغل ملك قشتالة الفونسو الثامن خلو الساحة من جيوش الموحدين، وهاجم مدينة قونكة، واحتلها في ربيع الثاني سنة ٥٧٣هـ/ أيلول ١١٧٧م، بعد أن فرض عليها حصارا خانقا استمر تسعة أشهر.

وقد كان لاحتلال مدينة قونكة أثر بالغ على المسلمين في الأندلس، حيث فقدوا خطا دفاعيا مهما من خطوط دفاعهم في شرقي الأندلس، كما أن هذه احتضنت بعد وقوعها في أيدي النصارى أكبر تجمع صليبي شهدته الأندلس على مدار تاريخها السابق، وهو تجمع دعا إليه ملك قشتالة الفونسو الثامن بعد هزيمته في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٥م، حيث صمم على غسل عار الهزيمة، وتمكن من ذلك بعد حشد الصليبيين الذين أجادوا التخطيط لمعركة العقاب في مؤتمر شارك فيه عدد كبير من الملوك والمندوبين الذين مثلوا الممالك النصرانية في مختلف أنحاء اوروبا، وقد توصل المؤتمرون في هذا المؤتمر الصليبي الحاشد الذي عقدوه في مدينة قونكة إلى الإتفاق على حرب المسلمين، والإستعداد المحكم من أجل إلحاق الهزيمة بهم، وقد هزموهم فعلا في موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، ولم تقم لهم في الأندلس قائمة بعدها.

وأوصي في ختام هذه الدراسة بإجرا بحث علمي مستقل يتناول الجوانب العسكرية لحياة كل من الخلفاء الموحدين: يوسف بن عبد المؤمن، والمنصور، والناصر.

***

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

١. القرآن الكريم

٢. ابن الأبار ، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت . ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، **الحلة السيراء**، ط٢،٢ج ،(تحقيق حسين مؤنس)،دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

٣. ابن الأثير ، عزالدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن واحد الشيباني (ت . ٦٣٠هـ) ، **الكامل في التاريخ** ،١٣ج، د.ط، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٤. ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت. ٥٤٢هـ)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ط١، ٨ج، (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥. البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت. ٧٣٩هـ)، **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ط، ٣ج، في١م، (تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٦. البكري، أبو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو (ت . ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، **جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك**، ط١، (تحقيق عبدالرحمن الحجي) ، دار الإرشاد للطباعة ، بيروت ، ١٩٦٨م.

٧. البكري، أبو عبيد(ت. ٤٨٧هـ)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٨. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت. ٤٥٦هـ) **جمهرة أنساب العرب**،(مراجعة لجنة من العلماء)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩. الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت . ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط٢(تحقيق إحسان عباس)، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤م.

١٠. الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت . ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**،ط٢، (نشر وتصحيح وتعليق ليفي بروفنسال)، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

١١. ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، (ت. ٣٦٧هـ)، **كتاب صورة الأرض**،٢ج، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢م.

١٢. ابن حيان ، حيان بن خلف (ت. ٤٦٩هـ)، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس** ، (تحقيق محمود علي مكي)، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٣. ابن الخطيب، لسان الدين، **تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام**، ط٢، (تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال)، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦.

١٤. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد السلماني(ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط٢، ٤م، (تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٥. ابن خلدون ، عبدالرحمن (ت. ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) ، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ٨ج، (ضبط خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار) ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٦. ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر(ت ٦٨١هـ) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**،٧ج، (تحقيق إحسان عباس) ، دار صادر، بيروت.

١٧. الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)،**سير أعلام النبلاء**،(رتبه وزاد فوائده واعتنى به حسان عبد المنان)، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م.

١٨. الذهبي ،شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط١،١٧م، (تحقيق بشار عواد معروف)، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٩. الرشاطي، أبو محمد (ت. ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، والإشبيلي، ابن الخراط (ت. ٥٨١هـ/ ١١٨٦م)، **الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار**

اقتباس الأنوار، (تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية / معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٠م.

٢٠. ابن أبي زرع الفاسي ، أبو الحسن علي بن عبدالله (ت ٧٤١هـ)،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٦٢م.

٢١. الزهري، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر(ت. ٥٥٦هـ/١١٦٠م)، **كتاب الجعرافية** (تحقيق محمد حاج صادق)، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٤م.

٢٢. ابن سعيد ، أبو الحسن علي بن موسى (ت. ٦٧٣هـ/١٢٧٤م)،**المغرب في حلي المغرب** ،(تحقيق شوقي ضيف)،ط٣، ٢ج، دار المعارف بمصر ، القاهرة .

٢٣. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت. ٩١١هـ)، **لب اللباب في تحرير الأنساب**، ٢ج، (تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز وأشرف أحمد عبد العزيز)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٤.ابن صاحب الصلاة، عبدالملك (ت. ٥٩٤هـ/١١٩٨م)، **المن بالإمامة(تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)**، ط٣ (تحقيق عبدالهادي التازي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٥. ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي (ت. ٤٦٣هـ)، **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من**

تكلم بالعربية من الأمم، (نشر مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

٢٦. عبدالله بن بلقين، **مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب التبيان** (نشر وتحقيق ليفي بروفنسال)، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٥.

٢٧. ابن عذاري المراكشي ،أبو العباس أحمد بن محمد (ت. ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ،الجزآن الأول والثاني والثالث، ط٣، (تحقيق ومراجعة ج.س.كولان ، وليفي بروفنسال) ، الجزء الرابع،(تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣.

٢٨. ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ قسم الموحدين** (تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبدالقادر زمامة)، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٢٩. العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت. ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك**،(تحقيق عبدالعزيز الأهواني)، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥.

٣٠. ابن قتيبة، أبو محمدعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت. ٢٧٦هـ)، **الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء**، ٢ج، (تحقيق علي شيري)، دار الأضواء.

٣١. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي(ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ١٤ج، (شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب)، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٢. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفرازي (ت. ٨٢٠هـ) **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، ٣ج، (تحقيق عبدالستار أحمد فراج)، عالم الكتب، بيروت.

٣٣. ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر(ت .٣٦٧ هـ/٩٧٧م)، **تاريخ افتتاح الأندلس** ، (تحقيق عبدالله أنيس الطباع) ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٥٧م .

٣٤. ابن الكردبوس، أبو مروان عبدالملك (ت . بعد٥٧٣هـ) ، **تاريخ الأندلس** ، (تحقيق أحمد مختار العبادي) ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ،١٩٧١م.

٣٥. مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم** (تحقيق إبراهيم الأبياري)، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٣٦. مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** (مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري)، تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، ط١، دار الرشاد الحديثة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٧. مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، (تحقيق لويس مولينا)مدريد، ١٩٨٣م.

٣٨. المراكشي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي(ت.٧٠٣هـ)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الأول، القسم الأول (تحقيق محمد بن شريفة)، دار الثقافة، بيروت.

٣٩. المراكشي، عبـدالواحد (ت. ٦٤٧هـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،(تحقيق محمد سعيد العريان).

٤٠. المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت . ١٠٤١هـ/١٦٣١م) ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ٨ ج، (تحقيق إحسان عباس) ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

٤١. الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ،٩ج، (تحقيق ولدي المؤلف جعفر الناصري، ومحمد الناصري)، دار الكتاب، الدار البيضاء ، ١٩٥٦م.

٤٢. النويري ،شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت . ٧٣٣هـ) ، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ٢٤ج، (تحقيق أحمد كمال زكي ، مراجعة محمد مصطفى زيادة)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٨٠م.

٤٣. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي،٥ج ، (ت. ٦٣٦هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت.

ثانيا: المراجع العربية :

١. أرسلان، الأميرشكيب، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، ط١، ٢ج، مصر، المطبعة الرحمانية .

٢. أشباخ، يوسف، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**،ط٢، ٢ج في م١،(ترجمة محمد عبدالله عنان)،القاهره، مكتبة الخانجي .

٣. الأشتر، صالح، **معركة الأرك٥٩١هـ/ ١١٩٥م**، بيروت، دار الشروق العربي.

٤. البستاني، بطرس،١٩٨٧م، معارك العرب في الأندلس،بيروت، دار مارون عبود.

٥. بولعراس، خميسي،١٤٢٧- ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٦- ٢٠٠٧م، **الحياة الإجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ٤٠٠- ٤٧٩هـ/ ١٠٠٩- ١٠٨٦م**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

٦. الجيوسي، سلمى الخضراء (محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ٢ج، مركز دراسات الوحدة العربية.

٧. حتامله، محمد عبده،١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، **أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين**، عمان، الآردن.

٨. حتامله، محمد عبده، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، **الأندلس - التاريخ والحضارة والمحنة**، ط١، عمان - الأردن ، مطابع الدستور التجارية.

٩. حتامله، محمد عبده،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، **موسوعة الديار الأندلسية**،٢ج، عمان ـ الأردن.

١٠. حتامله، محمد عبده،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، **جيل المولدين في المغرب والأندلس ـ دورهم في الفتح وأثرهم في الحياة العامة**، ط١، عمان/ الأردن.

١١. الحجي، عبدالرحمن علي،١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دمشق، بيروت، الكويت، الرياض. دار القلم.

١٢. حسن، حسن إبراهيم،١٤١٦هـ/١٩٩٦م، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ط١٤،٤ج، بيروت، لبنان، دار الجيل،القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

١٣. حسين، حمدي عبدالمنعم، ١٩٩٧م، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية.

١٤. أبا الخيل، محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين(٤٨٣هـ/١٠٩٠م ـ ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)**، ط١، بريدة، القصيم، السعودية، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع.

١٥. دندش، عصمت عبداللطيف، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ـ عصر الطوائف الثاني ٥١٠ـ ٥٤٦هـ/ ١١١٦ـ ١١٥١م**، ط١، دار الغرب الإسلامي.

١٦. دوزي، رينهرت، ١٩٩٥م، **المسلمون في الأندلس،**٣ج، (ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٧. أبو رميلة، هشام، ١٩٨٤م، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس،** عمان، دار الفرقان.

١٨. زغروت، فتحي، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، **النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي،** ط١، مصر، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع.

١٩. سالم، السيد عبدالعزيز، ١٩٦٢م، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ،** بيروت.

٢٠. سالم، السيد عبدالعزيز، ١٩٨٤م، **تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس،** الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر.

٢١. السامرائي، خليل إبراهيم صالح، ١٩٨٥م، علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، **سلسلة دراسات**(٣٧٧).

٢٢. سحرسالم، السيد عبدالعزيز،١٩٩١م، **تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي،** ٢ج، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

٢٣. السحيباني، حمد بن صالح، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، **الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم ـ عصر ملوك الطوائف في الأندلس أنموذجا (دراسة تاريخية تحليلية)**،ط١.

٢٤. سيسالم، عاصم سالم، ١٩٨٤م، **جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار)، ٨٩- ٦٨٥هـ/ ٧٠٧- ١٢٨٧م**، بيروت.

٢٥. الشطشاط، علي حسين، ٢٠٠١، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٦. الصفدي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، صلاح الدين خليل بن أيبك، **كتاب الوافي بالوفيات**، ط١، ٢٩ج، (تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى)، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٧. الصلابي، علي محمد محمد،١٩٩٨م، **دولة الموحدين**، دار البيارق للنشر، عمان.

٢٨. طه، عبدالواحد ذنون، ٢٠٠٤م، **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس**، ط١، طرابلس، الجماهيرية العظمى، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية.

٢٩. العبادي ، أحمد مختار، ١٩٨٦م، **في تاريخ المغرب والأندلس** ، ط٢، مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية .

٣٠. العبادي ، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

٣١. عباس، إحسان، ١٩٦٩م، **تاريخ الأدب الأندلسي(عصر سيادة قرطبة)**، ط٢، بيروت، دار الثقافة.

٣٢. عباس، إحسان، ١٩٩٧م، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين،** عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع.

٣٣. عبدالحليم، رجب محمد، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف،** القاهرة، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

٣٤. علي، محمد كرد، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، **غابر الأندلس وحاضرها،** ط١، مصر، المكتبة الأهلية .

٣٥. العمايرة، محمد نايف جريوان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، **مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان،** رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية ، عمان الأردن.

٣٦. عنان، محمد عبدالله، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، **دولة الإسلام في الأندلس،** ٦م، ط٤، القاهرة ، مكتبة الخانجي.

٣٧. عنان، محمد عبدالله، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال،** ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي.

٣٨. عنان، محمد عبدالله، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، **مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام،** ط٥، حسين عنان.

٣٩. الغناي، مراجع عقيلة،١٩٧٥م **سقوط دولة الموحدين،** ط١، ليبيا، منشورات جامعة بنغازي.

٤٠. فرحات، يوسف شكري، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، **غرناطة في ظل بني الأحمر،** المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٤١. أبو الفضل، محمد أحمد، ١٩٩٦م، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي (٥١٥- ٦٨٦هـ/ ١١٢١- ١٢٨٧م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري**، دار المعرفة الجامعية.

٤٢. الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف، ١٩٨٤م، **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق.

٤٣. كيلاني، كامل، ١٣٥١هـ/١٩٣٣م، **ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام للعلامة دوزي**، ط١، مصر، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٤٤. مكي، الطاهر أحمد، ١٩٩٧م، **دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة**، ط٣، القاهرة، دار المعارف.

٤٥. مكي، محمود علي، ١٩٦٦م، **مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في إسبانيا**، مدريد.

٤٦. مؤنس، حسين،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، **فجر الأندلس - دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية(٧١١- ٧٥٦م)**، ط١، العصر الحديث للنشر والتوزيع.

٤٧. مؤنس، حسين، ١٩٨٦م، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس** ، ط٢، مدريد.

٤٨. مؤنس، حسين، ٢٠٠٤م، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، طبعة خاصة، دار الرشاد.

٤٩. النجار، عبد المجيد، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، ط٢، هيرندن، فيرجينيا ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٥٠. نصر الله، سعدون عباس، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، ط١، بيروت.

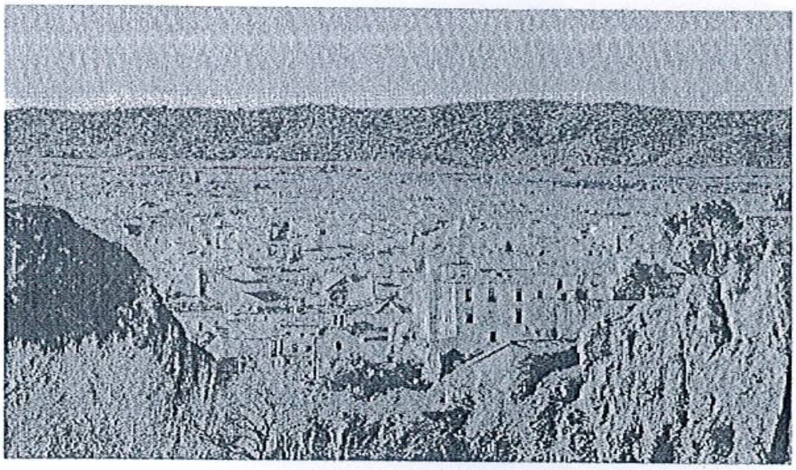
٥١. هلال، جودة وصبح، محمد محمود، ١٩٨٦م، **قرطبة في التاريخ الإسلامي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥٢. وات، مونتغمري، ١٩٩٨م، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ترجمة محمد رضا المصري، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

ثالثا : المراجع الأجنبية

1. Altamira.R: **A History of Spain from the beginnings to the present day.** Translated by: Muna Lee. Copyright 1949. By D.Van Nostrand Company. Canada. Ltd .
2. Meakin, B: **The Moorish empire**, London, Newyork 1954.
3. O'catlaghan.F. J: **A History of medieval Spain,** Copyright 1975, Cornell University, Ithacam, Newyork .
4. Painter, S**: A history of the middle ages, 284- 1500,** Newyork .
5. Scott. S. P: **A history of Moorish empire in Europe v.II,III** Philadelphia, London 1904.

الصور والخرائط





مدينة قونكة

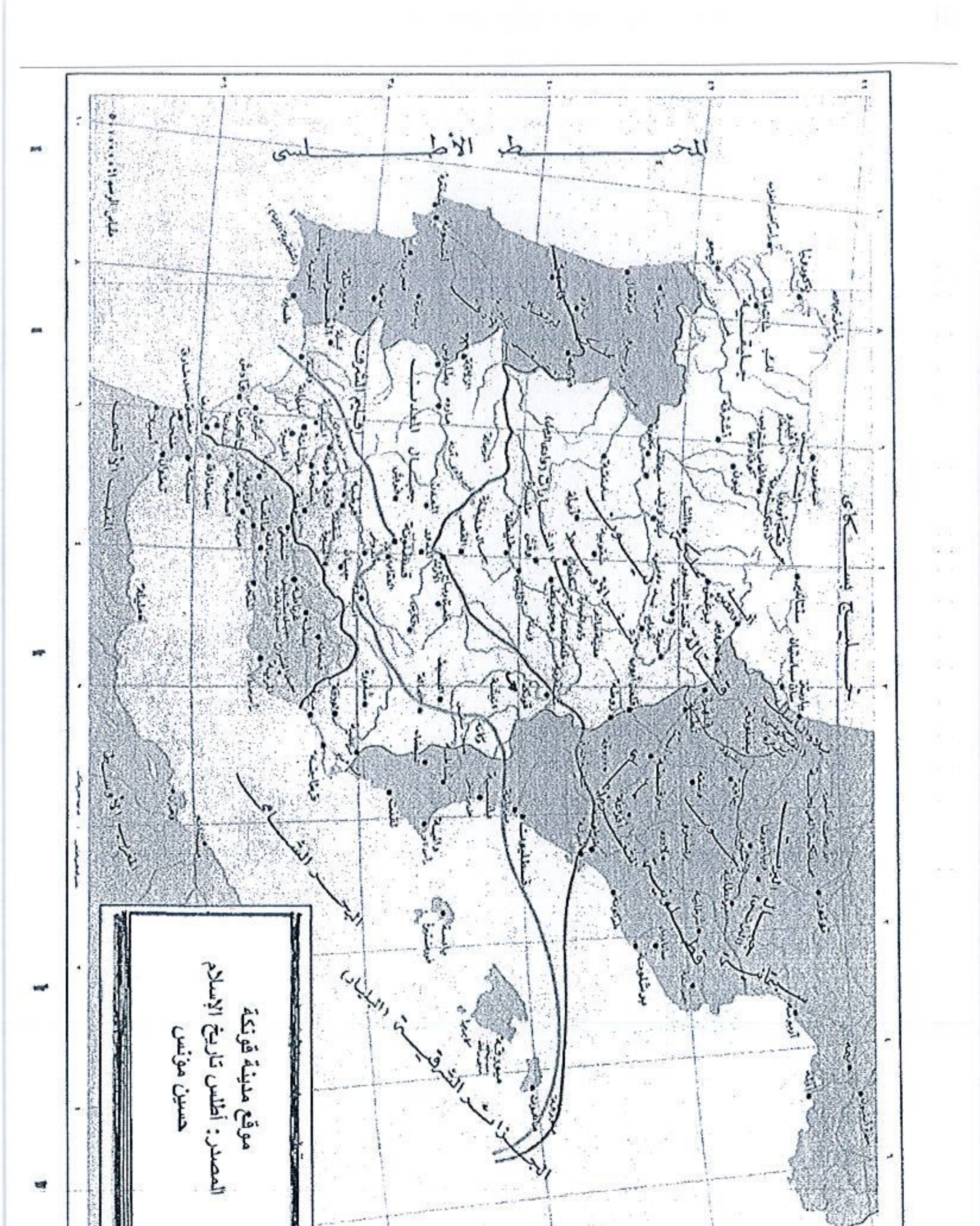
المصدر: ar.wikipedia.org/wiki



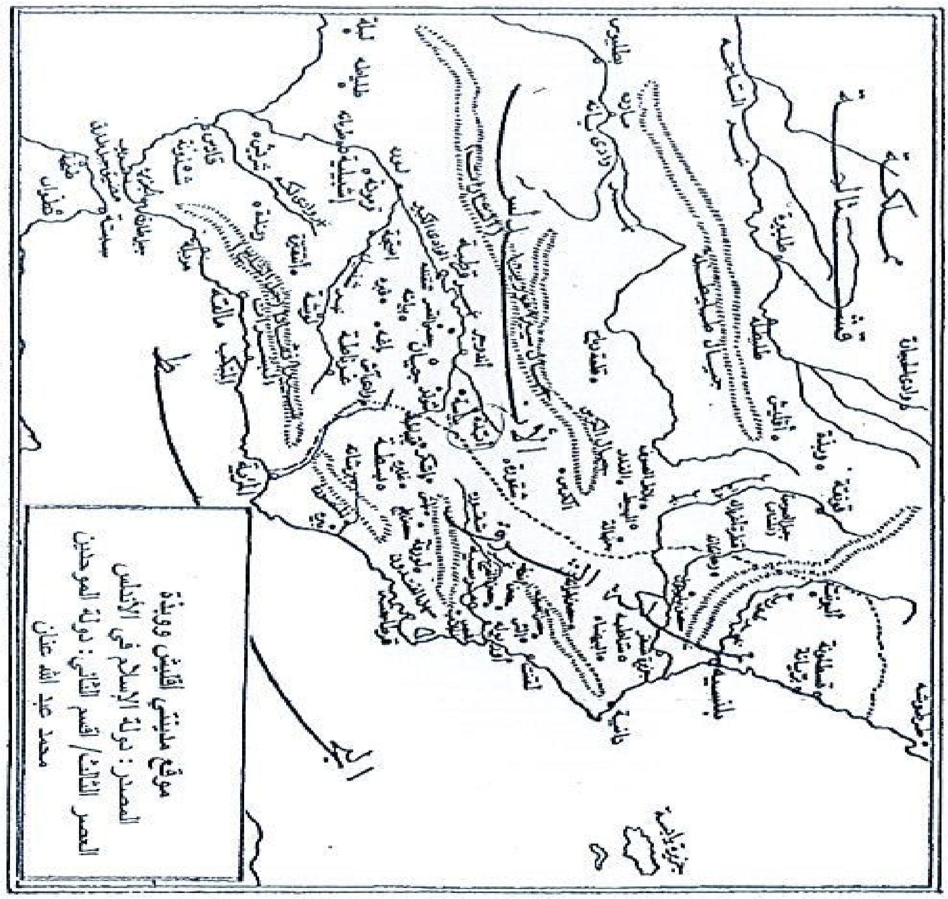
علبة عاجية من إنتاج مدينة قونكة

المصدر

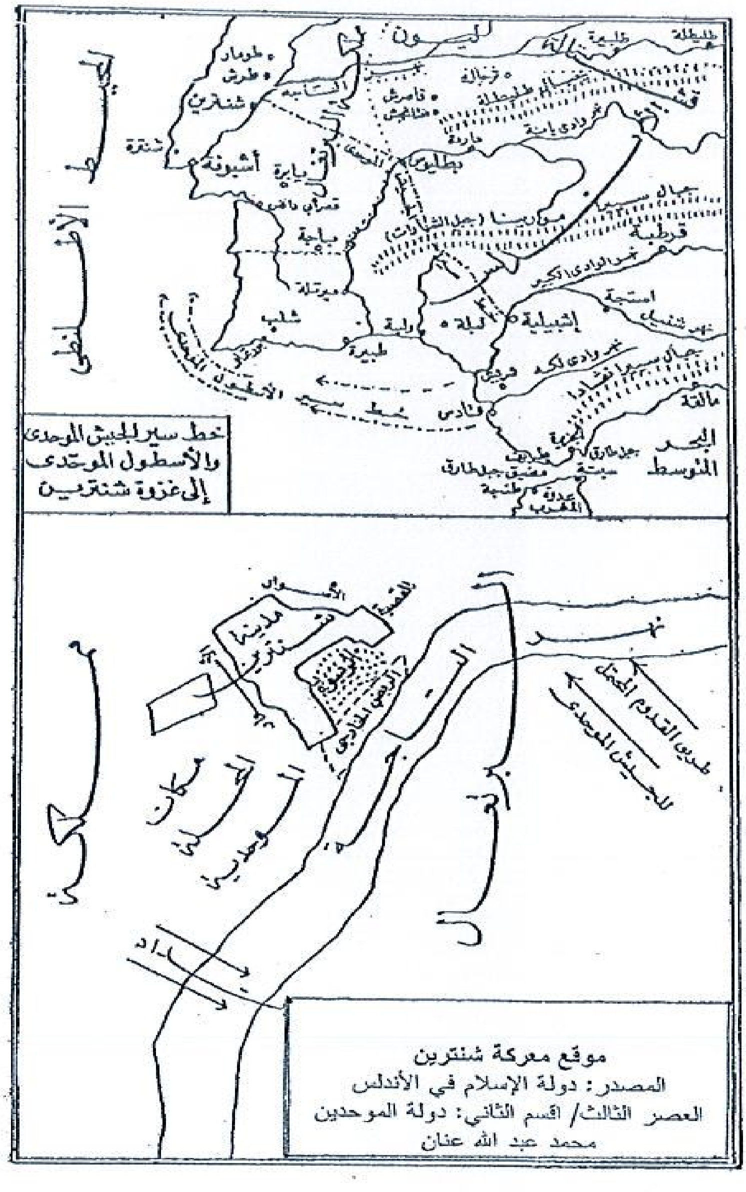
www.qantara-med.org/qantara4/public/show_document.php?do



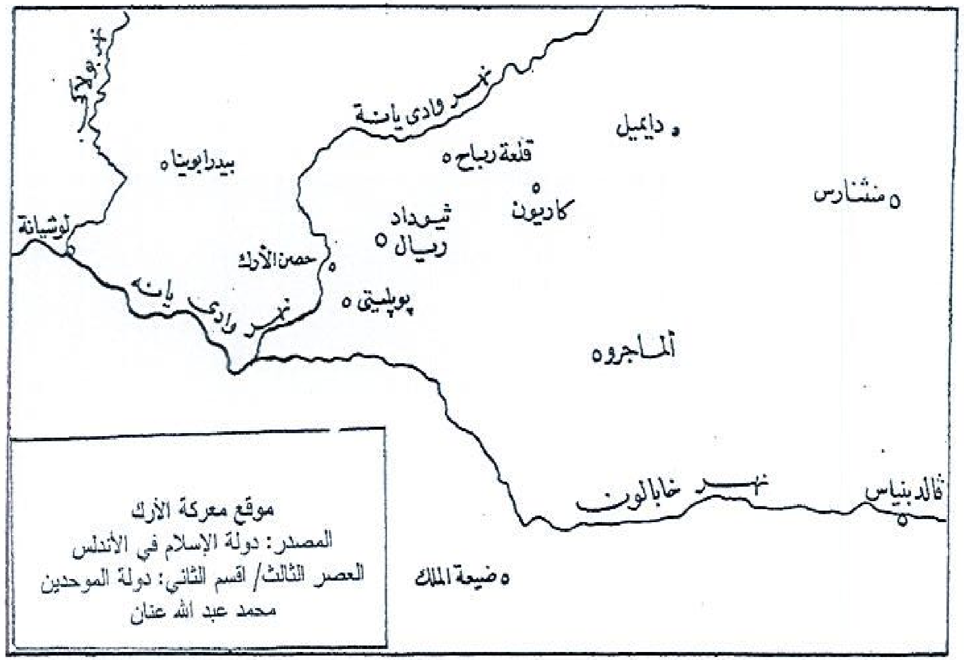
موقع مدينة قرطبة
المصدر: أطلس تاريخ الإسلام
حسين مؤنس
المحيط الأطلسي



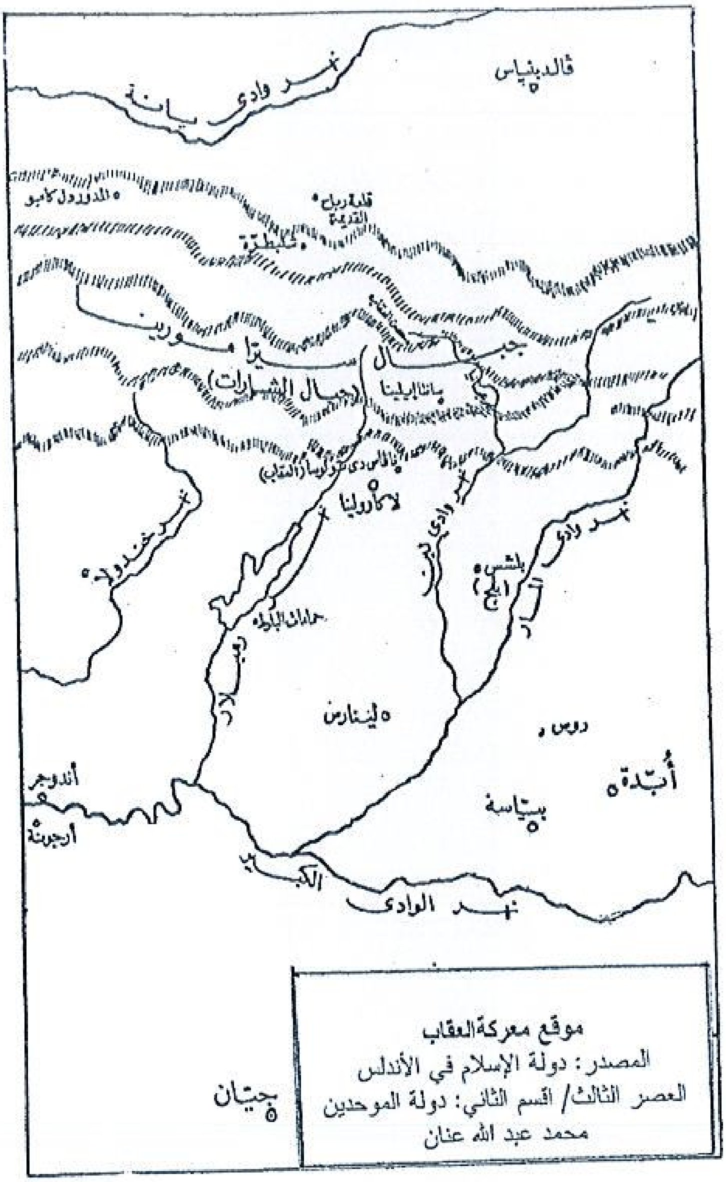
موقع مدينتي اقليش ووبذة
المصدر: دولة الإسلام في الأندلس
العصر الثالث/ اقسم الثاني: دولة الموحدين
محمد عبد الله عنان



موقع معركة شنترين
المصدر: دولة الإسلام في الأندلس
العصر الثالث/ القسم الثاني: دولة الموحدين
محمد عبد الله عنان



موقع معركة الأرك
المصدر: دولة الإسلام في الأندلس
العصر الثالث/ اقسم الثاني: دولة الموحدين
محمد عبد الله عنان



موقع معركة العقاب
المصدر: دولة الإسلام في الأندلس
العصر الثالث/ القسم الثاني: دولة الموحدين
محمد عبد الله عنان

THE CITY OF CUENCA AND THE IMPACT OF ITS OCCUPATION IN DEFEAT OF THE ALMOHADS IN THE BATTLE OF (LAS NAVAS DE TOLOSA)

By

Nora Shaker Al- Shammari

Supervisor

Dr. Mohamed Abdou Hatmalah , Prof.

ABSTRACT

This study attempts to identify the history of the city Andalusian small, and learn through it on aspects of the history of Andalusia, I have chosen I this city, a city Cuenca, without other because witnessed the events serious, had some result very dangerous on the Islamic presence in Andalusia, The Tnadt Nations Christianity from different countries European to hold a conference cruciform where the blessing of the pope, and took that conference decision standardization efforts Christians against Muslims, and implementation of the resolution mobilized their armies led Olfonso VIII, King of Castile, and defeated monotheists in the battle Alakab that have not the Muslims in Andalusia after List remember.

The required to recognize these historical conclusion follows the chain of event that led to it, where I do – after talking the city of Cuenca in terms of name, location and evolution – displays its history in the era of sects lustrous, especially between a mm, Kings Toledo who was a city Cuenca a city Kingdom. I was Keen to clarify the relationships between Taifa Kingdoms Christians in Spain, and the circumstances that led to the waiver from the city of Cuenca to Christians during this period.

I dealt with – then – history of the city of Cuenca in the eaa of Almoravids who recaptured it from the Christians, and the reign of Unitarian who to neglect in it, where they fell in the hands of the Christians again, and held that conference the ill-fated crusade aginst Islam and Muslims in Andalusia.